«الإبداعُ المُحَمَّدي»

سَيدُ الأَوَّلِينَ وَالأَخَرِينَ

رسولُ اللهِ الأَمِين

مُحَمَّدٌ ﷺ

«الإبداعُ المُحَمَّدي»

دراسة لمقتطفات من السيرة النبوية في ضوء نظرية الإبداع

تأليف

أبي ذر حسين الفاضلي

الطبعة الأولى

سنة الطبع
١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٥٨٤ لسنة ٢٠١٩م

تمهيد

إن موضوعاً كهذا، يضع الكاتب بغية تحديد الخطوط الرئيسة للموضوع، أمام خيارين :

الأول : استنباط شروط ومواصفات المبدعين، كما قررها علماء النفس، ومحاولة مطابقة هذه المواصفات مع شخص الرسول العظيم ﷺ، ومن ثم التعرف على الأوجه الإبداعية في شخصه ﷺ، ومداها، ودرجة حضورها .

الثاني : استنباط شروط ومواصفات المبدعين، من المفردات الحياتية لرسول الله ﷺ واعتبار هذه الشروط، هي المواصفات الحقيقية لما يجب أن يكون عليه المبدع، وهي التي تحدد ماهية الإبداع .

ولكل من هذين السبيلين، من القناعات ما يعزز اعتماده كمنهج للبحث، وبغية ضمان الاحتفاظ بنقاط قوة الموضوع من الناحية النفسية وإيجابياته وتجاوز الاجتهادات التي قد لا يقرها النفسانيون، فقد قررنا الاعتماد على السبيل الأول، ونبين نقاط الاختلاف ورأينا في مصداقيتها وصحتها .

وهناك تساؤل مهم ؛ هل يجوز تطبيق مفاهيم الإبداع البشرية على شخصٍ مرسل من قبل رب العالمين ؟

الجواب : نعم، ولولا هذا الإيجاب لما أمرنا بالتأسي به، ومحاكاته وتقليده في أقواله وأفعاله، ويستثنى من ذلك ما اختص به رسول الله ﷺ، من أحكام لا ينبغي على ملته محاكاته فيها كتزوجه بأكثر من أربعة معاً .

وهذا الأمر يثير تساؤلاً آخر ؛ وهو هل الخصوصيات النبوية يمكن اخضاعها للدراسة الإبداعية ؟

الجواب : نعم، بالتأكيد، لأن هذه الخصوصيات جزء من شخصه الكريم ﷺ فهي كالملامح

الشخصية، تسهم في التعريف أولاً، كما أنها ستبين كيفية تعامل المبدع مع هذه الخصوصيات ثانياً، وتساهم في اغناء الدراسة الإبداعية ثالثاً .

إن دراسة الإبداع في شخصية الرسول ﷺ درس عظيم لمن يطمح إلى تقويم شخصيته حتى إن كان هذا التقويم دنيوياً وليس دينياً، فشخصيةٌ مستحيلة التكرار كشخصية رسول الله ﷺ هي بالتأكيد أفضل من سواها، وسواء أكانت هذه المفاضلة تجري بالمقاييس الدينية أو الدنيوية، نفسية أو اجتماعية، مادية أو روحية، فأشخاص مثل الفراهيدي، والمتنبي، وابن سينا، وهارون الرشيد، أو مثل شكسبير، ودافنشي، واينشتاين، ونابليون، لا تعد هي وانجازاتها بذات قيمة، بالمقارنة مع شخصية الرسول ﷺ وانجازاته، لذا فالجانب العلمي البحثي يلزمنا بدراسة شخصيته والنهل من مورده العظيم ﷺ، ناهيك عن الثواب والفضيلة في التأسي بشخصه ﷺ ولأن هذا التأسي إنما هو استجابة لأمر إلهي .

أما ما يثيره البعض من شبهات يبررون بها تجنبهم إخضاع شخصية الرسول ﷺ لمثل هذه الدراسات فمردود، فهي لا تخرج عن نطاق التهيب غير المبرر، فالجهد المبذول في هذا المسار مهما كان ليس إلا حلقة في سلسلة متصلة . والتذرع بنبوته أو خصوصية نبوته يتنافى مع أمر الله تعالى بوجوب اتباع سنته، والخشية من دراسته، لمكانته المقدسة في النفوس مما يحجم الكاتب عن قول ما يريد، أو أن يقول ما قد يعد ذنباً أو نقداً يؤاخذ عليه دينياً واجتماعياً، فيلجأ إلى اختيار شخصيات أخرى يمكنه أن يقول فيها ما يريد بحرية، فنقول أن هذا الافتراض واهٍ لأنه المثل العليا كلها وبأعظم صورها في رجل، والامتناع عن دراسته لضعف الخلفية الدينية للكاتب يمكن تعويضه بالعمل المشترك من قبل ذوي الاختصاصات المتعددة، أما رفض الكتابة جراء عدم القناعة لسبب أو لآخر، فهذا ظن مرفوض جملة وتفصيلا .

ومن المعلوم أن تقاليد البحث العلمي تستوجب عدم اعتماد القناعات الشخصية المسبقة وإخضاع البحث لمصلحتها.

لكننا نقول : إننا شرعنا في الكتابة ولدينا تصور محدد لا نماري فيه آلا وهو : إن الإبداع

المحمدي هو الدرس الحقيقي للإبداع والذي ينبغي تسخير الأقلام لاستنباط حقيقة الإبداع منها، وهذا هو هدف السبيل الثاني من البحث، أما السبيل الأول فلا نقصد منه اكتشاف حقيقة ابداعه، أو الإجابة عن تساؤل من قبيل هل هو مبدع حقاً ؟

إننا لم نخالف التقليد العلمي في هذا، فقد افترضنا إبداعه (عن إيمان ويقين) والبحث محاولة للبرهنة على ذلك . وكل ما في الأمر أننا موقنون بأن الافتراض سيتطابق مع البحث .



المقدمة

حفلت شخصية الرسول محمد ﷺ بالبحث والدراسة والعرض، من قبل ذوي الاختصاصات كافة، وستظل هذه الجهود قائمة دائبة الى ما شاء الله تعالى .

وسوف لن توفيَ هذه الأبحاث مجتمعة الرسول الكريم ﷺ حقه، سواء بالإحاطة، أو بالتحليل، أو بالاستنباط .

فلو افترضنا أن مؤرخاً سعى الى ترجمة حياته ﷺ ترجمة كاملة، وتمكن من تتبع حياته من مولده الشريف حتى انتقاله الى جوار ربه، يوماً بيوم، ساعة بساعة، دقيقة بدقيقة، ثانية بثانية، وأعاد تسجيل حياته بالكامل، فسوف يعلن عجزه بعد هذا كله، عن الإحاطة بترجمة حياته، فهذا المؤرخ مع جهده البالغ الدقيق يبقى عاجزاً عن فهم المكنونات، والأسرار، والتجليات، لسبب بسيط أنّ هذه الأمور قد اختص بها محمد بن عبدالله ﷺ فقط، لذا يعجز أي مخلوق مهما أوتي من قدرات، ومن تجارب مباشرة عن تذوقها وتحسسها . أو كشف أسرارها .

إن الأسباب التي تجعل البحث وافيا عديدة،. ولكن هذه الأسباب تتفاعل في بحثٍ كهذا البحث مع مركبات جديدة عند الحديث عن حضرة الرسول الكريم ﷺ فهو فضلاً عن نبوته، وحمله أعباء الرسالة، كان عليه الصلاة والسلام نسيج وحده، وهذه العبارة لن تزيده تشريفاً، كما ولن تزيد الإيضاح إلا غموضاً، فليس بالعدد القليل من وُصِف بأنه نسيج وحده، لا بل أن الرسول ﷺ نفسه وصف أشخاصاً عدة بهذا الوصف .

نعم إنه نسيج وحده، ولكن من نمط لا يستطيع العقل البشري الإحاطة به، ولا التجارب الإنسانية استيعاب تجربته، لقد اختزل سيدنا محمد ﷺ تأريخ البشرية في تاريخه، واختزن تجارب البشرية في تجربته، وحوى القيم السامية كلها في شخصه، وطوى مراحل الزمان في فهم الماهية المطلقة في فهمه .

إن سيدنا محمداً هو ﷺ السبّاق لكل مكرمة، الفائق في كل مضمار، النموذج في كل ميدان، القدوة لكل الفرسان، إنه الكل والجمع والعموم، مطهراً مبرأً منزهاً، هو للأنبياء سيدهم، وللعالمين رسولهم، وللعارفين حجتهم، ولأولي العزم إمامهم، وللزاهدين تاجهم، وللسالكين دليلهم، وللقادة نبراس، وللناس كافة لمعتهم ، فإن كان الكتاب عن الإبداع المحمدي بمعنى دراسة سيرته ﷺ في ضوء النظريات الإبداعية المعاصرة إلا أن الحقيقة هي أن شخصه الكريم ﷺ أعظم من أن تخضع لقواعد هذا الفن ، أو ذاك العلم فهو البحر الأعظم الذي من روافده الإبداع .

إن اقواله دروس، وأفعاله نواميس ولم ولن يحفظ التاريخ عن أحد من الأنبياء، أو من البشر، أنه سجلت كل تفاصيل حياته لتكون سنة ينتهجها الجميع كما هو الحال مع رسول الهداية ﷺ، إنه الرحمة المهداة للعالمين .

ولكن هل يحتاج سيدنا محمد ﷺ إلى كاتبٍ يكتب عنه ؟ أو كتابٍ يؤلف في حقه ؟ أو مقال؟ أو خطبة ؟ أو درسٍ ؟ أو وعظٍ ؟ وهل يحتاج الى تسليط المزيد من الأضواء عليه ؟ ثم هل يجدر بإنسان مثلي أن يكتب عن رسول الله ﷺ ؟ .

ومع الحرج الذي يواكب طرح هذه التساؤلات أقول نحن من نحتاج لذلك لا هو صلى الله عليه وسلم. فمحمد ﷺ هو البحر المحيط المتلاطم الأرجاء، ولن تزيد قطرات الماء التي ننشرها من شأنه شيئاً . ومحمد ﷺ في إلهامه لنا، إنما هو الغيث الخيّر الدائم العطاء . فما يكتب وما يقال، إنما هو لهج المحب بذكر محبوبه، ومن يسمع أو من يقرأ، إنما يستكين لذكره كاستكانة الرضيع لهدهدة أمه .

إن منهجنا في هذا الكتاب ليس من نمط الدراسات والكتب السابقة، فقد حاولنا فيه دراسة وتحليل جوانب مختلفة ومراحل مختلفة من حياته صلى الله عليه وسلم ومن زوايا مختلفة الرؤى، ولكن الرابط بينهما وحدة الموضوع أو الغرض، أعني شخص الرسول الكريم ﷺ، وحدة المنطلق، من خلال الكاتب الواحد وهذه البحوث لا تشابه مجموعة المقالات التي يجمعها

كتاب واحد لعدد من الكتّاب ، فهنا ترابطت وحدة الموضوع مع وحدة المنطلق .

هذا وإن لي مع هذا الكتاب حكاية تستحق أن أجعلها بين يدي القارئ الكريم ، فقد ظهرت مسودة هذا الكتاب في ظروف صعبة للغاية، وذلك في العام ١٩٩٣ حيث كنت إمامًا لأحد مساجد بغداد، وكنت حينها أعاني من صعوبات معاشية كبيرة سببها الحصار الاقتصادي الظالم على العراق، ومصاعب شخصية جعلتني مشوش التفكير قليل ذات اليد ، حتى ألجأتني الحاجة أن ابيع أغلب كتبي، ولم يبق منها إلا القليل ، ولم أكن أملك الأوراق ولا الأقلام ولا الحبر ولا المال الذي اشتري به أياً منها.

في خضم هذه الصعوبات قدحت فكرة الكتاب في ذهني ، ولم أستطع مغالبة نفسي التي تدفعني بشوقٍ الى كتابة شيءٍ عن سيدي وحبيبي المصطفى ﷺ .

فما السبيل لذلك ؟ وأنّى لي أدوات الكتابة والتأليف ؟

فلم أجد بداً من السعي وراء هذا الشرف المروم رغم كل هذه الصعوبات ، فتوكلت على الله تعالى، وبدأت الكتابة وتدوين النقولات من المصادر حتى إذا كاد الحبر الذي بحوزتي أن ينفد زدتُ الحبر ماءً، فلما لم يعد صالحا للكتابة وجدت نفسي التقط بقايا أقلام الرصاص التي أجدها في الشارع، وأضعها في بدن قلم قديم ليتيسر لي مسكها، أما الورق فلم يكن أفضل حالا فقد دونت مسودات هذا الكتاب على الصفحات الخلفية من كتاب آخر مسحوب على آلة الرونيو.

وبعد أن أتممته ووضعته مع غيره من مسودات كتبي الأخرى، لم يسلم كما لم تسلم كل كتبي من عاديات الزمان وضريبة التنقل المستمر من دار لدار ومن عبث الأولاد، حتى قيض الله تعالى له ولي الابن البار والصديق الوفي الدكتور ((سعد عودة لفتة الجبوري)) ، الذي عثر على هذه المسودة، وأعاد تنضيدها، وقد كانت مهمته صعبة للغاية، فالحبر قد بهت لونه، وما كتب بالرصاص، قد اختلط بعضه ببعض، إلا أنه نجح بتوفيق من الله تعالى في إعادة طباعته في سنة ٢٠١٥م ، وزاد عليه تخريج بعض ما كنت تركت تخريجه من أحاديث في حينها لشحة المصادر

لدي، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، وجعله في ميزان حسناته.

وقدَّم الكتاب لي على طبق من ذهب لمراجعته، إلا أن التسويف وكثرة المشاغل منعاني من مراجعة الكتاب، وتصحيح ما فيه من أخطاء، فتولى هذه المهمة خير قيام –على الرغم من كثرة مشاغله– الابن البار، والصديق الوفي الدكتور ((سمير عدنان)) ، ولم يكتف بالتصحيح، بل أمدني بملاحظات مهمة انتفعت بها، ولم تقف جهوده عند هذا، بل تولى طباعته، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، وجعله في ميزان حسناته.

وحسبنا من هذا الكتاب أننا قضينا ساعات طوال، لا نفكر فيها إلا بشخصه الكريم ﷺ مما يعزز حبنا ويزيد إيماننا ونأمل صلاتنا عليه أثناء ذكر اسمه المعطر في هذه السطور، وبعد كل هذا وذاك فمردنا إلى الله، نعم المولى ونعم النصير .



الفصل الأول

* المبحث الأول : الإبداع مفهومه وشروطه
* المبحث الثاني : مراحل العملية الإبداعية، وملامح الإبداع، ومعوقات العمل الإبداعي، وسمات وخصائص المبدعين، ودوافع الإبداع

المبحث الأول

الإبداع .. مفهومه وشُروطه

الإبداع لُغةً : لا تشير معاجم العربية إلى مفهوم الإبداع بالإصطلاح المتداول اليوم لا بل إن كلمة (الإبداع) ذاتها ؛ لا يوجد إلى ما يشير إلى تداولها .

وبالمقابل نجد جذر الكلمة (بدع) يدل على جملة معانٍ، أوردها الخليل في معجمه (العين) [1] وهي :

١ . البَدْعُ : إحداثُ شيءٍ لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة، كقوله تعالى : (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض)[2] ابتدعها، ولم يكونا قبل ذلك شيئاً .

٢ . البِدْعُ : الشيء الذي يكون أولاً في كل أمر، كما قال الله عز وجل : (قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُل)[3] .

٣ . البِدْعَةُ : اسم ما ابتدع من الدين وغيره ... وما استحدثت بعد رسول الله ﷺ من أهواء وأعمال من البِدع .

٤ . ابتدعت : جئت بأمر مختلف لم يعرف ذلك .

٥ . أُبْدِعَ : البعيرُ فهو مُبْدَعٌ، وهو من داء ونحوه، ويقال : هو داءٌ بعينه، وقد ضمن الخليل معاني واستخدامات الكلمة ومعانيها في القرآن .

---

(١) كتاب العين : ٢/ ٥٤ .

(٢) سورة البقرة : آية ١١٧ .

(٣) سورة الأحقاف : آية ٩ .

أما الزمخشري ففي (أسس البلاغة) [1] أوضح بعض المعاني الجديدة للكلمة ولكنها بعيدة عن الغرض ؛ فيقول : ابْدَعَ الشيءَ وابتَدَعَه : اخترعَه، وابتَدَعَ فلانٌ هذه الرّكِيّةَ، وسِقَاءٌ بَديعٌ : جديدٌ . وقد بين معانٍ أخرى للكلمة لم يبينها الخليل، لكننا نعرض عنها لابتعادها عن الموضوع أيضاً .

إن هذه المعاني شكلت كما يبدو الارهاصة الأولى لمفهوم الإبداع، من إيحاءها بالحداثة، ولأن من يأتي بالاختراعات والاكتشافات يأتي بالجديد غير المسبوق، فقد صار مبَدعاً، أي محدثاً لشيءٍ لم يكن له وجود، اي شيءٌ جديد، وتوسع استعمال هذه الكلمة بما يفيد التميز في الأقوال والأفعال .

الإبداعُ اصطلاحاً : شأن سائر المصطلحات الإنسانية، لا تجد للإبداع تعريفاً محدداً متفقاً عليه فهو يختلف باختلاف وجهات نظر الباحثين .

وللوصول إلى تعريف محدد وشامل يعيننا في فهم ماهية العملية الإبداعية، فلا بد من التعرض لأبرز هذه التعاريف، وإن كنا نزمع عدم الخوض في التفاصيل الدقيقة للموضوع، إلا أن الإحاطة بالخطوط الأساسية مطلوب دون شك .

١ . **يقول الدكتور أحمد عزت راجح** : الإبداع : «الإجادة في العمل، أو إنشاء شيء من غير أن يكون له مثال، أو هو الوفاء بالغاية في كل شيء، وقد يسمى الإبداع ابتكاراً إذا كان المراد النظر إلى الأمور والمشكلات من زوايا جديدة يفرغ عليها المبتكر معنى جديداً أو وظيفة جديدة، أو الكشف فيها عن أوجه الشبه أو الاختلاف بين أشياء وظواهر لا يدركها الأشخاص الاعتياديون، كما يفيد الابتكار إعادة تنظيم الحقل المعرفي في صيغ جديدة يؤدي ذلك إلى إدراكها أو حل مشكلاتها . وإذا اتسم الابتكار بقدر كاف من الأصالة بمعيارها الاجتماعي لا الفردي،

(١) أَسَاسُ البَلاغَة : ١/ ٥٠ .

واقترن ظهوره بنوع من الإلهام والإشراق سمي إبداعاً»[١] .

فهو يقدم تعريفاً أولياً للإبداع لا يكاد يخرج في مضمونه عما بينته المعاجم العربية . فيما يتعلق بالحداثة، ثم يضفي سمة أخرى على هذه الحداثة فيقرنها بالجودة، ثم ينظر إليه من زاوية أخرى فيعبر الابتكار الأصيل المقرون بالإلهام حالة إبداعية .

٢ . **أما برجسون** فذهب إلى أن جوهر الإبداع هو الانفعال الذي هو هزة عاطفية في النفس، وإن اتحاداً مباشراً بين العبقري وبين الموضوع - المشكلة المطروحة - يولد انفعالاً فوق عقلي يتبلور في الحدس، وبفضل هذا الحدس يستطيع أن يزيل الحاجز الذي يصنعه المكان بينه وبين هذا الشيء[٢] .

إن برجسون هنا عدّ الحدس العامل الحاسم في توليد الإبداع، وقد اختبر برجسون هذه الحالة على نفسه وعدها القاعدة، وهي بالتأكيد وجهة نظر مهمة في الموضوع .

٣ . **الإبداع** : «عملية ينتج عنها عمل جديد يرضي جماعة ما، أو تقبله على أنه مفيد، فالإبداع هنا يعني الحداثة زائداً إرضاء فئة معينة من الناس عنه. أو أنه عملية يصبح الفرد بها حساساً للمشكلات، والنواقص والفجوات في المعرفة والعناصر المفقودة وغيرها، أي تشخيص الصعوبة والبحث عن الحلول وعمل التخمينات وصيانة الفرضيات بخصوص النواقص، واختبار الفرضيات وتعديلها أو إعادة اختبارها والوصول أخيراً إلى النتائج»[٣] .

وهذا التعريف يبدو أقرب للمصداقية، وقد أجاد في القدرة على تشخيص المبدع للمشكلات ولكنه عجز عن تبيين وجه الإبداع في التعامل مع النتائج .

٤ . **الإبداعية** : «مقدرة على إحضار شيء ما للوجود ...، والمبدع : هو من يحقق تركيباً لعناصر موجودة بحيث يضمها في بناء جديد. فإن نبدع معناها ببساطة أن تركب عناصر

(١) أصول علم النفس : ص٣٠٦ .

(٢) الأسس النفسية للتكامل النفسي : ص٢٠١-٢٠٢ .

(3) A New look at the creativity intelligence distinction ,3,348-364 .

موجودة في طرق جديدة»[١] .

وهذا التعريف أيضاً يعتمد الاستحداث ولكن بتركيب عناصر مفردة إلى مركب جديد . ولكنه لم يميز حقيقة هذا المركب، ولماذا وصف بالإبداع ؟

٥. **وينقل الدكتور عبد الستار إبراهيم استنتاج كانت في (نقد الحكم)** : «الإبداع عملية طبيعية تخلق قوانينها الخاصة، وإن فعل الإبداع يخضع لقوانين من صنعه، لا يمكن التنبؤ بها، ومن ثم فإنه لا يمكن تعليم الإبداع تعليماً منظماً»[٢].

(فكانت) يرفض إمكانية دراسة الإبداع أو تعليمه، فهو موهبة لها قوانينها الخاصة .

٦. الإبداع : «هو قدرة على التفكير في نسق مفتوح، وعلى إعادة تشكيل عناصر الخبرة في أشكال جديدة ... والحقيقة أن علماء النفس يسلمون عندما يتبنون تعريفاً لموضوع معين بأنهم يتعاملون مع مفهوم أو مجموعة من المفاهيم بإعطائها دلالات محددة لا تخرج عن مجال البحث»[٣] .

ونحن نميل إلى ما ذهب إليه الدكتور عبد الستار إبراهيم من عدم إمكانية تحديد الإبداع في تعريف معين، فالتعريف برأينا يحجم الحدود الحقيقية له، ويضعه في قالب ضيق مهما كان شاملاً فهو يخرج من دائرته حالات إبداعية لا اعتراض عليها . لذلك فاعتماد مقومات الإبداع وسماته وشروطه هي الكفيلة بالتعريف بالشخصية المبدعة بوجه أقرب إلى الصواب .



(١) الإبداع الفني، آفاق عربية، السنة التاسعة، العدد ١٠ .

(٢) آفاق جديدة في دراسة الإبداع : ص٣٣ .

(٣) المصدر نفسه : ص٣٥ .

المبحث الثاني

مراحل العملية الإبداعية

هناك شبه إتفاق على أن العملية الإبداعية تمر بمراحل أربعة، هي:

١. مرحلة الإعداد :

وفيها يكتسب الفرد المهارات والمعارف التي تؤهله لتحديد المشكلة التي تواجهه، وهي مرحلة تشهد تكديس الخبرات من الملاحظة والاستشارة والتنقيب والدرس .

ويصاحبها سمتان ظاهرتان : التوتر والانحصار، كما أن علائم التشكك والحيرة قد تبدو واضحة للفرد قبل أن يستقر له قرار .

وقد تتباين فترة الإعداد من مدة قصيرة جداً إلى مدة طويلة الأمد بحسب طبيعة المشكلة أو طبيعة الفرد .

٢. مرحلة الاختمار :

وفي هذه المرحلة يحدث نوع من التراخي عن مواجهة المشكلة، ولكنها تعود تلقائياً بين فترة وأخرى، إلى الواجهة الشعورية .

وفي نهاية المرحلة تصبح المشكلة أكثر وضوحاً وقد تطول هذه المرحلة أو تقصر، وقد تتداخل مع المرحلة السابقة .

٣. مرحلة الإشراق أو الإلهام :

وهي مرحلة تتميز بظهور الحل على حين غرة، مع تلقائية وشعور بالثقة والتأكد والاطمئنان، ويرافقها حالة من الحبـور والانبساط، وهي مرحلة حدس واستبصار .

٤ . مرحلة التحقيق والبرهان :

وفيها يتم البرهنة على الحلول التي أمكن الوصول إليها، مع إجراء المزيد من التنقيحات والتجارب، والتي قد تكون بسيطة أو معقدة [١] .

وهذه هي المراحل التي أكتشفها (والاس) منذ خمسين عاماً، والتي أثارت بين علماء النفس جدلاً عميقاً . «فبعضهم يرى أنها تنطبق على مجال الإبداع الفني بشيء من التجاوز . أما في مجال الإبداع العلمي فإن من الصعب تناولها بنفس القدر من التطابق . والبعض الآخر يرى كذلك أن الفكرة الجديدة تبزغ بأشكال مختلفة ومتعددة ... وبالرغم من أن بعض الانتقادات لها ما يبررها فإنها لا تنتقص من المراحل التي يضعها (والاس) لأنها قد أثبتت فائدتها العملية في وصف البيانات المتجمعة من مصادر مختلفة، عن عملية الإبداع»[٢] .

❊ ملامح الإبداع :

يذهب (دونالد ماكنون) إلى أن الإنتاج المبدع يمتاز بملامح معينة :

١ . أن يكون النتاج جديداً، ويمتاز بالأصالة، والحداثة أو الأصالة أمر نسبي بالنسبة إلى مجموعة من المنتجات .

٢ . أن يكون العمل الإبداعي تكيفاً مع الحقيقة والواقع، وذلك بمساهمته في حل المشكلات، أو انجاز أغراض متميزة .

٣ . أن يتقن ويطور المنتوج الإبداعي ويجيد إيصاله إلى الآخرين .

٤ . أن يكون المنتوج بارعاً يحظى بالإعجاب والقبول، ويتسم بالصحة والجمال والمنزلة والذوق الرفيعة، ليحظى بأكبر قسط من الاهتمام والفائدة والإعجاب .

٥ . خلق ظروف جديدة بالنسبة للوجود الإنساني، وعلى سبيل المثال نظرية دارون حول

---

(١) خصائص الفكر المبدع، مجلة آفاق عربية، السنة الثالثة، العدد الخامس .

(٢) آفاق جديدة في دراسة الإبداع : ص٥٠ .

تطور الكائنات الحية[1] .

في حين ذهب آخرون إلى أن ملامح الإبداع هي :

١ . تقديم فكرة جديدة غير مسبوقة، وغير مطروحة سابقاً، وتمتاز بأنها غريبة في الوسط المثارة فيه .

٢ . أن تكون هذه الفكرة واقعية .

٣. تفاعل الفكرة مع المعارف والخبرات .

٤ . الإبداع ليس بدعاً عن حياة التعلم ولا هو بالعمل الفطري المحض .

٥ . الأبداع عملية متحررة من كل الرواسب والمخلفات .

٦ . الأعمال الإبداعية تمتاز بالأصالة[2] .

وهذه النقاط تتفق مع سابقتها في النقاط الثلاث الأولى، وعلى هذا يمكننا أن نخرج بتصور عن ملامح الإبداع مفاده :

١ . أن تكون الفكرة جديدة، أصيلة، غير مسبوقة، وغير مطروحة سابقاً، وتمتاز بأنها غريبة في الوسط المثارة فيه .

٢ . واقعية الفكرة وإمكانية تطبيقها عملياً .

٣. تفاعل الفكرة مع المعارف والخبرات بما يسهم في تطويرها، والنجاح في إيصالها إلى الآخرين .

٤ . الإبداع ليس بدعاً عن حياة التعلم ولا هو عملاً فطرياً محضاً .

٥ . أن يكون المنتوج بارعاً يحظى بالقبول وبالإعجاب ويتسم بالصحة والجمال والمنزلة والذوق الرفيع، ويحظى بأكبر قسط من الاهتمام والفائدة والإعجاب .

---

(١) خصائص الفكر المبدع، آفاق عربية، السنة الثالثة العدد الخامس .

(٢) ينظر : الإبداع صناعة ترعاها الشعوب الحرة، مجلة النبأ، (١٤٢١ - ٢٠٠٠)، العدد ٤٧ .

٦. تحرره من كل الرواسب والمخلفات، ويخلق ظرفاً جديداً بالنسبة للوجود الإنساني .

*** معوقات العمل الإبداعي :**

إن الصراع بين الجديد والقديم ليس بالحالة الجديدة، ولأن الإبداع قمة الجديد المقدم فلا بد أن يكون صراعه مع القديم حقيقة واقعة قد تأخذ أحياناً شكلاً حاداً وعنيفاً، وأبرز معوقات العمل الإبداعي هي :

١. دعاة الحفاظ على القديم، والروتين .

٢. الآلية في تنفيذ الأعمال، وعدم القدرة على استيعاب الجديد وهضمه.

٣. التقليد الأعمى للتجارب السابقة .

٤. الجزئية والتجزيئية في مواجهة الإبداع وما يثمره، مما يتسبب في غياب الفكرة الأساسية وبالتالي قتل الإبداع .

٥. التهرب من تحمل المسؤولية .

٦. التهيب من النقد الذي يوجه للمبدعين .

٧. الحساسية والحسد وما شابه ذلك من أمراض المجتمع، التي تصيب المراقبين فيتعرضوا للإبداع بالنقد والتجريح[١] .

*** سمات وخصائص المبدعين :**

لا غرابة أن يهتم علماء النفس عموماً، والمهتمون في بحث الإبداع، في تبيان سمات المبدعين، فهي تشكل الحجر الأساس للتعرف على حقيقة الإبداع، لا سيما بعد أن عرفنا عدم إمكانية تقديم تعريف محدد وواضح قادر على الإحاطة بحقيقة الإبداع .

ومن ناحية أخرى فالسعي لتنمية الإبداع وتعليمه وتطويره يستوجب أن تشخص هذه السمات وصولاً إلى نشرها بين غير المبدعين، أو إلى تأصيلها وتجذيرها مهما قيل ويقال، فمن

---

(١) ينظر : مبادئ الإبداع : ص٨٢-٨٣ .

المتعذر الوقوف على كل هذه السمات، إلا إن إبراز أهمها أمر لازم، وتتمثل بما يلي :ـ

١. سعة المعرفة والعلم .

٢. القدرة على التصور والتخيل الإبداعي .

٣. قدرة الإدراك العقلي التي تعني حركة الفكر في المعاني الكلية بعد انتزاعها من المعاني الجزئية للوصول إلى حكم كلي عام وبالعكس إلى الكفاءة في تحليل العناصر .

٤. الحدس السليم .

٥. المرونة والقدرة على الاستجابة في المواقف الصعبة .

٦. الفطنة المميزة .

٧. المرونة الفكرية .

٨. المنطقية .

٩. القدرة على تحمل المسؤولية .

١. الشجاعة .

٢. القدرة على تحمل الإجهاد الفكري والبدني .

٣. الحساسية تجاه المشاكل والمشاعر والاتجاهات الأخرى .

٤. الأصالة، (تعدد وتنوع الحلول) والتي تمتاز بكونها جديدة .

٥. الطلاقة ؛ والقدرة على انتاج عدد كبير من الأفكار في وحدة زمنية، والطلاقة الذهنية واللغوية .

٦. المهارة في إعادة التجديد .

٧. الذكاء .

٨. التفتح والانطلاق، ومقابلة التجارب والواقع بهذه الروحية في داخل نفسه وفي خارجها .

٩. اهتمامه بالأمور المعقدة، ونبذ الأمور السطحية، جراء ثقته بنفسه، والولع بالإدراك الذهني .

١٠. القابلية على النفاذ إلى أعماق المسائل المبحوثة .

١١. عدم التطابق مع الآخرين .

١٢. القدرة على الاحتفاظ بالاتجاه ومواصلته .

١٣. القدرة على تكوين ترابطات واكتشاف علاقات .

*** دوافع الإبداع :**

يبين الدكتور عبد الستار إبراهيم عدداً من الدوافع التي يعدها السبب المباشر لمظاهر الجد والنشاط، والمثابرة لبلوغ هدف معين، وهي :

١. الدافع الشخصي .

٢. استقلال الحكم والتفكير .

٣. الحاجة إلى تقديم مساهمات مبتكرة وقيمة .

٤. الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية والتفتح على الغير .

٥. الحاجة لمعالجة المركب(١) .

*** خاتمة :**

لعل هذه هي أبرز الجوانب الخاصة بالإبداع ذات العلاقة بموضوعنا، حيث يمكن اعتمادها كمنطلقات لإجراء البحث، وتأكيداً فهناك جوانب مهمة أخرى تتعلق بمفهوم الإبداع سنتطرق إليها إن شاء الله في الصفحات القادمة، متى دعت الحاجة إليها .

وهي تدخل ضمن التفريعات أو الامتدادات، ولا تشكل الأسس الصلبة للإبداع، إذ أن هذه الأسس هي التي تضمنتها السطور السابقة .

هذه الدوافع تعد من الشروط اللازمة لقيام أي نشاط عقلي، وهي تمد التفكير بالطاقة والحماس والحساسية والانجذاب لما هو غامض وحب السؤال، وهذه العناصر تحدد الشخصية منذ البداية رغبتها في التميز والخلق .

---

(١) ينظر : آفاق جديدة في دراسة الإبداع : ص٥٠ .

الفصل الثاني

* المبحث الأول : مراحل العملية الإبداعية في حياة الرسول ﷺ
* المبحث الثاني : الملامح الإبداعية في فعاليات الرسول ﷺ

المبحث الثاني

الملامح الإبداعية في فعاليات الرسول ﷺ

* **الحداثة:**

إن الحداثة التي يعنيها علماء النفس، هي التي تمتاز بأنها جديدة، فهل يمكن وصف الأفكار التي جاء بهاء رسول الله ﷺ بأنها حديثة أولاً ؟

يقول سبحانه وتعالى : [قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ][1]، والمعنى : قل يا محمد إني ما كنت مبتدعاً ولا مخالفاً لمن سبقك من الرسل .

وهذا الأمر فسره رسول الله ﷺ عندما وصف تتابع الأنبياء في رسالاتهم مشبهاً ذلك بجدار وبين موقفه منه فقال : «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتاً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّين»[2]، فعلى هذا فإن رسول الله ﷺ تواصلاً لسلسلة الأنبياء الذين سبقوه، فهل يعني هذا نفي الحداثة عنه ﷺ ؟

إن الحداثة التي أمتاز بها رسول الله ﷺ تتجلى من القنوات التالية :

١ . إن الفاصل الزمني بين رسول الله ﷺ وبين آخر الرسل، هو المسيح عليه السلام امتدت عبر قرون عدة، وهذه الفترة الطويلة تجعل ظهور أي نبي حدثاً جديداً، لا سيما وإن هذه الفترة

---

(١) سورة الأحقاف : الآية ٩ .

(٢) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٦٧٩، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، رقم الحديث (٣٥٣٥)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٩٣٩، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، رقم الحديث (٢٢٨٦) .

شهدت انحراف الأديان السابقة عن جادة الصواب، حتى لم يعد لها من الملامح التي تميزها كأديان إلا الاسم أو ما عفى عليه التحريف من بقايا أو آثار، أفلا يعد ظهور نبي جديد بالحدث الجديد ؟

٢ . إن رسول الله ﷺ لم يكن بدعاً من الرسل، وهذا لا يعني نفي الحداثة عنه، فنحن نستطيع بكل ثقة أن نقول : إن أينشتاين مثلاً ليس بدعاً من المخترعين، وإن الرازي ليس بدعاً من الأطباء، وإن ابن الهيثم ليس بدعاً من العلماء، ففي هذه الأحوال إثبات صفة انتساب الفرد إلى الزمرة أو المجموعة التي ينتمي إليها، فالآية الشريفة، تشير إلى أنه ﷺ من زمرة الأنبياء والرسل السابقين له، وهذا لا يعني بكل حال من الأحوال نفي الحداثة لأن الفرد المنتمي إلى المجموعة قد يأتي بالجديد ولا يشترط أن يكون صورة مستنسخة لما عليه المجموعة .

٣ . وضمن مجال المجموعة أيضاً، ونعني بها الأنبياء والمرسلين، التي كان هدفها الدعوة إلى توحيد الله، فإن رسول الله ﷺ كحامل للواء التوحيد، جاء بشريعة متميزة كل ما فيها حديث متميز، وإن كان تواصلاً لما سبق .

فالقرآن الكريم، ككتاب سماوي، وهو الكتاب المقدس للمسلمين متميز بشكل لا يكاد يقارن بالكتب التي سبقته، فهو حديث في شكله، في أسلوبه، في طرحه، في مضامينه، في أصوله، وفي فروعه، حتى أنك لا تكاد تجد وجوهاً للشبه .

والسنة النبوية المطهرة وكيفية الأخذ بها ونشرها نمط جديد غير مألوف وغير مفهوم عند الأديان السابقة، ولا يوجد فيها حالة مشابهة مناظرة، ولا سمعنا بسيرة نبي من الأنبياء استأثرت بهذا الزخم من الرصد والاحتذاء كما في سنة المصطفى ﷺ .

وأسلوبه ﷺ في طرح أفكاره كان أسلوباً مغايراً تماماً، لا تجد له شبيه من بين أساليب الأنبياء والمرسلين عليه السلام .

إن ما جاء به الرسول ﷺ متميز تماماً، وهو حتى في مجال المقارنة مع الأنبياء السابقين وإن حمل ذات الدعوة ـ التوحيد ـ إلا أنه ما جاء به حديث في كل التفاصيل، بل يمكننا القول : إن

رسول الله ﷺ طرح الفكرة وعالجها وتعامل معها بأساليب حديثة متنوعة ومبتكرة لا يمكن لنا الحكم عليها بالحداثة .

٤ . لو حاولنا مقارنة أي تجربة إبداعية بشرية مع تجربة الرسول ﷺ وبغض النظر عن الفارق الهائل فيمكننا أن نقول : إن تجربة ت س اليوت الإبداعية الشعرية حديثة بالمقارنة مع تجارب المبدعين الشعراء الذين سبقوه، فهو لم يكن أول من قال شعراً، ولم يكن أول مبدعاً في الشعر، ولم يكن ما قاله أول كلمات أو صور شعرية تُقال، ولكن تجربته الإبداعية وصفت بالحداثة لأنها حديثة في استيعابها للظروف المحيطة وحديثة في طروحاتها ومعالجاتها .

أفلا نجد ذات الشيء مرتسم وقائم في تجربة رسول الله ﷺ بالمقارنة مع سواه من الأنبياء والمرسلين، والجواب القطعي هو : نعم، وفي هذا دليل على حداثة تجربة الرسول ﷺ الإبداعية، وبغض النظر عن اشتراك دعوة الرسول ﷺ مع دعوات الرسل السابقة في الجوهر الأساسي المتمثل بالتوحيد، فإن كل دعوة حديثة وجديدة، وإلا لما كان من مبرر لتكليفه الرسل بالرسالة بل لاكتفى بتجديد دعوة عيسى عليه السلام مثلاً، أسوة بأبناء بني إسرائيل، فدعوته ﷺ دعوة أصيلة، لم تسبقها دعوة أخرى، ضمت شرائعها كشرائع الإسلام، ولم تكن هذه الدعوة بتفاصيلها مطروحة من قبل .

ويكف للتدليل على هذا أن نلتمس أي ممارسة إسلامية ونقارنها بالأديان السابقة لتجلى لنا الفارق الهائل، خذ الصلاة مثلاً، أو الزكاة، أو الحج، أو الصوم، فكلها وإن حملت ذات التسميات السابقة، إلا أنها جديدة تماماً بشكلها وبمضمونها .

والحداثة تعني أيضاً غرابتها في الوسط المثارة فيه، وهذا ما يلمسه أي متتبع لسيرة رسول الله ﷺ، والغرابة التي نعني بها حالة الشذوذ الإيجابي الثوري، التي اتخذت أشكالاً عدة، فقد كانت هذه الدعوة غريبة في جزيرة العرب، لم يسبق رسول الله ﷺ إليها نبي ولا مرسل، كما أنها أثارت استهجان واستنكار الكفرة والمشركين، وغرابة الدعوة تظهر أيضاً في عدم تصديق العرب بما جاء به رسول الله ﷺ على الرغم من العدد الكبير المبعث من الأنبياء والمرسلين، فقد استنكروا

بعث رسول فيهم، ورفضوا فكرة البعث والنشور، ورفضوا فكرة التوحيد، لا بل ورفضوا أن يكون المرسل رجل بعيد عن الملك، وبعيد عن الثراء، وبعيد عن السطوة والنفوذ .

قال تعالى : [ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءهمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ][١]، وهذا العجب هو التناهي في الغرابة .

ويقول تعالى : [حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ قُرْآَناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ][٢] .

انظر كيف وصف الله تعالى قريشاً ومن تابعها بأنهم قوم يعلمون، ليبين سبحانه وتعالى مسبقاً جريرة ما أقدموا عليه، وهو الإعراض، فهو لم يكن عن جهل بل عن تغابي منهم فوصفهم تعالى بأنهم لا يسمعون وهذا الإعراض شكل من أشكال مقاومة القديم للجديد الغريب .

إن مواجهة قريش لرسول الله ﷺ ومحاربتها إياه وإيذائها له، أمر مألوف يقدم عليه الرافضون لأي فكرة غريبة، لا سيما إذا تضمنت سب آلهتهم وتسفيه أحلامهم وبددت مصالحهم المادية وزعزعت مكانتهم المعنوية .

*** الواقعيـة:**

وهنا يظهر لنا وجه آخر من وجوه الآية الشريفة [قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُل][٣]، وحكمٌ جديدٌ، فما دام محمد ﷺ تواصلاً للرسل الذين سبقوه، فما جاء به واقعي قابل للتطبيق، كما كانت دعوات الرسل السابقة قابلة للتطبيق . يقول سبحانه وتعالى : [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَ وُسْعَهَا][٤]، ويقول تعالى : [لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاَ مَا آَتَاهَا][٥] .

(١) سورة ق : الآية ١-٣ .
(٢) سورة فصلت : الآية ١-٤ .
(٣) سورة الأحقاف : الآية ٩ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .
(٥) سورة الطلاق : الآية ٧ .

فهذا حكم عام يشير بدون مواربة أو شك إلى أن الدعوة المحمدية إنما طرحت لكي تطبق وتنفذ، ولم تكن مجرد أقوال وشعارات فضاضة، فأين هي المضامين الواقعية في الدعوة المحمدية الشريفة ؟

١ . إن الواقعية تعني كما نفهمها أولاً وقبل كل شيء استيعاب المشاكل المحيطة، وهذا ما يتجلى لنا في معرفة رسول الله ﷺ التفصيلية بمشاكل العرب بشكل خاص، وبمشاكل الديان السابقة بشكل عام .

٢ . إن الواقعية تعني وضع المعالجات الصائبة السليمة القادرة على حل المشكلات المطروحة في قالب من الأنظمة والقوانين والتعليمات، وهكذا كانت الطروحات المحمدية، وبها تمكن الإسلام وبفترة قصيرة جداً لا تكاد تحتسب من عمر البشرية، أن يفجر طاقات العرب الخلاقة في شتى الميادين، فلو تحريت في سيرة الصحابة عليهم السلام قبل الإسلام لم تجد لأغلبهم شأناً يذكر، لولا الإسلام لدرست أسمائهم كما درست أسماء من قبلهم الذين لم يعرف عنهم شيئاً، ولكنهم خلال عقدين من الزمن، اكتسحوا صفحات الفخر والمجد من سجل التاريخ ليؤشروا بأسطر من نور منجزاتهم العطرة الخالدة، فهذا عمر بن الخطاب، ظهر كحاكم بارع لم ولن ينجب التاريخ له مثيلاً، وهذا خالد بن الوليد ظهر كقائد عسكري لم ولن ينجب التاريخ له مثيلاً، فهؤلاء الصحابة الذين تشرفوا بالتدريب على يد رسول الله ﷺ تمكنوا من تجاوز مشكلاتهم الذاتية باتباع المعالجات السديدة للإسلام، صاروا حالة لم يكن بالإمكان التصور بحصولها مثل هذه الانقلابات الجذرية فيها، لولا صواب ومصداقية الأفكار الإسلامية .

٣. والواقعية : هي قدرة الأفكار على التنفيذ .

٤ . والواقعية : هي نجاح هذه الأفكار في تحقيق التغيير الإيجابي المنشود .

إن إمكانية تطبيق ما جاء به رسول الله ﷺ لا يحتاج إلى برهان، ويكفي أننا نرى الملايين من المسلمين اليوم، كما كانوا في السابق يقدمون الدليل على ذلك من ممارستهم الفردية والجماعية لشعائر الإسلام .

لا بل أن فئات عديدة من المسلمين أخذت على عاتقها المبالغة في هذا التطبيق، مما حدا برسول الله ﷺ إلى نهيهم عن هذا لكي لا يكون الأمر سنة ينتهجها من سيأتي بعدهم، فإمكانية التطبيق تتبدى من وجهين : الأول؛ النجاح في إمكانية التطبيق، والثاني : انسجام إمكانيات الأفراد والجماعات مع الغاية والوسيلة .

❋ التفاعل:

نقف هنا وقفة أخرى مع قوله تعالى :]قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الرُّسُلِ[[1]، ولأن رسول الله ﷺ كان تواصلاً مع من سبقه، فهذا يعني بداهة تفاعل تجربته الإبداعية مع التجارب السابقة، مع ما امتازت به تجربته من خصوصية، فإن التجربة المحمدية قد تكون تواصلاً لغيرها بمعنى السير على النهج الواحد الداعي إلى التوحيد، وقد تكون شرعاً مغايراً بالاستناد إلى التفاصيل، ولهذا امتازت التجربة بالتواصل بمعنى أنها تواصل من ناحية، وبتر لما سبق من ناحية أخرى .

إن مكانة رسول الله ﷺ المميزة كنبي ورسول، لم تمنعه من الاستماع إلى وجهات نظر الآخرين والتفاعل معها، فهو ﷺ استمع إلى نصيحة سلمان الفارسي رضي الله عنه وتفاعل مع رأيه القائل باتخاذ خندق حول المدينة، كما واستأنس ﷺ برأي الصحابة رضي الله عنه في اختيار موقع معركة بدر: « ... ثم قال رسول الله ﷺ : سيروا وابشروا فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم . قال : ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي والقُلُبُ ببدر في العدوة الدنيا من بطن التل إلى المدينة، وأرسل الله السماء وكان الوادي دَهِساً فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه منها ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا أن يرتحلوا معه فسار رسول الله ﷺ يبادرهم إلى الماء حتى نزل بدراً فسبق قريشاً إليه فلما جاء أدنى ماء من بدر نزل عليه فقال له الحباب بن المنذر : يا رسول الله منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتعداه ولا نُقَصِّر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة

(١) سورة الأحقاف : الآية ٩ .

؟ فقال رسول الله ﷺ : بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال الحباب : يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل ولكن انهض حتى تجعل القُلُب كلها من وراء ظهرك ثم غوِّر كل قليب بها إلا قليباً واحداً ثم احفر عليه حوضا فنقاتل القوم فنشرب ولا يشربون حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال قد أشرت بالرأي، ففعل ذلك فغوِّرت القُلُب وبنى حوضاً على القليب الذي نزل عليه فملئ ماءً، ثم قذفوا فيه الآنية وأقبلت قريش حين أصبحت يقدمها عتبة بن ربيعة على جمل له أحمر . فلما رآهم رسول الله ﷺ ينحطون من الكثيب قال اللهم هذه قريش قد أقبلت بُخَيلائها وفخرها تحادُّك وتكذب رسولك اللهم فأحنِهم الغداة »[1] .

وهكذا هو دأب العظماء والمبدعين، فكيف إذا كان الأمر منوطاً برسول الله ﷺ وهو درة العظماء وجوهرة المبدعين .

إننا إذ نستعرض هذه الأوجه الإبداعية، نؤكد مجدداً بأن الشواهد والأمثلة التي نسوقها إنما هي للتدليل لا الحصر، وإلا لعجز أي كتاب من الإحاطة بها أولاً، وبإيفاء الموضوع حقه ثانياً .

ولأن الشواهد أكثر من أن تُعدُّ وتحصى، فسيرته وأقواله وأفعاله حتى أدق التفاصيل الصغيرة تنبئ بعظمة إبداعه ﷺ .

لقد كان تفاعل رسول الله ﷺ إيجابياً، فهو ﷺ يضع لتفاعله هدفاً سامياً ألا وهو مرضاة الرب سواء أكانت الأفكار والأفعال جاهلية أو نصرانية أو يهودية .

لقد أقر رسول الله ﷺ حلف الفضول وهو حلف جاهلي وقال فيه : «مَا أُحِبُّ أَنْ أَنْكُثَهُ وَإِنَّ لِي حُمْرَ النَّعَم»[2]، كما أقر اليهود على صوم يوم عاشوراء، وأقر بالأخلاق الحميدة السائدة في الجاهلية، فقال : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَق»[3]، وقال : «خِيَارُكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ

(١) دَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أَحَوال صَاحِب الشِريعَة : ٣/ ٣٥ .

(٢) سُنَن البَيْهَقي الكُبرى : ٦/ ٥٩٦، كتاب الفيء والغنيمة، باب إعطاء الفيء على الديوان، رقم الحديث (١٣٠٨٠) .

(٣) سُنَن البَيْهَقي الكُبرى : ١٠/ ٣٢٣، كتاب الشهادات، باب مكارم الأخلاق ومعاليها، رقم

فِي الإِسْلاَمِ»[١] .

واختياره لأرض النجاشي وهو نصراني، دلالة على تفاعله الإيجابي وتثمينه لمواقف النصارى . ولم يكن هذا التفاعل سلبياً أو شكلياً بمعنى أنه كان متلقياً أو مستحسناً وفعله لما سبقه من تجارب، بل لقد ذهب رسول الله ﷺ إلى ناحية أخرى من التفاعل وهي : بنبذ ما لا يتفق مع مرضاة الرب، لذلك كان يحث على مخالفة اليهود والنصارى والمشركين في كثير من التفاصيل اليومية الدقيقة كالملبس والهيئة والمأكل ناهيك عن العبادة لذلك عندما طلب منه بعض الصحابة أن يتخذ لهم شجرة كشجرة ذات أنواط كما ورد في الحديث الشريف : «أَنَّ رَسُول اللهَّ ﷺ لَمَّا خَرَجَ إِلَى حُنين[٢] مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِين يُقَالُ لَهَا : ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا : يَا رَسُول اللهَّ اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِي ﷺ : سُبْحَانَ اللهَّ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى [اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ][٣] وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ »[٤] .

نلاحظ غضب رسول الله ﷺ، وعدَّ هذا فعلاً جاهلياً وإتباعاً ضالاً لتقاليد من سبقهم .

وبهذا تجرد تفاعله ﷺ من الأهواء والنزعات الشخصية والميول الفردية، لسبب جوهري، هو ارتباط هذا التفاعل بهدف أصيل وثابت : ألا وهو الله جل وعلا .

الحديث (٢٠٧٨٢) .

(١) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٦٤١، كتاب أحاديث الأنبياء، باب [واتخذ الله إبراهيم خليلاً]، رقم الحديث (٣٣٥٣و٣٣٧٤و٣٣٨٣و٣٤٩٠و٤٦٨٩)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٩٦٧، كتاب الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام، رقم الحديث (٢٣٧٨) .

(٢) قال الدكتور : بشار عواد : في نسخة (م) : (خيبر) خطأ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٣٨ .

(٤) سُنَن التِّرْمِذيّ : ٤/ ٤٩-٥٠، أبواب الفتن عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، رقم الحديث (٢١٨٠)، والسُّنن الكُبرى للنسائي : ١٠/ ١٠٠، كتاب التفسير، باب قوله تعالى [فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها]، رقم الحديث (١١١٢١) .

* **العلمية :**

عندما يذهب علماء النفس إلى وصف الإبداع : «بأنه ليس بدعاً عن حياة التعلم ولا هو عمل فطري محض»، فنحن نرى أن أقرب مصطلح يوفي هذا المفهوم حقه، هو العلمية، ولوصف شيء ما بأنه علمي فلا بد من توفر شروط أربع فيه :

١. دراسة المشكلة .

٢. استخلاص القوانين المناسبة .

٣. إيجاد الأداة المناسبة .

٤. التطبيق والمتابعة .

وبهذا نرى أن العلمية وفق هذه الشروط الأربعة تستوجب التعلم والابتعاد عن العمل الفطري المخفي، لأن الإبداع جهد فكري وعملي منظم.

فأين الإبداع المحمدي من العلمية ؟

لقد بينا من تتبع مراحل العملية الإبداعية أغلب هذه النواحي في حياة الرسول ﷺ لأن مراحل الإبداع تكاد تكون متساوقة مع مراحل العملية العلمية وبالذات مسألة دراسة المشكلة .

الإبداع هو القمة في النتاج العلمي والثمرة اليانعة المتميزة فيه، ومع ذلك نشير بإيجاز إلى أن رسول الله ﷺ تعلم وعلّم، أما أن تعلمه فيكفي للتدليل على ذلك نزول الوحي عليه وتلقينه مبادئ الإسلام وتشريعاته، حتى قال رسول الله ﷺ : «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[١] .

أما تعليمه الآخرين فهذا أمر معرفته من البديهيات التي لا يجهلها المشرك والكافر فكيف بالمسلم . واكتشاف القوانين المناسبة، كما أسلفنا متمثل في نشر أهداف الدين التي شكلت العلاج الأوحد لمشاكل العرب أولاً، ولمشاكل المعمورة ثانياً، وكانت الأداة المناسبة هي

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير : ١/ ٢٩٠-٢٩١ .

الصفوة من العرب الذين تتلمذوا على رسول الله ﷺ أي : الصحابة رضي الله عنه، ومن تتلمذ على أيديهم من التابعين، ومن تتلمذ على يد هؤلاء من تابع التابعين حتى قال ﷺ : «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»[(١)] .

والدارس المؤرخ يحتار في أمر هؤلاء الصحابة الكرام رضي الله عنه، فلو تتبعت مسيرة أي منهم، وقارنت بين حياته قبل الإسلام وبعده لوجدت تحولاً غريباً يكاد يكون سحرياً (إن صح التعبير الأدبي)، فكأنهم شربوا دواءً سحرياً فجر فيهم طاقات وإمكانيات هائلة لا تجد لها نظيراً في التاريخ القديم والحديث أبداً .

لقد كان السائل السحري هو تعاليم الرسول ﷺ الإسلامية التي طالت ليس الصحابة فقط، بل العرب عموماً ومن دخل في دين الإسلام إنها إبداعية خلاقة . في أيّ مجال ولجته، أبدعت فيه، ولعمري هذه قمة القمم لا في الإبداع الفردي الذي يمكن أن يتأتى لهذا العبقري أو ذاك، بل في الإبداع الاجتماعي العام الذي لم يتكرر بعد رسول الله ﷺ قط، وكما لم يحدث قبله أبداً .

وكانت المتابعة والتطبيق في أرجح صورهما عند رسول الله ﷺ، فلم يحد رسول الله ﷺ في سلوكه الشخصي أو الاجتماعي عن أهدافه قيد شعرة ولربما نجد كثيراً من المبدعين ذا شخصيتين إحداهما أسرية (وضمن حدود أسرته) والأخرى اجتماعية، المتمثلة في نشاطاته كوجه اجتماعي ورسول الله ﷺ كان ينهل من مورد واحد ويتصرف كإنسان واحد أينما حل وأينما كان حتى وصفته عائشة رضي الله عنه : «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآن»[(٢)] .

---

(١) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٥٠٢، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جورٍ، رقم الحديث (٢٦٥٢و٣٦٥١و٦٤٢٩و٦٦٥٨)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص١٠٢٣، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم الحديث (٢٥٣٣) .

(٢) مُسْنَد الإمام أَحْمَد : ١٤/ ١٤٨، رقم الحديث (٢٤٦٠١) . قال محققه شعيب الأرنؤوط : «حديث صحيح» .

ولم يكن ﷺ في متابعته مجاملاً ولا متناسياً ولا متناقضاً، فقد كان يشخص الخطأ أينما رآه، حتى ذهب البعض من الفقهاء إلى أن كل فعل وعمل حصل في حياة رسول الله ﷺ فهو دليل جوازه، وإلا لنزل الوحي عليه السلام بتبليغه الرسول ﷺ بالامتناع عنه أو بالنهي عنه .

فالمتابعة كانت ذات وجهين متابعة ربانية هي من قبيل [عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ][1]، ومتابعة محمدية مباشرة لما يراه ﷺ كأمره للآكل بقربه عندما أكل بشماله: «كُلْ بِيَمِينِكَ»[2].

إن متابعة المبدعين وتطبيقهم لآرائهم أمر مثير ضمن المسيرة البشرية، ولكنه مهما كان لا يعدو أن يكون متابعة لنشاط محدود أو تطبيقاً لنشاط ضيق ضمن مجال محدود، ككتابة رواية ضمن النشاط الأدبي، والذي هو نشاط من بين عشرات الأنشطة، ولكن أن يكون التطبيق عاماً شاملاً لكافة النشاطات والفعاليات الحياتية دون استثناء، وأيضاً في المتابعة بهذا الوصف أيضاً، فهو أمر يخرج عن نطاق الإبداع الاعتيادي بكل تأكيد .

*** الجدوى :**

نعني بالجدوى، ما اصطلح عليه علماء النفس من وصف العمل الإبداعي بأنه يكون بارعاً يحظى بالقبول والاعجاب، ويتسم بالصحة والجمال والمنزلة والذوق الرفيع، ويحظى بأكبر قسط من الفائدة والاهتمام أو بالإعجاب .

وهذا دون مواربة هو حال الرسول ﷺ وحال الإسلام معاً، فالقبول الذي حظى به الرسول ﷺ تجلى بمبايعة جزيرة العرب كلها له، ولا يتعارض هذا طبعاً مع موجة الرفض التي جوبه بها في بادئ الأمر، فهو أمر بديهي كما بينا، ومع هذا فإن ما يميز القبول المحمدي الإسلامي هو

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٧ .

(٢) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص١٠٦٤، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم الحديث (٥٣٧٦و٥٣٧٧و٥٣٧٨وبعد٥٣٧٩معلقاً)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٨٣٨، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب، رقم الحديث (٢٠٢٢) .

انتشاره انتشاراً واسعاً خلال عشرين سنة ونيف، فقد أغلقت (كما في المصطلح الحربي) جزيرة العرب لصالح الإسلام، وامتد الإسلام سريعاً يكتسح التأييد في مشارق الأرض ومغاربها حتى بلغ ما بلغه.

وتكاد الأمثلة تتابع حتى لو استعرضناها لكان لنا أن نفرد لها كتاباً مستقلاً، ونكتفي بالشواهد والأمثلة التالية؛ إذ أن قصة إسلام كل شخص هي شاهد حي على ما يحظى به رسول الله ﷺ والإسلام من قبول قديماً وحديثاً:

حدث مُحَمَّد بْن إِسْحَاق، فِي قِصَّة الطُّفَيْل بْن عَمْرو الدَّوْسِيِّ قَال: «كَانَ الطُّفَيْل بْن عَمْرو يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ الله ﷺ بِهَا فَمَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْش، وَكَانَ الطُّفَيْلُ سَرِيعاً شَاعِراً لَبِيباً فَقَال لَه: يَا طُفَيْل إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلَادَنَا وَهَذَا الرَّجُل بَيْن أَظْهُرِنَا، قَدْ عَضَل بِنَا وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَإِنَّمَا قَوْلُه كَالسِّحْر يُفَرِّقُ بَيْنَ الرَّجُل وَبَيْن أَبِيه وَبَيْن الرَّجُل وَبَيْن أَخِيه، وَبَيْن الرَّجُل وَبَيْن زَوْجَتِه، وَأَنَا أَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِك، فَإِنْ دَخَلَ عَلَيْك فَلاَ تُكَلِّمْهُ وَلَا تَسْمَعْ مِنْه قَال: فَوَالله مَا زَالُوا بِي حَتَّى أَجْمَعْتُ أَنْ لاَ أَسْمَعَ مِنْهُ شَيْئاً وَلَا أُكَلِّمَهُ حَتَّى حَشَوْتُ أُذُنِي حِين غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِد كُرْسُفاً[1] فَرَقاً مِنْ أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ قَوْلِه، وَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَه، قَال: فَغَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِد، فَإِذَا رَسُول الله ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي عِنْد الْكَعْبَة قَال: فَقُمْتُ مِنْهُ قَرِيباً، فَأَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِه قَال: سَمِعْتُ كَلَاماً حَسَناً قَال: فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاثُكْلَ أُمِّي، وَالله إِنِّي لَرَجُلٌ لَبِيبٌ شَاعِرٌ، مَا يَخْفَى الْحَسَنُ وَالْقَبِيحُ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنْ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ هَذَا الرَّجُل مَا يَقُول؟ إِذَا كَانَ الَّذِي يَأْتِي بِهِ حَسَناً قَبِلْتُه، وَإِنْ كَان قَبِيحاً تَرَكْتُه، قَال: فَمَكَثْتُ حَتَّى انْصَرَف رَسُول الله ﷺ إِلَى بَيْتِهِ فَاتَّبَعْتُه حَتَّى إِذَا دَخل بَيْتَهُ دَخَلْتُ عَلَيْه فَقُلْت: يَا مُحَمَّد إِنَّ قَوْمَكَ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا الَّذِي قَالُوا، فَوَالله مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَك حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنِي بِكُرْسُفٍ لِأَنْ لَا أَسْمَع قَوْلَك، ثُمَّ أَبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِيه، فَسَمِعْتُ قَوْلاً حَسَناً فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَك، قَال: فَعَرَضَ عَلَيَّ الْإِسْلَام،

(١) الكُرْسُفُ: القطن. الصِّحَاح تاج اللّغَة وَصِحاح العربية: ٤/ ١٤٢١، مادة (كرسف).

وَتَلاَ عَلَيَّ الْقُرْآن، قَال : فَوَالله مَا سَمِعْتُ قَوْلاً قطُّ أَحْسَن، وَلاَ أَمْراً أَعْدَل مِنْه قَال : فَأَسْلَمْتُ وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْت : يَا نَبِيَّ الله إِنِّي امْرِؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَأَنَا رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ وَدَاعِيهِمْ إِلَى الْإِسْلَام»[١] .

وروي : «أَنَّ رَسُول الله ﷺ خَرَجَ مِنْ مَكَّة مُهَاجِراً إِلَى الْمَدِينَة، وَأَبو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَمَوْلَى أَبِي بَكْرٍ عَامِر بْن فُهَيْرَة، وَدَلِيلُهُمَا اللَّيْثِيّ عَبْد الله بْن أُرَيْقِط مَرُّوا عَلَى خَيْمَتِيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّة، وَكَانَتِ امْرَأَةً بَرْزَةً جَلْدَةً تَحْتَبِي بِفِنَاء الْخَيْمَة، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ، فَسَأَلُوهَا لَحْماً وَتَمْراً لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِين مُسْنِتِين[٢]، فَنَظَر رَسُول الله ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كَسْرِ الْخَيْمَة، فَقَال : مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَد ؟ قَالَتْ : شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْد عَن الْغَنَم، قَال : هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ ؟ قَالَتْ : هِي أَجْهَدُ مِنْ ذَلِك، قَال : أَتَأْذَنِين لِي أَنْ أَحْلُبَهَا ؟ قَالَتْ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنْ رَأَيْت بِهَا حَلْباً فَاحْلُبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُول الله ﷺ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللهَّ تَعَالَى، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْه[٣] وَدَرَّتْ، فَاجْتَرَّتْ فَدَعَا بِإِنَاءٍ يَرْبِضُ الرَّهْطُ فَحَلَب فِيه ثَجّاً حَتَّى عَلاَهُ الْبَهَاء، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا وَشَرِب آخِرَهُمْ حَتَّى أَرَاضُوا[٤]، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ الثَّانِيَة عَلَى هَدَّةٍ حَتَّى مَلاَ الإِنَاء، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا، ثُمَّ بَايَعَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّ مَا لَبِثَتْ حَتَّى جَاءَهَا زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ لِيَسُوقَ أَعْنُزاً عِجَافاً يَتَسَاوَكْن هُزَالاً مُخُّهُنَّ قَلِيل، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبَدٍ اللَّبَنَ أَعْجَبَهُ، قَال : مِنْ أَيْن لَكِ هَذَا يَا أُمَّ مَعْبَدٍ وَالشَّاءُ عَازِبٌ حَائِل، وَلاَ حلوبَ فِي الْبَيْت ؟ قَالَتْ : لاَ وَاللهَّ إِلاَّ أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَك مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، قَال : صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَد، قَالَتْ : رَأَيْتُ رَجُلاً ظَاهِرَ الْوَضَاءَة، أَبْلَجَ[٥] الْوَجْه، حَسَن الْخَلْق، لَمْ تَعِبْهُ ثَجْلَة[٦]

---

(١) معرفة الصحابة : ٣/ ١٥٦٢، رقم الحديث (٣٩٥٢) .

(٢) أي : نفذ زادهم . لسان العرب : ١١/ ٢٤٩، مادة (رمل) .

(٣) أي : فتحت ما بين رجليها . نهاية الأرب في فنون الأدب : ١٦/ ٢٣٨ .

(٤) أَي : رَووا فنَقَعُوا بالرّيّ . لسان العرب : ٧/ ١٦٢، مادة (روض) .

(٥) أَي : مُسْفِرهُ مُشْرِقُه . لسان العرب : ٢/ ٢١٥، مادة (بلج) .

(٦) أي : دِقَّةٌ ونُحُولٌ، وقالَ بعضُهم : أرادَتْ أَنَّهُ لم يَكُنْ مُنْتَفِخُ الخَاصِرةِ جِدّاً، ولا نَاحِلًا جِدّاً . تاج

، وَلَمْ تُزْرِيه صَعْلَة[1]، وَسِيمٌ قَسِيم، فِي عَيْنَيْهِ دَعِجٌ، وَفِي أَشْفَارِه وَطَفٌ[2]، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ[3]، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ[4]، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزَجُّ أَقْرَن، إِنْ صَمت فَعَلَيْهِ الْوَقَار، وَإِنْ تَكَلَّم سَمَاهُ وَعَلاَهُ الْبَهَاء، أَجْمَلُ النَّاس وَأَبْهَاه مِنْ بَعِيد، وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُه مِنْ قَرِيب، حُلْو الْمَنْطِق فَصْلاً، لاَ نَزْرٌ وَلاَ هَذْر[5]، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ، يَتَحَدَّرْن رَبْعَةٌ[6] لاَ تَشْنَأُهُ[7] مِنْ طُول، وَلاَ تَقْتَحِمُهُ عَيْن مِنْ قِصَرٍ[8]، غُصْنٌ بَيْن غُصْنَيْن، فَهُو أَنْضَرُ الثَّلاَثَة مَنْظَراً وَأَحْسَنُهُمْ، قَدْراً لَهُ رُفقَاءُ يَحُفُّونَ بِه، إِنْ قَال : سَمِعُوا لِقَوْلِه، وَإِنْ أَمَر تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِه، مَحْفُود[9] مَحْشُود[10] لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّد[11]، قَالَ أَبو مَعْبَد : هَذَا وَاللهَّ صَاحِبُ قُرَيْش الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِر»[12] .

وروي عن محمد بن كعب قال حدثت «أن عتبة بن ربيعة وكان سيداً حليماً ـ قال ذات يوم وهو جالسٌ في نادي قريش ورسول الله جالسٌ وحدَهُ في المسجد : يا معشر قريش ألا أقومُ إلى

العروس من جواهر القاموس : ٢٩/ ٣٢٠، مادة (ص ق ل) .

(١) الصَّعْلة : صِغَر الرأس، يقال : رجل صَعْل الرأس إذا كان صغير الرأس . تهذيب اللغة : ٢/ ٢١ .

(٢) أي : طول شعر واسترخاء . أَسَاسُ البَلاغَة : ٢/ ٢١، مادة (وطف) .

(٣) الصَّهْلُ بالفَتْح، مِثْلُ الصَّحَل، وهو البُحَّةُ في الصَّوْت . تاج العروس : ٢٩/٣٣٧، مادة (ص هـ ل) .

(٤) أي : طُول . لسان العرب : ٨/ ١٥٤، مادة (سطع) .

(٥) أي : ليس بقليل فيدلُّ على عِيٍّ ولا بكثيرٍ فاسد . تاج العروس : ١٤/ ٢٠٥، مادة (نزر) .

(٦) أي : ليس بطويل ولا قصير . كتاب العين : ٢/ ١٣٣، مادة (ربع) .

(٧) أَي : لا يُبْغَضُ لفَرْطِ طُولِه . لسان العرب : ١/ ١٠١، مادة (شنأ) .

(٨) أَيْ : لا تَتَجاوَزُه إلى غَيْرِه احْتِقَاراً لَه . تاج العروس : ٣٣/ ٢٣٠، مادة (قحم) .

(٩) هو من يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون في طاعته . مجمع بحار الأنوار : ١/ ٥٣٧، مادة (حفد) .

(١٠) أَي : أَن أَصحابه يخدمونه ويجتمعون عليه . لسان العرب : ٣/ ١٥٠، مادة (حشد) .

(١١) وهو الذي لا فائدةَ في كلامه لِكِبَر، أَصابَه . فهي تَصِفُه ﷺ وتقول : لم يَكُن كذلك . تاج العروس : ٨/ ٥٠٦، مادة (فند) .

(١٢) المُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْن : ٣/ ١٠-١١، رقم الحديث (٤٣٣٣) .

هذا فأَكَلِّمُهُ فأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل منّا بعضها وَيكُفَّ عنَّا ؟ قالوا بلى يا أبا الوليد، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله فَذَكَرَ الحديث فيما قال له عتبة وفيما عرض عليه من المال والمُلك وغير ذلك حتى إذا فرغ عتبة قال رسول الله أفرأيت يا أبا الوليد؟ قال نعم قال فاسمع مني قال أفعلَ . فقال رسول الله ﷺ : [حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آَيَاتُهُ قُرْآَناً عَرَبِيّاً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ][١] فمضى رسول الله فقرأها عليه فما سمعها عتبة أنصت لها وألقى بيديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله إلى السجدة فسجد فيها ثم قال : سمعت يا أبا الوليد ؟ قال : سمعت . قال : فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وَرَاءَكَ يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بِمِثْلِهِ قط، والله ما هو بالشعر، ولا السحر، ولا الكهانة . يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها بي . خلوا بين هذا الرجل، وبين ما هو فيه، واعتزِلُوُه، فوالله لَيَكُونَنَّ لِقولِهِ الذي سمعت نبأٌ، فإن تُصِبْهُ العرب فقد كفيتُمُوه بِغَيْرِكُمْ وإن يَظْهَرَ على العَرَبِ فملْكُه ملْكُكُمْ وعزُّهُ عِزُّكم وكنتُم أسعَدَ الناس به . قالوا : سَحَرَكَ والله يا أبا الوليد بِلِسَانِهِ فقال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم»[٢] .

وكان لإعجاب الصحابة به ﷺ حدٌ يفوق العقل والتصور حتى نحو بصاقه .

ويروي عروة بن مسعود عندما أرسلته قريش ليفاوض رسول الله ﷺ في صلح الحديبية ما كان يكنه الصحابة لرسول الله ﷺ فيقول لقريش :

«أَيْ قَوْمِ، وَاللهَّ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوك، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهَّ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّداً، وَاللهَّ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا

(١) سورة فصلت : الآية ١-٣ .

(٢) دَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرِفة أحَوال صَاحِب الشِريعَة : ٢/ ٢٠٥ .

يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَه»[1] .

إن القبول ومرادفه الإعجاب بلغا مع رسول الله ﷺ والإسلام درجة التعظيم الحق من لدن المسلمين المعاصرين منهم لرسول الله ﷺ أو من تتبعهم مروراً بيومنا هذا وحتى نهاية الأمد، ولا نقول هذا جزافاً ولا اعتباطاً، بل أن الحقائق التاريخية والسماوية تقرر ذلك .

فهل يتصف إبداع رسول الله ﷺ بالصحة، وكما يقرره علماء النفس بما يعنيه : أي الصواب ؟

إن الصواب بعينه هو ما اتصف به ابداعه ﷺ، ولقد حظى رسول الله ﷺ بالتزكية المطلقة من لدن رب السموات والأرض جل جلاله إذ عظمه، وقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة : [وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلاَ وَحْيٌ يُوحَى][2]، لذلك كان الإسلام الحل الأمثل لمشاكل الأمة العربية قديماً وحديثاً .

أما أن يرى البعض عدم إمكانية الإسلام على مواكبة متطلبات العقد الراهن، فهذا عائد لسوء فهمه أولاً، ولسوء التطبيق ثانياً، والتجارب التي ادعت إسلاميتها تجارب قاصرة وذات أفق ضيق، وتجسيد منفر، فلهذا لم تكن ولن تكون ممثلة للإسلام الحق، وحالها كحال الدواء الناجع الذي يساء التطبب به، فيوحي للجهلة من الناس بعدم جدواه .

إن الإسلام لم يقدم حلولاً لمشاكل ظرفية كآثار فيضان مدمر على أراضٍ زراعية، أو كيفية الفوز بمباراة لكرة القدم، بل أنه عالج مكامن الخلل في النفس البشرية بحالتها الفردية والجماعية، ولأن الإنسان هو ذاته مهما اختلف الزمان والمكان فقد كان العلاج المحمدي فعالاً مهما تغيرت الظروف المحيطة به .

(١) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٥٢٣، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، رقم الحديث (٢٧٣١و٢٧٣٢).

(٢) سورة النجم : الآية ٣-٤ .

أما التطورات التي طرأت وتطرأ على الإنسان فهي مهما بلغت من قوة تأثير لا تزيد عن كونها رتوشاً ليس إلا، والدليل على ذلك أن الأنانية أو حب التضحية، والغيرة والجود والبخل والغضب والحب والرغبة في التناسل وحب المأكل والمشرب والملبس لم يتغير عبر العصور الطويلة، وهي بالتأكيد لن تتغير، فمدنية الإنسان الراقية لم تمنعه ولا يمكن أن تمنعه عن سد حاجته من الجوع أو السعي إلى لذيذ الأطعمة مهما تغيرت طرق طهوها واعدادها، فاللحوم ركن أساسي من مائدة الإنسان حتى إن تركه البعض لسبب أو لأخر، ويحضرني هنا مقولة لأحد رواد الفضاء الأمريكان عندما سئل عن رأيه بالطعام المركز الذي يتناوله في الفضاء الخارجي والذي من صفاته احتواؤه على أغلب المواد المفيدة للجسم وقلة الفضلات المتولدة عنه فقال : أفضل أن أنهش قطعة لحم بأسناني على هذا الطعام .

ويتجلى بوضوح التسليم لمن تعوزه الأدلـة العديدة للبرهنة على صحة ما جاء به البشير ﷺ، ليس بحاجة إلى كثير أدلة لإثباته فحتى أعداء الإسلام لم يتمكنوا من إنكار هذه الحقيقة، لذلك راحوا يصطادون في الماء العكر ويحاولون ارجاع أسباب هذا النصر المحمدي العظيم إلى مسببات غير حقيقية أو يسعون إلى الطعن فيه منطلقين من عقائدهم الفاسدة وحقدهم الدفين . إن الصحوة العربية الرائعة المتفردة التي أحياها رسول الله ﷺ وما عكسته من إشعاعات إنسانية خالدة الدليل القاطع على صحة ابداع حبيبنا محمد ﷺ .

لو نظرنا إلى الصحة باعتبارها العافية والسلامة من المرض فإنك لا تجد ديناً اهتم بصحة المجتمع والإنسان كالإسلام، كما ولن تجد رسولاً ولا حتى زعيماً أو قائداً قد تطرق في ملاحظاته ووصاياه إلى أبسط التفاصيل الصحية كرسول الله ﷺ .

وأقولها بثقة مطلقة : لو حاول أي موسوعي أن يضع موسوعة لمشاهير الأطباء في التاريخ لكان رسول الله ﷺ في مقدمتهم، فهو طب القلوب ودواءها، وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها، الطبيب البدني الذي شخص وعالج وهدى للوقاية من أمراض الأبدان، والطبيب النفساني الذي شخص وعالج وهدى للوقاية من أمراض النفوس، وتتعاظم عظمته

إذ عرفنا أنه نبي أُميّ، أو أنه عاش في مجتمع أُميّ لم يعرف الطب كما كان يعرفه المجاورون من الأمم الأخرى .

وجمالية الإبداع المحمدي تزهو أمامنا من أي زاوية نظرنا بها إلى الموضوع ومن أي مدرسة فكرية أو رأي لفهم الجمال .

فإن كان الجمال هو التوافق التام بين الفكرة والممارسة، أي البعد الأخلاقي فيه، فإن رسول الله ﷺ كان الحجة المبينة في هذا الصدد، فلم يحد عن مبادئه وعما اختطه من هدف له .

وإن كان المقصود بالجمال هو الجمال الشكلّي، فهذا لا يخرج عن نطاق الإبداع المحمدي فلقد حظى به رسول الله ﷺ تماماً .

وإن عنينا به الجمال الروحي فمحمد ﷺ هو القمة الشاهقة في هذا المجال .

وإن أردنا الحديث عن الجمال بصفته التناسق والتناغم والوقع المؤثر في النفوس إيجاباً، فرسول الله ﷺ هو الموئل المقصود حقاً .

أما الذوق الرفيع فأمامنا مدرسة خالدة وارفة الظلال مشعة بالأنوار هي مدرسة النبي محمد ﷺ .

ومن هذا كله نخلص إلى أن الجدوى والفائدة التي لا تقف أمامها حدود هما ميزتان من الميزات التي لا تحصى لرسول الله ﷺ، والتي أنعم بها الله تعالى عليه .

❋ التحررية :

ما نقصده بالتحررية هو تحرر من كل الرواسب والمخلفات السابقة وخلقه لظروف جديدة للوجود الإنساني .

وما بيناه في تضاعيف الحديث عبر الصفحات السابقة كفيل بأن يرسم لنا حقيقة هذا كله عند رسول الله ﷺ .

وبهذا نجد أن ملامح الإبداع كما قررها علماء النفس في شخص رسول الله ﷺ لا تشكل إلا قطرة من بحر خصاله وصفاته وبما حباه الله تعالى، حتى إنك لتقول: إن الإبداع مقتبس من

محمد ﷺ وإن محمداً هو المعيار الإبداعي النموذجي الشامل والإنساني والتاريخي الخالد .

لربما نكون رومانسيين في طرحنا، إذ نقلل من الاستشهاد بالأدلة المؤيدة للأفكار المطروحة، ولكن ملامح الإبداع لدى رسول الله ﷺ ناطقة بفعلها، متحدثة عن نفسها، ومجرد كونه نبياً لأمةٍ تجعلنا نغض النظر عن كثيراً من الشواهد التي هي من البديهيات أساساً .



المبحث الأول

مراحل العملية الإبداعية في حياة الرسول ﷺ

* مرحلة الإعداد :

١ . هذه المرحلة تشكل السلمة الأولى في مرقى الإبداع، وتأتي تلك البداية بشكل مفاجئ وغامض في الغالب[١] .

هذه المرحلة هي التي طبعت بها سيرة رسول الله ﷺ قبل التجائه إلى غار حراء للتعبد فهي ومضت في حياته فجأة، ودون تخطيط مسبق، ولم يسمع بها من قبل لا في قريش، ولا في جزيرة العرب، ولا في تاريخ العرب ولا في التاريخ القريب لمن سبقهم من الأمم، إنها أول مفاجأة في حياته ﷺ، وضعته أمام سؤال محير، لا بل أمام مفترق الطرق والخيار الصعب، آلا وهي حادث (شق الصدر) .

لقد وقع هذا الحادث في طفولته ﷺ المبكرة، فقد كان ﷺ إذ ذاك في بادية بني سعد عند مرضعته حليمة السعدية، إذ روى أنس بن مالك رضي الله عنه «أَنَّ رَسُول اللهَّ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيل عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَان، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِه، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْب، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَال : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَان مِنْك، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاء زَمْزَم، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِه، وَجَاء الْغِلْمَان يَسْعَوْن إِلَى أُمِّهِ يَعْنِي ظِئْرَه، فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِل، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْن، قَالَ أَنَس : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِه»[٢] .

(١) آفاق جديدة في دراسة الإبداع : ص٥٠ .

(٢) صَحِيْح مُسْلِم : ص٩١، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٢) .

وكان ذلك وهو ابن أربع سنين تقريباً .

وتكررت هذ الحادثة الفريدة من نوعها وهو ابن عشر سنين، إذ يقول الصحابي الجليل أُبيّ بن كَعْب : «أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَان جَرِيئاً عَلَى أَنْ يَسْأَل رَسُول الله ﷺ، عَنْ أَشْيَاءَ لاَ يَسْأَلُهُ عَنْهَا غَيْرُه، فَقَال : يَا رَسُول الله، مَا أَوَّل مَا رَأَيْتَ فِي أَمْرِ النُّبُوَّة ؟ فَاسْتَوَى رَسُولُ الله ﷺ جَالِساً وَقَال : لَقَدْ سَأَلْتَ أَبَا هُرَيْرَة إِنِّي لَفِي صَحْرَاءَ ابْنُ عَشْرِ سِنِين وَأَشْهُر، وَإِذَا بِكَلاَم فَوْقَ رَأْسِي، وَإِذَا رَجُل يَقُول لِرَجُل : أَهُوَ هُو ؟ قَال : نَعَمْ، فَاسْتَقْبَلاَنِي بِوُجُوه لَمْ أَرَهَا لِخَلْق قَطّ، وَأَرْوَاح لَمْ أَجِدْهَا مِنْ خَلْق قَطّ، وَثِيَابٍ لَمْ أَرَهَا عَلَى أَحَد قَطّ، فَأَقْبَلا إِلَيَّ يَمْشِيَان، حَتَّى أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِعَضُدِي، لاَ أَجِدُ لأَخْذِهِمَا مَسّاً، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه : أَضْجِعْهُ . فَأَضْجَعَانِي بِلاَ قَصْرٍ وَلاَ هَصْرٍ . فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِه : افْلِقْ صَدْرَهُ، فَهَوَى أَحَدُهُمَا إِلَى صَدْرِي، فَفَلَقَهَا فِيمَا أَرَى بِلاَ دَم وَلاَ وَجَع، فَقَال لَهُ : أَخْرِجِ الْغِلَّ وَالْحَسَد، فَأَخْرَجَ شَيْئاً كَهَيْئَةِ الْعَلَقَة، ثُمَّ نَبَذَهَا فَطَرَحَهَا، فَقَال لَه : أَدْخِل الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَة، فَإِذَا مِثْلُ الَّذِي أَخْرَجَ يُشْبِهُ الْفِضَّة، ثُمَّ هَزَّ إِبْهَامَ رِجْلِي الْيُمْنَى، فَقَال : اغْدُ وَاسْلَمْ فَرَجَعْتُ بِهَا أَغْدُو بِه رِقَّةً عَلَى الصَّغِيرِ وَرَحْمَةً لِلْكَبِيرِ»(١) .

وكأن هاتين الحادثتين قدرهما الله تعالى وفي مرحلتين عمريتين متقاربتين الغرض منهما تأكيد الفعل أولاً فجاءت الحادثة الأولى في أول تباشير الوعي، سن الرابعة التي يبدأ فيها الطفل فهم ما حوله وتشكيل أول إرهاصات المعرفة، فنزع عنه حظّ الشيطان الرجيم، لتكون هذه الإرهاصات نقية مطهرة عن الدنس، وجاءت الحادثة الثانية وهو ﷺ في العاشرة، وهي السن الملائمة لإتيان الأفعال الإرادية، لذلك يقول ﷺ «مُرُوا أولاكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع سِنين، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عَشر»(٢)، فجاءه الملكان الكريمان ونزعا عنه الغِل والحسد، للإيحاء بنقاوة أعماله ﷺ منهما.

(١) مُسْنَد الإمام أَحْمَد : ٣٥/ ١٨٠-١٨٢، رقم الحديث (٢١٢٦١) .

(٢) سُنَن أَبِي دَاوُد : ص٧٧، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، رقم الحديث (٤٩٥) .

وعلى الرغم من تكرار هاتين الحادثتين في سني عمره ﷺ الأولى فقد تكرر الأمر عندما كان ﷺ في الخمسين من عمره، فقد روى أَنَس بن مَالِك عن مَالِك بْن صَعْصَعَة رضي الله عنه «أَنَّ نَبِيَّ اللهَّ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَة أُسْرِيَ بِه بَيْنَمَا أَنَا فِي الْحَطِيم وَرُبَّمَا قَال فِي الْحِجْر مُضْطَجِعاً إِذْ أَتَانِي آتٍ فَقَدَّ قَالَ وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ فَقُلْتُ لِلْجَارُود وَهُوَ إِلَى جَنْبِي مَا يَعْنِي بِه قَالَ مِنْ ثُغْرَةِ نَحْره إِلَى شِعْرَتِه وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِه فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَاناً فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيد»[(١)] .

وفي رواية أخرى عن أَنَس بن مَالِك قَال : «كَان أَبو ذَرّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَال : فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيل، فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاء زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَه»[(٢)]، وهي الحادثة الرابعة، أو الحادثة الثالثة برواية أخرى .

لقد جاءت الحادثة الثالثة، وبعد أن تحمل ﷺ أعباء النبوة، فملئ قلبه إيماناً، ليهيئ كداع للإيمان، ثم جاءت الحادثة الرابعة ليمتلئ قلبه حكمة وليهيئ للمرحلة الأخيرة من حياته، مرحلة قيادة المسلمين في بناء دولتهم الجديدة .

حسبنا الحادثة الأولى والثانية فهما اللتان شكلتا نقطة التحول المفاجئ والغامض، والفجأة فيهما بينة، والغموض متحقق من عجز الكثيرين عن تصور هذه الأحداث، وكيفية حدوثها، لا بل إن البعض تمادى إلى تكذيبها، لا لشيء إلا لمخالفتها المألوف، ويتناسى هؤلاء أن النبوة بحد ذاتها نمط خارج عن المألوف وهؤلاء يدّعون أن الله تعالى قادر على الإتيان بالشمس من المغرب

(١) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٧٣٧، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم الحديث (٣٨٨٧و٣٢٠٧)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٩٢، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٤) .

(٢) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٩٠، كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم الحديث (٣٤٩) .

بدلاً من المشرق، ولكنهم يرفضون فكرة شق صدر الرسول ﷺ، والله على كل شيء قدير .

٢. «وفي هذه المرحلة يتجه المبدع إلى تنمية تلك البذرة الأولى بالقراءة، وتدوين الملاحظات، وإدارة الحوار، والمناقشات وإلقاء الأسئلة، وجمع الشواهد وتسجيلها، ومن المؤكد أن نجاح هذه المرحلة يرتهن بوجود تلك القدرات قوية وحية لدى المفكر»(١) .

إن الارتقاء إلى مراحل إبداعية متقدمة لم يأتِ في حياة الرسول ﷺ فجأة، بل خبر بنفسه تفاصيلاً دقيقة، نظر إليها بعين الإبداع النافذة، وفهم منها ما لم يفهمه غيره، وهذه طائفة من الحوادث التي عاشها رسول الله ﷺ، وقد تجلت فيها نظرته الفاحصة الدقيقة، وتحريه الدائب الرصين من أجل الحقيقة المطلقة، التي ينطوي تحتها كل أشكال الإبداع .

كان رسول الله ﷺ شاباً يتفجر رجولة وفتوة، ومكة تعج بمختلف الملذات الجسدية، ولا بد أن محمداً ﷺ كان فارساً لأحلام العديد من الصبايا والغواني، فهو ذو أرومة شريفة ونسب ضارب إلى العراقة في الجذور، وأخلاقه الرفيعة العالية، وشخصيته المميزة ووسامته وجماله، كل هذا لا يجعله صيداً مرغوباً حسب، بل هدفاً مطلوباً، وهذه المزايا تهوّن فقره ويتمه .

فالمؤشرات والمزايا التي يحملها تؤهلانه للخوض في الملذات الجسدية لو شاء، فحانات الخمر منتشرة في كل مكان، وبيوت الدعارة مبثوثة هنا وهناك، والقينات، والمعازف، منتشرة في بيوتات معينة، والشباب يتهالك ويندمج في حياة العبث، دون مانع أو وازع، وعن ذلك يحدثنا رسول الله ﷺ عن نفسه عما حصل له حيال ذلك كله فيقول : «مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ بِهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّة إلاَّ مَرَّتَيْن»(٢) .

أما كيف ؟ ولماذا ؟ وأين ؟ فإليك القصة كاملة : «مَا هَمَمْتُ بِقَبِيحٍ مِمَّا يَهُمُّ به أَهْلُ الْجَاهِلِيَّة إلاَّ مَرَّتَيْن مِن الدَّهْر كِلْتَاهُمَا عَصَمَنِي اللهُ مِنْهُمَا، قُلْتُ لَيْلَةً لِفَتىً كَان مَعِي مِنْ قُرَيْش بِأَعْلَى مَكَّة

(١) آفاق جديدة في دراسة الإبداع : ص٥١ .

(٢) صَحِيْح ابْن حِبَّانَ بترتيب ابن بلبان : ١٤/ ١٦٩، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، رقم الحديث (٦٢٧٢).

فِي غَنَم لأَهْلِنَا نَرْعَاهَا : أَبْصِرْ لِي غَنَمِي حَتَّى أَسْمُرَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ بِمَكَّة كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَان ؟»(١) .

إن الحقيقة تتبدى من بين كلماته، لم يكن الوازع جسدياً، ولا موعداً مع الفتيات، بل رغبة في دخول هذا العالم المجهول بالنسبة له، ليعرف حقيقته، وما يدور فيه عن كثب، وليرى وليتحسس بأم عينه، أي سمر ينفث في هذه البيوتات ؟ وأي لذة تهبها النسوة ؟ وأي راحٍ يحتسون ؟ «كَمَا يَسْمُرُ الْفِتْيَان» نعم إنها محاولة للفهم وللتجريب، وللمعرفة . إنه لم يقل لأمتع نفسي ولا أزيح الكبت عن جسدي، ولا أعاني من شبق، ولا من وحدة، وهو مع الغنم في الليل البهيم .

ولكن ماذا حصل : يقول ﷺ : «فقال بلى قال فدخلت حتى إذا جئت أو دار من دور مكة سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير فقلت ما هذا فقيل تزوج فلان فلانة فجلست أنظر»(٢) .

لقد جلس رسول الله ﷺ ليرى حفلة عرس، وليسمع عزفاً، فهذا هو الذي همّ به، لم يسعَ ليحتسي خمراً حاشاه، ولا لينال لذة ما، بل جلس ينظر ويراقب ويدرس الحالة دراسة متأنية عن كثب، ولكن أنى له هذا ؟ فيقول ﷺ: «فجلستُ أَنظر، وضرب الله، تعالى على أذني، فوالله ما أَيقظني إِلا مسُّ الشمس فرجعت إلى صاحبي، فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما فعلتُ شيئاً، ثُمّ أَخبرتهُ بالذي رأيت، ثم قلت له ليلة أخرى : أبصر لي غنمي حتى أَسمر بمكة، ففعل فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذي سمعت تلك الليلة، فسالت، فقيل : فلان نكح فلانة، فجلست أَنظر، وضرب الله على أُذنيَّ، فوالله ما أَيقظني إلا مَسُّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال : ما فعلت ؟ فقلت : لا شيء، ثم أَخبرتهُ الخبر فوالله ما هَمَمْتُ ولا عدت بعدها لشيءٍ من ذلك، حتى أَكرمني الله، عز وجل، بنبوته»(٣) .

---

(١) صَحِيْح ابْن حِبَّانَ بترتيب ابن بلبان : ١٤/ ١٦٩، كتاب التاريخ، باب بدء الخلق، رقم الحديث (٦٢٧٢)، والمُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْن : ٤/ ٣٧٥، كتاب التوبة والإنابة، رقم الحديث (٧٧٠٠) .

(٢) دَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أحَوال صَاحِب الشِريعَة : ٢/ ٣٣ .

(٣) دَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أحَوال صَاحِب الشِريعَة : ٢/ ٣٣-٣٤ .

إن هذه الأحداث تبين أن رسول الله ﷺ قد انتابته قبل النبوة ما ينتاب غيره من الفتيان أحياناً إلا أن حفظ الله، صرف عنه ذلك، ما كان هذا لولا جبلته الخيرة الطيبة .

لقد أراد أن يكتشف ما حوله ويتحرى ويدقق ويبحث في طبيعة ما يجري حوله .

وعندما عزم مرتين وصرفَ الله عنه فيهما ذلك، علم بعبقريته النافذة أنه ليس له من هذا الأمر شيء، وأن قوة أكبر منه تحجب عنه هذا، فما كان إلا وقد استكانت نفسه الطاهرة لمشيئة الله وقضاءه .

ولا يعلل هذا جهلاً بأنه الإحباط، أو التقاعس، فاللذات لها قوة خارقة لا يصمد أمامها تقاعس، ولا عزم، لا سيما في حالة غياب الوازع الديني والاجتماعي أو الخلقي، فما بالك إن كانت كل هذه عوامل دفع لا عوامل منع، لا سيما في مجتمع كمجتمع مكة قبل الإسلام .

إننا نرى ملامح العبقرية والإبداع في فعل رسول الله ﷺ، فهو لم يعتد بفشله في المرة الأولى وربما أرجع أسبابها إلى إجهاده وتعبه، أو سوء حظه، ولكنه في المرة الثانية قد احتاط للأمر واتخذ ما يلزمه من إجراءات تضمن له ليلة سمر سعيدة .

ولما حبط سعيه في الثانية، لم يلجأ إلى التبريرات والأعذار والتسويف، بل فهم من هاتين الحالتين ما لا يفهمه غيره، حتى وإن لم يبلغ بالنُّبوّة، ولكنه وثق من أن قوة خفية تمنعه من الإقدام على أمر كهذا، لقد بدأ ينسج خيوط النبوة، شق صدره، تقاعسه عن مسامر قريش والشواهد الأخرى التي سنبين بعضها لاحقاً .

٣. يذهب علماء النفس إلى أن هذه المرحلة تتسم بخلق الاتجاه الإبداعي العام، وبلورة الشروط الأولية للإبداع .

ولنرى كيف سعى الرسول ﷺ إلى خلق اتجاهه الإبداعي المتميز والمتسم بإعلاء كلمة التوحيد .

عن ابن عباس قال : «حدثتني أم أيمن قالت : كان بِبُوانة صنمٌ تحضره قريشٌ وتعظّمه وتُنسِك له النَّسائِك، ويحلقون رؤوسهم عنده، ويعكفون عنده يوما إلى الليل، وذلك يوم في

السنة . وكان أبو طالب يحضره مع قومه، وكان يكلّم رسول الله ﷺ أن يحضُر ذلك العيدَ مع قومه، فيأبى رسول الله ﷺ، حتى رأيتُ أبا طالب غَضِبَ عليه أسوأ الغضب، فيقول : إنَّا نخافُ عليك مما تصنعُ من اجتناب آلهتنا [ورأيت عماته غَضِبنَ عليه يومئذ أشد الغضب] وجعلن يقلن : ما تريدُ يا محمد أن تحضُرَ لقومِك عيداً ولا تُكَثِّرَ لهم جمعاً ؟ قالت : فلم يزالوا به حتى ذهب، فغاب عنهم ما شاء الله، ثم رجع إلينا مرعوباً، فقلن عمّاتُه : ما دهاك ؟ قال : إني أخشى أن يكون بي لَمَمٌ، فقلن : ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان، وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذي رأيت ؟ قال : إني كلما دَنَوْتُ من صَنَم منها تمثَّل لي رجلٌ أبيضُ طويل يصيحُ بي : «وَرَاءَكَ يا محمدُ لا تمسهُ قالت أم أيمن : فما عاد إلى عيدٍ لهم ﷺ»[1] .

إن هذا المانع الخفي، الذي جعل بين محمد رسول الله ﷺ وبين الأصنام سداً مانعاً، إنما هو الركن الأساسي للإبداع النبوي المحمدي، وهو جوهر عقيدة الإسلام ؛ التوحيد بنبذ الأصنام والابتعاد عنها، وعدم التقرب إليها .

وفي هذا يقول ابن خلدون عن علامات النُّبُوّة : «أَنَّهُ يوجدُ لهم قبلَ الوحي خُلُقُ الخير والزَّكَاء، ومجانبة المذموماتِ والرِّجس أجمع وهذا هو معنى العِصْمَة وكأَنَّهُ مفطورٌ على التَّنَزُّه عن المذمومات والمنافرة لها وكَأنَّها مُنَافِيَةٌ لجِبلَّتِه»[2] .

وهذا الذي اصطلح ابن خلدون على تسميته بالفطرة على التنزيه، ليس إلا بلورة الشروط الأولية للإبداع .

٤ . ومن ملامح هذه المرحلة كما يحددها علماء النفس (تحديد جانب معين والاهتمام به) .

وهذا الجانب هو ما يمكن التعبير عنه بالاختصاص الخاص، أو لبة التطلعات، فرسول الله ﷺ ركز جهوده الفكرية والسلوكية على الكيفية التي تؤهله لأن يكون في مستوى النبوة، وهي

---

(١) دَلَائِل النُّبُوّة، لأبي نعيم : ١/ ١٨٧ .

(٢) مُقدِّمة ابن خلدون : ١/ ٢٠٢ .

مرحلة فوق الإبداع – وهذا ما سنبينه لاحقاً – أما لماذا يكون في مستوى النبوة ؟

إن المصادر المتوفرة لدينا أو التي ترجمت حياة الرسول ﷺ قبل النبوة يسيرة ولا تمدنا إلا بالكفاف، على خلاف حياته ﷺ بعد النبوة، ومع ذلك فإن سعيه ﷺ لأن يكون بمستوى النبوة عائد إلى ما لمسه بنفسه من قرائن، وما قيل بحقه من قبل الآخرين، ومنها :

كان عبد المطلب يقرّب محمداً ﷺ إليه ويضمه ويحن عليه، ويرى له رقة لم يرقها على ولده من قبل، وكان يقربه منه ويدنيه، ويدخل عليه إذا خلا، وإذا نام، وكان الرسول يجلس على فراش جده، فيهبون لمنعه، فما كان يسمح لولد عبد المطلب أن يجلسوا على فراش أبيهم، فيقول عبد المطلب حينما يرى ذلك : «دعوا ابني إنه لَيُؤْنس مَلِكاً»[(١)] .

أي أن الملوك تأنس به، فكيف وهو طفل صغير ؟ لا بد أن فيه من الخصال ما فيه، ولا بد أن رسول الله ﷺ عرف هذا منذ نعومة أظفاره، فكان بمستوى ما قيل فيه وما قيل بحقه .

ويؤيد هذا ما روي عن عبد المطلب عندما رآه مرة بعيداً عن رعاية أم أيمن التي حضنته بعد وفاة أمه، فقال لها : «يا بركة لا تغفلي عن ابني، فإني وجدته مع غلمان قريب من السدرة، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبي هذه الامة»[(٢)] .

وهذه الأقاويل التي كانت تبشر بنبوته عديدة جداً، وقد تواترت بشكل ينفي أي شك حولها .

ومنها : «ما نقل عن الرهبان والأحبار وعلماء أهل الكتاب، من صفته وصفة أمته، واسمه وعلاماته، وذكر الخاتم الذي بين كتفيه، وما وجد من ذلك في أشعار الموحدين المتقدمين، من شعر تبع، والأوس بن الحارثة، وكعب بن لؤي، وسفيان بن مجاشع، وقيس بن ساعدة . وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم، وما عرف به من أمره زيد بن عمرو بن نفيل، وورقة بن نوفل،

(١) دَلَائِل النُّبُوّة، لأبي نعيم : ١/ ١٦٤-١٦٥ .
(٢) السيرة النبوية، لابن كثير : ١/ ٢٤٠ .

وعثكلان الحميري، وعلماء اليهود، وشامول عالمهم صاحب تبع ـ من صفته وخبره . ما أُلفي من ذلك في التوراة والإنجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه، ونقله عنهما ثقاة ممن أسلم منهم، مثل ابن سلام، وابني سعية، وبنيامين، ومخيريق، وكعب، وأشباههم ممن أسلم من علماء اليهود، وبحيرا، ونسطور الحبشة، وضغاطر، وصاحب بصرى، وأسقف الشام، والجارود، وسلمان، والنجاشي، ونصارى الحبشة، وأساقف نجران، وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى، وقد اعترف بذلك هرقل، وصاحب رومة عالما النصارى، ورئيساهم، ومقوقس صاحب مصر»[١] .

فهؤلاء وغيرهم عرفوا بنبوة محمد ﷺ وبعضهم عرفها عندما كان شاباً يافعاً، وبعضهم عرفها قبل بعثه وصدقها عند بعثه دون ريب أو شك، فكثافة الأخبار الصادرة من أكثر من مصدر لا بد وأنها غرست في نفس النبي ﷺ أمراً عظيماً أنه مقدم على شأن خطير .

كل هذا بالإضافة إلى ما جُبِلَ عليه جعله يحمل سمات المبدعين في هذه المرحلة «تحديد الاتجاه نحو الإبداع» فحمل الصفات المتساومة مع نعمة النبوة، والأدلة على ذلك مشهورة معروفة نسوق منها للتعريف لا للحصر لسعته، ولا للتدليل لشهرته، منها المحاورة بين هرقل عظيم الروم وبين أبي سفيان وهو رأس الشرك آنذاك، لكنه لم يستطع مع حراجة الموقف إلا أن يجيب بصدق ويصف رسول الله ﷺ بما هو أهله، والتي دفعت هرقل إلى استنتاج الصفات التالية عن النبي ﷺ، وهذه مقتطفات من حديث هرقل فتأمل : «سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ...، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَال، فَذَكَرْتَ أَنْ لاَ، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاس وَيَكْذِبَ عَلَى الله»[٢] .

وعندما اختصم أمية بن خلف مع سعد بن معاذ رضي الله عنه، قال له سعد رضي الله عنه: «دَعْنَا عَنْكَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ مُحَمَّداً ﷺ يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلُكَ، قَالَ : إِيَّايَ ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ : وَاللهِ مَا

(١) شرَحُ الشِفَاء للقاضي عياض : ٧٣٩-٧٤٥ .
(٢) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٢٣، كتاب بدء الوحي، باب ٦، رقم الحديث (٧) .

يَكْذِبُ مُحَمَّدٌ إِذَا حَدَّثَ، فَرَجَعَ إِلَى امْرَأَتِه، فَقَال: أَمَا تَعْلَمِينَ مَا قَال لِي أَخِي الْيَثْرِبِيُّ ؟ قَالَتْ : وَمَا قَال ؟ قَال : زَعَمَ أَنَّهُ سَمِعَ مُحَمَّداً يَزْعُمُ أَنَّهُ قَاتِلِي، قَالَتْ : فَوَالله مَا يَكْذِبُ مُحَمَّد»[1] .

وما يؤكد وصف قريش له بالصادق الأمين، والرواية التالية تصب في المجرى نفسه، فعندما دعى قومه إلى الإسلام قال لهم محاججاً : «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلاً بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلاَّ صِدْقاً»[2] .

فهذه الحوادث التي ترويها لنا كتب الصحاح تؤكد مصداقية رسول الله ﷺ وخلقه الرفيع، وتمسكه بالطريق المؤدي إلى الهدف وما يستلزمه .

٥. ومن صفات مرحلة الإبداع أيضاً «التهيؤ لعملية جمع المعلومات والبيانات الملائمة واستيعابها» .

وهذه السمة وإن كانت تحمل ذات المضامين التي بيناها في النقطة (٢) . إلا أن تهيؤ الرسول ﷺ لجمع المعلومات ما كان من قبيل التعرف على مسير الأمم السابقة وتجاربها أو سير الرسل والأنبياء الذين من قبله، فهو لم يكن مؤمناً بالنبوة، وإن حمل تباشيرها منذ ولادته عندما رأت أمه نوراً خرج منها أضاء قصور بصرى لأنها أمر إلهي محض، ولكنه جمع المعلومات والبيانات الملائمة لمهمته الإبداعية (فائقة الإبداع) عن مجتمعه الراهن حتى أدق التفاصيل، وتبين عظم استيعابه لها بعد نبوته، فما كانت تفوته شاردة ولا واردة إلا عرفها وخبرها وكان له فيها الرأي الفصل .

فإذا تحدث القوم في الأنساب، كان الحجة، وإذ تحدثوا في عادات العرب وتقاليدهم وألسنتهم ولغاتهم وجدتهُ مُحيطاً، مُلِّماً بها، فعندما سأله أحد الأعراب : «يا رسول الله هل من

---

(١) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٦٩٣-٦٩٤، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٦٣٢) .

(٢) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٩٢٩، كتاب التفسير، باب وانذر عشيرتك، رقم الحديث (٤٧٧٠)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص١١٤، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي ﷺ، رقم الحديث (٢٠٨) .

أمبر أمصيام في سفر ؟»، وهذا القول بلغة (طيء)، ويعني : (هل من البر الصيام في السفر) لم يستغرب رسول الله ﷺ من لغة السائل، ولا سئل من معه عن معنى ما يقول، وهو أيضاً لم يفهم التساؤل وحسب، بل أجابه بلهجته قائلاً : «لَيْسَ مِنَ امْ بِرِّ، امْ صِيَامُ، فِي امْ سَفَر»[1]، ولم تقف معرفته ملفات العرب بل وحتى لغات غير العرب، فعندما رأى حبشية ترتدي ثوباً جميلاً قال لها «هَذَا سَنَا»[2]، وهي كلمة حبشية تعني (حسن)، وإذا جرى حديث في الطب وجدته سباقاً، وهكذا حتى أدق التفاصيل وأشملها، وما كان هذا لولا تحريه عن ذلك كله واختباره له، ولا يعني هذا أنه لم يكتسب خبرات مضافة بعد نبوته عليه الصلاة والسلام .

٦. العمل المكثف، والموجه لتأييد الفكرة، واثرائها من سمات المرحلة أيضاً كما يقول علماء النفس، إن هذه السمة، وإن كانت تتجلى في المرحلة أو المراحل القادمة بشكل أثرى وأعمق .

لكنها جلية في هذه المرحلة أيضاً، وما بيناه من عزوفه ﷺ عن التقرب إلى الملذات الجسمية، التي شكل جهادها في الإسلام حجر الأساس، وتجنبه التقرب إلى الأصنام الذي هو الركن الأساس في نشر الإسلام وفي عقيدة التوحيد .

ولكن الفارق بين الإبداع الاعتيادي والإبداع الخارق إبداع النبوة، أن إبداع النبوة لم تتجلَ التهيئة له من نشر دعوة، وتوحيد أركان الدين، إلا بعد نزول الوحي، أما في الإبداع الاعتيادي فإن اتخاذ القرار للشروع فيها، أمر بشري محض .

٧. تباين مرحلة الإعداد من مدة قصيرة إلى مدة طويلة بحسب طبيعة المشكلة وبحسب طبيعة الفرد .

إن مرحلة الإعداد امتدت فترة زمنية طويلة، فهي تنتهي مع نزول الوحي عليه السلام عندما كان رسول الله ﷺ في الأربعين من عمره، أما من أين ابتدأت هذه المرحلة، فلا نستطيع

(١) مُسْنَد الإمام أَحْمَد : ٣٩/ ٨٤، رقم الحديث (٢٣٦٧٩) .

(٢) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٥٨٧، كتاب الجهاد والسير، باب من تكلم بالفارسية والرطانة، رقم الحديث (٣٠٧١ و٥٨٢٣ و٥٨٤٥ و٥٩٩٣)

الجزم بها، وهي خاضعة لتقديرات وفهم الباحثين، ولو افترضنا أنها تبدأ من سن الخامسة والعشرين – وهو مجرد افتراض– فهذا يعني أنها استغرقت خمسة عشر عاماً .

إن طول مدة تهيئة الرسول ﷺ لا يمكن النظر إليها على أنها صدفة، أو حالة خارجة عن التقدير الإلهي، ففيها من الحكم الكثير، منها ما يمكننا الاجتهاد في معرفته، ومنها ما تعجز مداركنا عن معرفته .

إن طول مدة الإعداد، ومقارنتها بمدة النبوة ما كان إلا لتحقيق مردودات إيجابية منها :

أ– تهيئة الرسول ﷺ تهيئة كاملة لمهمة خطيرة ليست كمهام سائر الأنبياء، فإنه خاتم النبيين والمرسلين، فهو القول الفصل الذي لا مزيد بعده.

ب– التلميح إلى أن سن الأربعين هي مرحلة النضج وتكامل الشخصية، وهي السن التي تلقى قبولاً من الآخرين عند التحدث معهم كبيرهم وصغيرهم، فهي السن الوسط، ويدل عليه قوله تعالى : [حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ][1] .

ج– توجيه البشر إلى ضرورة الاستعداد المدروس والتحلي بالصبر وعدم الاستعجال في القضايا الجوهرية .

د– تكامل مقومات النبوة من تكوين حصيلة ثرة من المعلومات التي تعزز الخبرة البشرية الشخصية لدى رسول الله ﷺ .

٨. «ويصاحبها سمتان : التوتر والانحصار، كما أن علامات التشكك والحيرة قد تبدو واضحة» .

إن التوتر والحيرة، تبدو مسألة هينة إذا حدد الباحث أو المبدع هدفه، والطريق الذي يسلكه، فتجارب المبدعين من البشر الاعتياديين تشير إلى مثل هذا، وهو من قبيل، التوثب والتحفز

(١) سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

للإنجاز، أو حساب أسوء الاحتمالات، والتعرف لحسابات الربح والخسارة، ولكن الموضوع يتخذ قالباً مغايراً لدى الأنبياء قبل البعثة، فهم لا يدرون ما هو الهدف، ولا كيف السبيل إليه، على الرغم من أن هناك أنبياء سبقوهم، لكن الفاصلة الزمنية الطويلة جداً بين نبي وآخر تجعل مهمة تلّمس هذا الطريق وتشخيص هذا الهدف ضرباً من المستحيل، ولا نعني بالتأكيد هنا الأنبياء غير المرسلين الذين ظهروا متعاقبين مثل داود وابنه سليمان عليه السلام، أو يعقوب وابنه يوسف عليه السلام أو إبراهيم وابنيه إسحاق ويعقوب عليه السلام أو الأنبياء المتقاربين مكاناً كموسى وشعيب عليه السلام، بل نعني حيرة إبراهيم عليه السلام مثلاً، أو حيرة محمد ﷺ فبينه وبين المسيح عليه السلام فترة طويلة جداً تمتد إلى زهاء خمسمائة وخمسة وسبعين سنة .

لا سيما وأن المجتمع الذي ظهر فيه رسول الله ﷺ مجتمع أمي، ومن يجيد حفظ الوثائق، هم رهبان اليهود وعلماؤها وقساوسة النصارى، وهؤلاء ما كانوا على اتصال مباشر بالعرب المشركين، كي يستفيدوا منهم في التعرف إلى الطريق الصحيح، ناهيك عن الانحرافات العميقة التي أصابت كلاً من الديانتين اليهودية والمسيحية مما أبعدهما عن الإرشاد إلى دين سليم، بالإضافة طبعاً إلى بخل هؤلاء وتعصبهم في ارشاد العرب المشركين، إلا بما يؤدي إلى اعتناق ديانتيهما، وهذا ما كان يأنف منه المشركون، إلا قلة قليلة جداً كزيد بن نفيل، وورقة بن نوفل .

إن ندرة المصادر التي بين أيدينا لا تمدنا بما نشاء من معلومات، ولكن الحيرة التي أبداها رسول الله ﷺ حيال عبادة الأصنام كما روينا في النقطة (٢) ترسم لنا علائم الحيرة لديه ﷺ، ولا بد من أن الخوارق التي مرت به ﷺ، وما يقال عنه، جعله في حيرة أكبر .

ولكن عجزت المصادر التي بين يدينا عن إخبارنا بما نريد، فيمكننا أن نجد حالاً مشابهاً لما كان عليه رسول الله ﷺ من حيرة، في شخص أبيه إبراهيم عليه السلام كما يرويها لنا القرآن الكريم : [وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى

الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِين](١) .

وهذه الحيرة والتوتر والقلق تتجلى بأعظم صورها لدى إبراهيم عليه السلام مع أنه كان موقناً بوجود الله تعالى، بدليل قوله : [لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّين](٢)، ولكن بعدت عليه الشِقة، فلم يعرف كيف السبيل إلى الله .

وهذا بالتأكيد الحالُ نفسهُ الذي كان عليه رسول الله ﷺ إذ نبذ ديانة المشركين، ولم يلتجأ إلى علماء اليهود، ولا إلى علماء النصارى مع أنه التقى بهم، ولا بالمتحفضين من العرب، لأنه مؤمن بأن السبيل إلى الله لا يمت بصلة إلى ما يدعيه هؤلاء، وإلا لما لبث أربعين عاماً من عمره، دون دين معين، وهداه تفكيره على الرغم من قوة التأثيرات المحيطة به، إلى انتهاج منهج خاص، وهو ما ظهر في المرحلة الثانية من مراحل الإبداع .

وهذه الحيرة والقلق، نجدهما وغيرهما من ملامح البحث، في شخوص عدد من صحابة رسول الله ﷺ منهم سلمان الفارسي رضي الله عنه حيث تنقل بين أكثر من دين لعله يعثر على الحقيقة المطلقة ؛ الله . مع الفارق الكبير بين سعي الرسول ﷺ لهذه الحقيقة وسعي سلمان رضي الله عنه فإن رسول الله ﷺ اتخذ الخط المتأني، والفحص الدقيق والتحري، والتجريب عن بعد، لأنه واثق من عدم جدوى الانضواء تحت غطاء أي من الأديان الشائعة في جزيرة العرب آنذاك .

وهذا يدلل على سبقه لمعاصريه بنظرته وتصوراته الإبداعية بأشواط بالغة، وعلى الرغم من أننا نتحدث عن رسول الله ﷺ وبلوغه هذه الحقيقة بنفسه، فإننا لا ندعي غياب دور القدر الإلهي، والرعاية الربانية، ولا نلمح إلى إلغاء ذلك كله، فهذا أمر لا نقره بأي حالٍ، ولكننا في

(١) سورة الأنعام : الآية ٧٥-٧٩ .
(٢) سورة الأنعام : الآية ٧٧ .

الوقت نفسه نعي جيداً، أن الله تعالى إنما صهر نبيه ببوتقة التجارب البشرية حتى بلغ ما بلغه، وهذا هو سر الوجود نفسه [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَ لِيَعْبُدُون][(١)]، وإلا لكانت هداية من في السموات والأرض متحققة بقرار إلهي، ولكان حال الجن والأنس كحال الملائكة وينتهي كل إشكال ولكنها مشيئة الله [لَوْ يَشَاءُ اللهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعاً][(٢)] .

٩ . يقول (فرنسيس باكون) عن المبدع بأنه : «يقرأ لا ليؤمن أو يسلّم، بل ليزن ويفكر»[(٣)] وهذا هو ذات المعنى الذي بيناه ن في مجال مقارنة تحري رسول الله ﷺ عن الحقيقة مع سلمان الفارسي رضي الله عنه .

١ . وهناك ظاهرة تبرز في هذه المرحلة اصطلح علماء النفس على تسميتها بـ «التحول الفكري» ومفادها ؛ أن حل المشكلة التي يواجهها المبدع لا يأتي إلا عندما يبتعد الذهن عن التركيز كثيراً في المشكلة ولو إرادياً ويتم ذلك بأن يشغل الشخص نفسه بأي عمل أو نشاط مختلف، أو أن يستلقي للاسترخاء والراحة وهذا ما ينصح به المتمرسون في حل المشكلات، أو المبدعون لذوي الخبرات .

لنرى أين رسول الله ﷺ من هذا ؟

لم ينتهج رسول الله ﷺ منهج المبدع البشري الاعتيادي، كأن يجلس معتكفاً في صومعة الأدب، ولا في محراب العلم كما يقال، بل عاش حياته أسوة بالأخرين فاشتغل بالتجارة، وارتحل، وباع واشترى، إلا أن قلبه وحواسه كانا في شغل شاغل، ولقد وجد الرسول ﷺ متنفساً للاسترخاء وللتأمل معاً في رعيه الغنم، ولرعي الغنم سرٌ يكاد يجهله الكثيرون . فما هو ؟ كان رسول الله ﷺ يتحدث في جمع من أصحابه فقال : «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيّاً إِلاَّ رَعَى الْغَنَم،

(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٢) سورة الرعد : الآية ٣١ .

(٣) فرنسيس باكون مجرب العلم والحياة : ص١١٤ .

فَقَال أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ، فَقَالَ : نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ»[1]، ويقول: «بُعِثَ مُوسَى عليه السلام وَهُو رَاعِي غَنَمٍ، وَبُعِثَ دَاوُد عليه السلام وَهُو رَاعِي غَنَمٍ، وَبُعِثْتُ أَنَا أَرْعَى غَنَمًا لأَهْلِي بِأَجْيَاد»[2].

إن رعي الغنم ليس بالعمل الذي يرفع شأن صاحبه، ولا يقدم عليه إلا الفقراء من الناس، والفقر ليس بمنزلة تشريف في مفهوم العوام، بل على العكس، فهو حتى الآن يعد في نظر الكثيرين من المثالب، بل قد يشتم امرؤ صاحبه إذ يصفه بأنه راعي، فالرعي مقصود إذاً لكسر الكبر والغرور ولزرع التواضع .

لذلك لما ألم بعمر بن الخطاب رضي الله عنه خاطر جعله يزهو بنفسه لكونه أميراً للمؤمنين، ارتقى المنبر وخاطب نفسه قائلاً : «أيها الناس، لقد رأيتني أرعى على خالات لي من بني مخزوم، فيقبضن لي القبضة من التمر والزبيب، فأظل يومي وأي يوم، ثم نزل، فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : يا أمير المؤمنين ما زدت على أن قمأتَ نفسك - يعني عبتَ -، فقال : ويحك يا ابن عوف إني خلوت فحدثتني نفسي، فقالت : أنت أمير المؤمنين ؛ فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرِّفها نفسها»[3] .

والحكمة الثانية من رعي الغنم، هو تفرد الراعي مع غنمه في القفار يذود عنها ويحرص عليها، فهو راعٍ لغنم، وغداً سيكون راعياً لأمة، فمن لا يحسن رعي الغنم عسير عليه رعاية الأخرين، إنها مهنة في رسم التدريب على تنمية قابليات الرعاية والزعامة، كما أن هذه المهنة تمد صاحبها بالصبر على شظف العيش، والزهد بما في أيدي الناس جراء ابتعادهم عنهم، والعزلة

(١) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٤٢١، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط، رقم الحديث (٢٢٦٢) .
(٢) السُّنن الكُبرى، للنسائي : ١٠/ ١٧١-١٧٢، كتاب التفسير، باب سورة طه، رقم الحديث (١١٢٦٢) .
(٣) حياة الصحابة : ٣/ ٢٤٠ .

والسياحة، والشجاعة في مواجهة الأخطار .

ورعي الغنم وتفرد الراعي، من شأنه أن يحقق له مهمتين مزدوجتين، أولاهما، التأمل العميق في المشكلات المطروحة أمامه، يعينه على ذلك هدوء تام، وعزلة نموذجية، لا سيما إن كانت المشكلة هي التفكر في الله تعالى وفي آياته، والفلاة الواسعة، وامتداد السماء والأرض والغنم والحياة من حوله كلها من آيات الله التي أمر الله عباده أن يتفكروا في خلقها : [أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ][١] .

إن تأمل الراعي الواعي في هذه الآيات، هو جوهر البحث عن المشكلة .

ويواكب هذا استرخاء متحقق بانشغال الراعي مع غنمه، أو عندما يداعب صغارها، أو يقودها إلى مواطن الماء والكلاء، أو يراقبها وهي ترعى، أو تتصارع، كلها محطات استراحة، تخرج المتنكر من الشد الذهني الذي يواجهه إلى حالة استرخاء تتيح له جولة قادمة من معالجة المشاكل المطروحة .

١ . «تبين التجارب على التفكير الأصيل، أن الأفكار التي يتفتق عنها ذهن المبدع نادراً ما تكون أصيلة بالمعنى الدقيق، ولا تبدأ الأفكار الأصيلة في الظهور إلا بعد مرحلة طويلة من الاستمرار والممارسة» .

وهذا الحكم يسلط الضوء أيضاً على الحكمة من طول المدة الزمنية التي عاشها رسول الله ﷺ قبل تكليفه بالرسالة . لقد صار رسول الله ﷺ يترقى في مستويات أفكاره السائحة الصالحة، حتى أيقن، أن جميع ما على العباد في عصره من الإشراك وعبادة غير الله الواحد الأحد الفرد الصمد، كله هراء باطل عاطل وأن الحق هو اللجوء إلى الله تعالى وحده لا شريك له»[٢] .

---

(١) سورة الغاشية : الآية ١٧-٢٠ .

(٢) الوردة العنبرية في سيرة خير البرية : ص٣٠ .

* مرحلة الاختمار :

١. «فقرر الرسول ﷺ لتصفية أفكاره أن يختلي شهراً من كل سنة للابتعاد عن الناس ورعاية فراغ الروح والتفكر في الباري تعالى»[١].

إن هذه الفقرة التي كتبها أحد علماء الدين، تحمل مضموناً مشابهاً لما قرره علماء النفس من ملامح مرحلة الاختمار وكما بيناها سابقاً، فالشهر المخصص للاعتكاف والتحنث والعبادة، هو الارتقاء بالمشكلة إلى قمة المواجهة، أو بلوغ الذروة، وما يعقبها من استراحة واختلاط مع الأخرين ومعيشة معارشهم إنه نوع من التراخي عن المواجهة المباشرة، أما كون هذه المواجهة تعود إلى الحالة الشعورية، فبديهي لمن أطلع على سيرة الرسول ﷺ يعرف أنه بعد انهاء خلوته يعود لمخالطة الناس إلا أن قلبه وعقله لا بد وأن يقودانه إلى هذه الحالة جراء ما يرى من زيغ وضلال وشرك، إنها مرحلة تتبادل المشكلة فيها المواقع باستمرار وبشكل متتالي مع الاسترخاء، ويستعرض المبدع فيها صفحات تفكيره السابقة ليعرف أين يقف هو الآن من هذا الخضم المتلاطم الذي من حوله .

٢. «ويشعر الفرد بأنه يدنو ويتقدم من غايته تمهيداً لتبلور المشكلة في مرحلة تكاملها»[٢].

والتجأ الرسول ﷺ إلى التحنث ما هو إلا دليل جليّ على شعور الرسول ﷺ باقترابه من غايته، لذلك سرّع الخطى باتجاه الهدف، فأضاف إلى تأملاته وملاحظاته وضعاً أكثر جدية، وأعمق تأثيراً : «الاعتكاف» .

ولم يكن هذا الاعتكاف لغرض التأمل المجرد، بل كان يوصف دائماً بأنه لغرض «التحنث» أي : «التعبد» إذاً اختار رسول الله ﷺ طريقاً لبلوغ الحقيقة، وعلى الرغم من مجهولية هذا الطريق، وصمت المصادر عما كان يتعبد به رسول الله ﷺ، إلا أننا نعرف بأنه كان يعبد الله،

(١) الوردة العنبرية في سيرة خير البرية : ص٣٠ .
(٢) آفاق جديدة في دراسة الإبداع : ص٥٣ .

تعالى، والطريقة التي التجأ إليها، هي بالتأكيد ليست الشرك، وليست اليهودية، وليست النصرانية، وليست الحنفية، وليست الكهانة، وإلا لكان رسول الله ﷺ قد اتخذ معلماً له، أو مرشداً من بين هؤلاء لقد ابتكر محمد ﷺ طريقه الخاص .

٣. «وفي تلك الفترة يعاني الشخص من أقصى درجات القلق والتوتر على الإطلاق خلال عملية الخلق الإبداعي، وتؤدي فوضى الانفعالات ... إلى شعور بعدم الاستقرار، أو الهدوء» .

نعم وقد تجلى هذا كله في هجر رسول الله ﷺ لبيته وفراشه وأولاده وطعامه وشرابه ومعاشه إلا اليسير وارتحل يتعبد في مغارة في جبل، إنها القمة في القلق الإبداعي، ورأس سنام الحاجة إلى العزلة بحثاً عن الهدوء، بعيداً عن مشاكل الحياة التقليدية ومتطلباتها الرئيسية، وكما يقول فان كوخ عن المبدع في هذه الحالة بأنه : «شخص يتأكل قلبه من فعل ظمئه الشديد للعمل»[١] .

٤. أما ما تثيره هذه المرحلة من تساؤلات بأن خطوطها غير مميزة عن المرحلة السابقة فإن بعض ما في هذه المرحلة من حياة الرسول ﷺ : سرد في المرحلة السابقة أيضاً .

وهذا أمر معروف فقد قرر علماء النفس هذه الحقيقة إذ قالوا : «وبالرغم من الاختلاف المنطقي بين مرحلتي الإعداد، والاختمار، فإن تمايزهما ليست قاطعاً، ففي أثناء التقاط المبدع لأفكاره يتجه أيضاً لبلورة بعضها، وفي أثناء اختمار الأفكار، وتبلورها لا يتوقف المبدع عن القراءة وجمع الملاحظات»[٢] .

❊ **مرحلة الإلهام:**

١. «وهي مرحلة تتميز بظهور الحل بغتة» .

فأين كان الحل في تجربة الإبداع المحمدي ؟ لقد تمثل بظهور الوحي، فجأة، وعلى الرغم من شيوع القصة، إلا أننا سنورد أصح الروايات لنبين منها ما يمكن من ملاحظات .

---

(١) آفاق جديدة في دراسة الإبداع : ص٥٣ .

(٢) المصدر نفسه : ص٥٤ .

روى البخاري في صحيحة : «فكَان يَأْتِي حِرَاء فَيَتَحَنَّثُ فِيه، وَهْو التَّعَبُّدُ، اللَّيَالِي ذَوَات الْعَدَد، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجع إِلَى خَدِيجَة فَتُزَوِّدُه لِمِثْلِهَا . حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهْو فِي غَارِ حِرَاء، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيه، فَقَال : اقْرَأْ، فَقَال لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْد، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَال : اقْرَأْ، فَقُلْت : مَا أَنَا بِقَارِئ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغ مِنِّي الجَهْد، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ : اقْرَأْ، فَقُلْت : مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَغطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغ مِنِّي الجَهْد، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَال : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ -حَتَّى بَلَغَ - مَا لَمْ يَعْلَمْ، فَرَجعَ بِهَا تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ، فَقَالَ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَال : يَا خَدِيجَة، مَا لِي، وَأَخْبَرَهَا الخَبَر، وَقَال : قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي . فَقَالَتْ لَهُ : كَلاَّ، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ اللهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِم، وَتَصْدُقُ الحَدِيث، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْف، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ. ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِه خَدِيجَة حَتَّى أَتَتْ بِه وَرَقَةَ بْن نَوْفَل بْن أَسَد بْن عَبْدالْعُزَّى بْن قُصَيّ، وَهْوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَة أَخُو أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَءاً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّة، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّة مِن الإِنْجِيل مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُب، وَكَان شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَة : أَي ابْن عَمِّ، اسْمَعْ مِن ابْن أَخِيك، فَقَال وَرَقَةُ : ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى، فَقَال وَرَقَة : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً أَكُونُ حَيّاً حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُك، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ، فَقَالَ وَرَقَةُ : نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْناً غَدَا مِنْهُ مِرَاراً كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوس شَوَاهِق الجِبَال، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَة جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيل، فَقَال : يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ الله حَقّاً . فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ، وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِع، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْل ذَلِك»(١) .

(١) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص١٣٣٤، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ،

وهذه الحادثة تنطق بنفسها وهي ليست بحاجة إلى شرح أو كثير كلام للتدليل على ظهور الحل فجأة .

٢. ولكننا سنتوقف عند مسألة أثارها بعض علماء النفس، وهي : «إن الإبداع ليس حالة إلهام بل هو جهد واع مشتق من قوانا العقلية» .

أو بمعنى أخر : إن النبوة واختيار الرسل ليس للإنسان يد فيها ولا يمكن بلوغها بالتعبد مهما بلغت درجته، ولا باستقامة الخلق، ولا بتكامل الصفات، وإن كان هذا كله من شروط النبوة، فهي اختيار رباني محض، فإذا كانت كذلك فكيف يتسنى لنا الحكم بالإبداع فيها ؟

وهذا التساؤل كما ترى مشروع للغاية، فإن محمداً ﷺ قد تقرر أمر نبوته حتى قبل خلق الكون، ونحن بأنفسنا بينا أن البشائر على نبوته تعالت قبل مولده وحين مولده وبعده .

نعم إن النبوة أعلى درجات الإلهام، إن صح التعبير، ولكن هذا لا يعني غياب الإبداع عن الملهمين، فشروط الإبداع كاملة متوافرة في منهج الرسول ﷺ وسمات المبدعين مهما ضخمت وبولغ فيها، فما هي إلا قطرة من بحر خصال الإبداع في شخص الرسول ﷺ .

ولو فصلنا تجربة رسول الله ﷺ عن النبوة، فإن ملامح شخصيته ومنجزاتها تفوق في أبسط صورها، أعظم الإبداعات التي تفتقت عنها أذهان البشرية .

فأين إبداع نيتشه في «هكذا تكلم زاردشت» من إبداعات محمد ﷺ ؟ وأين إبداع ت.س.اليوت في «الأرض اليباب» من إبداعات محمد ﷺ ؟ وأين إبداعات نجيب محفوظ من إبداعات محمد بن عبد الله ﷺ ؟ وأين إبداعات كوبرنيكس أو غاليلو أو نيوتن أو دافنشي من إبداعات محمد ﷺ ؟

رقم الحديث (٣ و٢٣٩٢ و٤٩٥٣ و٤٩٥٥ و٤٩٥٦ و٤٩٥٧ و٦٩٨٢)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٨٨، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم الحديث (١٦٠) .

إننا على ثقة بأنه حتى لو جُرّد رسول الله ﷺ من ميزة النبوة، ووجهنا سؤالاً إلى أحد المبدعين طالبين منه إجراء مقارنة بين إبداعه وبين إبداع رسول الله ﷺ، لرفض هذه المقارنة فضلاً عن أن يضع نفسه في موقف كهذا .

إن أعظم الأدباء واللغويين وحتى الشعراء العرب الفحول، عجزوا عن مجاراة بلاغة رسول الله ﷺ وفصاحته، واجتماع الكلم لديه، وتدفق أحاديثه بالحكمة، وإن أعظم العلماء السلوكيين والتجريبيين لا يستطيع أن يتطابق سلوكه مع أفكاره كما فعل رسول الله ﷺ وصف خديجة رضي الله عنها له، عندما أخبرها بقصة الوحي في الغار، ولنتخيل موقف أغلب نسائنا اليوم، لو حدثها زوجها بمشاهداته في خلوته، لصرخت ولولولت وللعنت الحظ العاثر الذي دفع بزوجها إلى هذه الاتون، وأنها ستفقده أو أن الجنون سيكون مصيره، فمن سيرعى الأبناء، ومن سيسعى للرزق، ومن سينفق على البيت و و ...

إن خديجة رضي الله عنها ابنة المجتمع المتخلف الذي تسوده الكهانة والعرافة والتنجيم لم تقل لعل ما بك مس من الجن، أو تداعيات سببها الرعب أو أن الأصنام مستك بالسوء بل حدثته بلغة الخبير الواثق من نفسه، قائلة له : «كَلاَّ، أَبْشِرْ، فَوَاللهِّ لاَ يُخْزِيكَ اللهُّ أَبَداً»[(١)]، ولكن من أين أتت خديجة رضي الله عنها بهذه الثقة العظيمة الرائعة ؟

إن الواثق من شيء، لا بد من أن يكون منطلق ثقته هو ما اعتمد عليه، وهذا هو الأمر، فقد بررت خديجة رضي الله عنها هذه الثقة لثقتها برسول الله ﷺ نفسه، ولكن لماذا ؟

الجواب : لما يحمله من صفات نادرة في مجتمع كقريش «إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِم، وَتَصْدُقُ الْحَدِيث، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْف، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ»[(٢)] .

---

(١) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص١٣٣٤، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ، رقم الحديث (٣ و٢٣٩٢ و٤٩٥٣ و٤٩٥٥ و٤٩٥٦ و٤٩٥٧ و٦٩٨٢)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٨٨، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم الحديث (١٦٠) .

(٢) المصدران نفسهما .

فالمواصفات التي تخلق بها محمد ﷺ أهلته لأن يكون مستعداً لحمل شرف النبوة، وهذه المواصفات لم تنلها خديجة رضي الله عنها تحبباً لرسول الله ﷺ ولا تخلقاً له ولا تطيباً لخاطره في لحظة محنته، بل كان هذا كله حقيقة واقعة أقرت بها قريش جمعاء .

فالإلهام أو الوحي ما كان إلا تتويجاً لإبداعه ولنهجه المبدع المتميز الذي قدر الله تعالى له أن يكون محمد حاملاً له . إن الوحي بالنسبة لرسول الله ﷺ كمقولة أرخميدس «وجدتها .. وجدتها»، أو تفتق ذهن نيوتن بنظريته حول الجاذبية بعد سقوط التفاحة، أفلا يعدو هذا إلهاماً ؟ فملايين التفاحات سقطت، وملايين الأشخاص نزلوا في مغاطسهم، ولكن أحداً من المراقبين لم يصرخ وجدتها .

وإذا كان التصور بأن محمداً ﷺ قد ترجم أمراً ربانياً مقدراً وبهذا فلا مجال لقياس الإبداع في النبوة . فنقول : إن أي مبدع في الكون عبر تاريخ البشرية ما كان له أن يبدع لولا الملكة التي يحملها بين جنبيه، أو الموهبة إن شئت تسميتها، فالحافظ خليل إسماعيل أبدع في تجويد القرآن، ومحمد علي كلاي أبدع في ملاكمته، وأينشتاين أبدع في نظريته، والمتنبي أبدع في قصائده، و ... الخ .

أفلا يقول لنا إنسان ما . من الذي خلق حنجرة الحافظ خليل ؟ ومن الذي خلق جسد كلاي، ومن الذي خلق عقل أينشتاين، ومن الذي خلق قدرة التصور عند المتنبي ؟ أليس الله تعالى ؟

أفلا يعد هذا إلهاماً، أو تقريراً لأمر قد قدره الله تعالى ؟

إن النبوة هي نجاح تجربة في مختبر القدرة الربانية، والإبداع المحمدي لو قورن بمثيله من التجارب الإبداعية النبوية الأخرى، لوجدته إبداعاً في إبداع، أو إبداعاً متميزاً بين المتميزين من المبدعين، ومن ألطف ما كتب في مجال مقارنة منزلة رسول الله ﷺ من الأنبياء، وبما أنعم به سبحانه عليه : «بأبي أنت وأمي يارسول الله ﷺ لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجراً تتفجر منه الأنهار فماذا ؟ (فليس ذلك) بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك

ياسيدي يارسول الله ﷺ ... لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى، فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهي مشوية ... لقد دعا نوح على قومه ... ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا ... لقد اتبعك في قلة سنك، وقصر عمرك ما لم يتبع نوحاً في كثرة سنه، وطول عمره، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل»[1].

إن الإبداع المحمدي له صورتان، صورة يتجلى فيها محمد بن عبدالله ﷺ بالنبوة، وصورة يتجلى فيها رسول الله ﷺ بالبشرية، فإن شئت قياس إبداعه بإبداعات الأنبياء فلك هذا، وإن شئت قياس إبداعه بإبداعات البشر فلك هذا، قال تعالى: [قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَ بَشَراً رَسُولاً][2]، وفي آية أخرى: [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ][3].

وفي هذا يقول عبد الحليم محمود أيضاً: «من الحقائق المعروفة أن الإنسان يميل إلى التركيز على (بشر) أو على (يوحى إلي) حسب قوة شعوره الديني وضعفه، فالذي لا إيمان له لا يرى إلا البشرية، ومن ضعف إيمانه يركز على البشرية، ويخفف التركيز على البشرية كلما قوي الإيمان ويزداد التركيز على (يوحى إلي) كلما أزداد الإيمان، حتى يصل الإنسان إلى ألا يرى أو لا يكاد يرى إلا (يوحى إلي)»[4].

وتأكيداً على أن الإلهام ليس أمراً يأتي من فراغ، هو أننا لم نر ولم نسمع مبدعاً تحقق إبداعه في جانب ما، وهو خالِ الوفاض، فليس هناك موسيقار مبدع لا يعرف أصول الموسيقى، وليس هناك في الفيزياء ما لم يكن فيزيائياً، وتأسيساً على هذا نقول: ليس هناك إبداع رباني أي (النبوة) ما لم يكن هناك جهد بشري متحقق بهذا الاتجاه، أي الإعداد الكامل للنبوة، وهو شبيه بإعداد البشر أنفسهم لمقام الولاية، ولكن الفارق بين الحالتين، إن مقام النبوة، يتدخل فيها القرار

(١) الرسول ﷺ، لعبد الحليم محمود: ص٢١-٢٢.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٩٣.
(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠.
(٤) الرسول، لعبد الحليم محمود: ص١٢.

الرباني الذي يحطم وإلى الأبد السور الفاصل بين الجهد البشري المكتسب وبين الاختيار الإلهي المتوج بقرار النبوة فستنفصل عندها النبوة عن الولاية .

ومن أجل هذا كله، جاز لنا أن نحكم بإبداعه ﷺ بشراً ورسولاً، وحتى إن نعتنا بالتحيز والتعصب فإننا نكرر القول بأن منطلقنا في هذا البحث أن محمداً هو الإبداع الخارق، أو ما فوق الإبداع نبوياً كان أو بشرياً .

٣. إن مرحلة الإلهام تتميز أيضاً بتلقائية وشعور بالثقة والتأكد والاطمئنان، ويرافقها حالة من الحبور والانبساط .

كيف لا، وقد بشر رسول الله ﷺ بأعظم نعمة يمن الله بها على بشر ؛ الرسالة ؛ لقد بددت كلمات جبريل عليه السلام حالة الشك والحيرة من قلبه الشريف ﷺ نهائياً فكما ورد في الحديث الصحيح «فيتمثل له جبريل ويقول له : «يَا مُحَمَّد، إِنَّكَ رَسُولُ الله حَقّاً . فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ»[(١)]، فحلت السكينة .

٤. وتوصف هذه المرحلة بأنها مرحلة حدس واستبصار[(٢)] .

كيف لا، ورسول الله ﷺ يقول : «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللهِ»[(٣)]، فإذا كان الحدس حالة تخمينية، فإن الفراسة حالة يقينية، لذا كانت الفراسة أرقى حالات الحدس، وهذا حال المؤمن فكيف بحال رسول الله ﷺ وهو يحيى في قمة هرم قاعدته الإيمان .

والاستبصار مهما وضح معناها فهو لا يعني شيئاً حيال البصيرة فما بالك بأن البصيرة كنعت مهما سمعت فهي لا تعبر حقيقة عمن كان مبصراً للناس : [هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ

(١) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص١٣٣٤، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ، رقم الحديث (٣ و٢٣٩٢ و٤٩٥٣ و٤٩٥٥ و٤٩٥٦ و٤٩٥٧ و٦٩٨٢)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٨٨، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم الحديث (١٦٠) .

(٢) آفاق جديدة في دراسة الإبداع : ص٥٤ .

(٣) سُنَن التِّرْمِذيّ : ٥/ ٢٠٠، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر، رقم الحديث (٣١٢٧) .

لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ][1]، فهذه الآية الكريمة تشير إلى أن القرآن الكريم الذي أنزل على رسول الله ﷺ مبصراً للناس، يتبصرون به في شؤونهم كلها، ويرشدهم إلى الهداية وإلى الرحمة، وهذا حكم إلهي عام لا استثناء فيه ولا حصر، إلا بما اقترن به من أهل لذلك وهم الموقنون بالله .

٥ . «ويتحدث كثير من المبدعين عن الطبيعة المباغتة لإلهام الفكرة، ويسميها (دي لاكروا) بأنها صدمة كالانفعال، يختل ساعتها اتزانه، فيحاول أن يمضي إلى اتزان جديد ؛ وتتولد في الذهن حالة وجدانية عنيفة حتى لتبلغ الحماسة، وينساب في الذهن سيل من الأفكار والصور»[2] .

وهذه الفقرة تبين تمخض الإلهام عن صدمة، ولعلنا من تذكر هذه الصدمة عودة رسول الله ﷺ إلى ود بيته وهو يقول : «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»[3].

ونقاشه مع السيدة خديجة رضي الله عنها، هو من نمط السعي لتحقيق اتزان جديد، أو للوصول إلى طباق أو فكرة جديدة، وكان لقاؤه بورقة بن نوفل، شكل من أشكال الاستقرار النفسي الذي يبث الطمأنينة والراحة في النفس .

إن الكلمات القليلات التي أسرهن النبي ﷺ إلى زوجه رضي الله عنها عما دار بينه وبين جبريل عليه السلام، جوبهت بتشجيع منقطع النظير، فكان هذا أول خطوات التثبيت والاستقرار، ثم جاءت كلمة ورقة بن نوفل مدوية «يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً أَكُونُ حَيّاً حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُك »[4]، إنها الثمرة الحقة، إنها البشارة.

٦ . من مظاهر الإبداع في هذه المرحلة ما يعرف بالكفّ، وهو بإيجاز يعني حالة من التوقف اللاإرادي يحصل بعد انشغال المبدع بإيجاد الحل، ولا يستطيع المبدع انجاز ما مطلوب منه إلا

(١) سورة الجاثية : الآية ٢٠ .

(٢) ينظر : مشكلة الفن : ص١٣٦، والنظريات المفسرة للإبداع الفني : ص٥ و٧ .

(٣) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص١٣٣٤، كتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ، رقم الحديث (٣ و٢٣٩٢ و٤٩٥٣ و٤٩٥٥ و٤٩٥٦ و٤٩٥٧ و٦٩٨٢)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٨٨، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي، رقم الحديث (١٦٠) .

(٤) سبق تخريجه .

بعد أن يتحرر من الكف[١] .

ولكن هل مرّ رسول الله ﷺ بهذه المرحلة ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال، نجد من المناسب أن نوضح كيف يتمكن المبدع من التحرر من الكفّ، هذه الإجابة تشكل حجر الأساس في الإجابة عن التساؤل السابق .

إن التحرر من الكف يتعلق أساساً بالعلاج الذهني، أو التيسير العقلي أو الحل الإبداعي، وهي مرادفات لترجمة العبارة الإنكليزية والتي تعني أن يخلق المبدع ظروفاً خاصة به تعينه في إبداعه، وتختلف هذه الطرائق باختلاف المبدعين أنفسهم، وإن كانت هذه الطرائق في غالبيتها مبهمة كأن يجلس الكاتب في وضعية معينة، أو يكتب بأقلام من نوع خاص، أو يتناول مشروباً معيناً، أي أن يخلق المبدع تقليداً خاصاً به .

فهل اختط رسول البشرية ﷺ لنفسه نمطاً خاصاً به ؟

الجواب : نعم، ويتمثل بتعبده في غار حراء . فلقد حبب إليه الخلاء، فكان يخلو، فيتعبد الليالي ذوات العدد (العديدة)، قبل أن ينزع (يعود) إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة رضي الله عنها فيتزود لمثلها، حتى قالت العرب : «إن محمداً قد عشق ربه»[٢] .

ويرجح علماء النفس أسباب هذه الظاهرة، إلى رغبة المبدع في تحقيق نوع من الاسترخاء الذي يعينه على الحل، ولعل الغرض من الاسترخاء، هو ذات الغرض المتحقق في استرخاء المنفعل، فهو في انفعاله قد يعجز عن التفكير السليم أو الوصول إلى حل، ولكن الحلول تتراءى إذ ما ركن إلى الاسترخاء وتنفيس حمى الإجهاد الفكري .

إن هذا التصور عن تبديد (الكف) يتضمن اعتراضين :

الأول : أهمية الاسترخاء وهذا أمر لا لبس فيه، ولكن هل كان تحنث رسول الله ﷺ

(١) التوجيه والإرشاد النفسي : ص٣٦٨ .

(٢) المنقذ من الضلال : ص٥٠ .

استرخاءً ؟ والدافع الذي يدفعنا لطرح هذا الاعتراض ما يتخيله البعض من أن التعبد في الغار، هو الولوج في جوهر المشكلة، وهذا لا يعني أنه استرخاء، ولا يمت إلى الراحة بصلة .

*** وجوابنا من ناحيتين :**

أولاهما : إن هذا النمط من الاسترخاء يتحقق لدى المبدعين باستخدام طرائق خاصة، ولا يعني الابتعاد عن المشكلة، فالكاتب المبدع عندما يكتب بأقلام حمراء اللون مثلاً ولا يكتب بغيرها، فهو في جوهر المشكلة ولبها، والفنان المبدع الذي لا يجسد رؤاه الفنية إلا في مرسم خاص، هو في جوهر المشكلة أيضاً، وبهذا ترى التحرر من الكف بأنها استخدام تقاليد خاصة أثناء سير العملية الإبداعية .

ثانيهما : إن العبادة كانت وظلت بالنسبة لرسول الله ﷺ هي الراحة الحقيقية التامة والكاملة، فقد كان يتحرق شوقاً للصلاة، ومنها مقولته الشهيرة «يَا بِلاَلُ أَقِمِ الصَّلاَةَ أَرِحْنَا بِهَا»(١)، ويعني بها الصلاة، فالصلاة هي أدق وأرقى أشكال العبادة، فعلم من هذا أن العبادة مصدر راحة لرسولﷺ .

الثاني ؛ وهو مناقشة نفسانية بحتة، تتعلق بصلب التصور القائل أن المستخدم تقاليد عامة هو من قبيل الاسترخاء، فهل هذا الافتراض سليم أم لا ؟

على الرغم من أن هذا الافتراض ليس هو النهاية، فهو رأي طائفة من العلماء، وليس رأيهم جميعاً، ومع ذلك، فإن انشغال المبدع في هذه التفاصيل الدقيقة، أو التأمل بها، سيحقق نوعاً من الشرود الذهني، وبالتالي تخفيف الضغط النفسي الذي يواجهه المبدع جراء التركيز المستمر .

وبهذا نجد أن الأمر من هذا المنطلق لا يتعارض مع صحة ما افترضه علماء النفس من أن التحرر من الكف هو من قبيل الاسترخاء .

---

(١) سُنَن أَبِي دَاوُد : ص٥٣٩، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، رقم الحديث (٤٩٨٥) .

* مرحلة التحقيق والبرهان:

إن هذه المرحلة التي يتم فيها البرهنة على الحلول التي أمكن الوصول إليها تجسدت في حياة الرسول ﷺ الإبداعية، فرفضه ﷺ الأديان السائدة آنذاك في الجزيرة العربية كافة، وافتراضه أن لهذا الكون خالقاً متفرداً في ملكوته، فتوجه إليه بالعبادة، كان هو الرد على ما هو موجود، وهو الحل للمعضلات القائمة، ولقد كان لظهور الوحي البرهان الساطع على صحة ما افترضه .

أما كيف سعى رسول الله ﷺ إلى البرهنة على هذا الحل، فجواب هذا يعني ؛ تحمله أعباء الرسالة والنهوض بها تبشيراً وترغيباً وترهيباً .

ولكن هذا لا يعني أنه ﷺ كان بحاجة إلى الأدلة التي تقنعه، وتعزز إيمانه وترسخ قناعاته، فقد كان هذا أمراً مفروغاً منه، بل إن البرهنة اتخذت صورة أخرى ؛ هي كيفية إقناع الأخرين بما توصل إليه رسول الله ﷺ من حل، فتوالت وسائل البرهنة والاقناع وتنوعت ويمكن تصنيف هذه الأدلة في مرحلة الإسلام الأول إلى ما يلي :

أ- مخاطبة العقل بالأدلة المنطقية والبراهين النظرية والحجج .

ب- المعجزات النبوية، وقد أخذت المعجزات النبوية مسارين :

الأول ـ القرآن الكريم، وهو تحدٍ عقلي وبلاغي ومنطقي، لا بل هو تحدٍ شامل ومعجزة كاملة .

الثاني ـ المعجزات المادية المحسوسة، كالإسراء والمعراج وما شابهما.

إن هذه الوسائل كانت كفيلة بإقناع أولي الألباب، لا بل حتى البسطاء من الناس، ولا يأبها إلا مكابر أو منتفع من حالة الشرك والضلال، فكان الأمر كذلك حقاً .

وفي هذه المرحلة بالذات تلعب كثيراً من خصائص شخصية المبدع وسماته العقلية وذكائه وسماته الإبداعية والتربوية دوراً ذا تأثير بالغ في تحديد المسارات القادمة، وهنا يكون للسمات الشخصية للرسول الكريم ﷺ دورٌ فاعلٌ بناءٌ في ذلك، يتبين من تأثيره الجوهري في أهل بيته وأصحابه الذين سارعوا إلى تصديقه ومبايعته، ولم يشذ عن ذلك إلا ذوو المنافع الحقيقية .

وهنا تظهر الأهمية الفائقة لمرحلة الإعداد المكثف الطويل التي عاشها رسول الله ﷺ قبل النبوة، فقد صقلت صفاته، وتبلورتْ سماته، ليبلغ درجة الاستعداد المطلق لحمل شرف النبوة، فكان بحق سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ .

❊ **ملاحظات حول المراحل الإبداعية :**

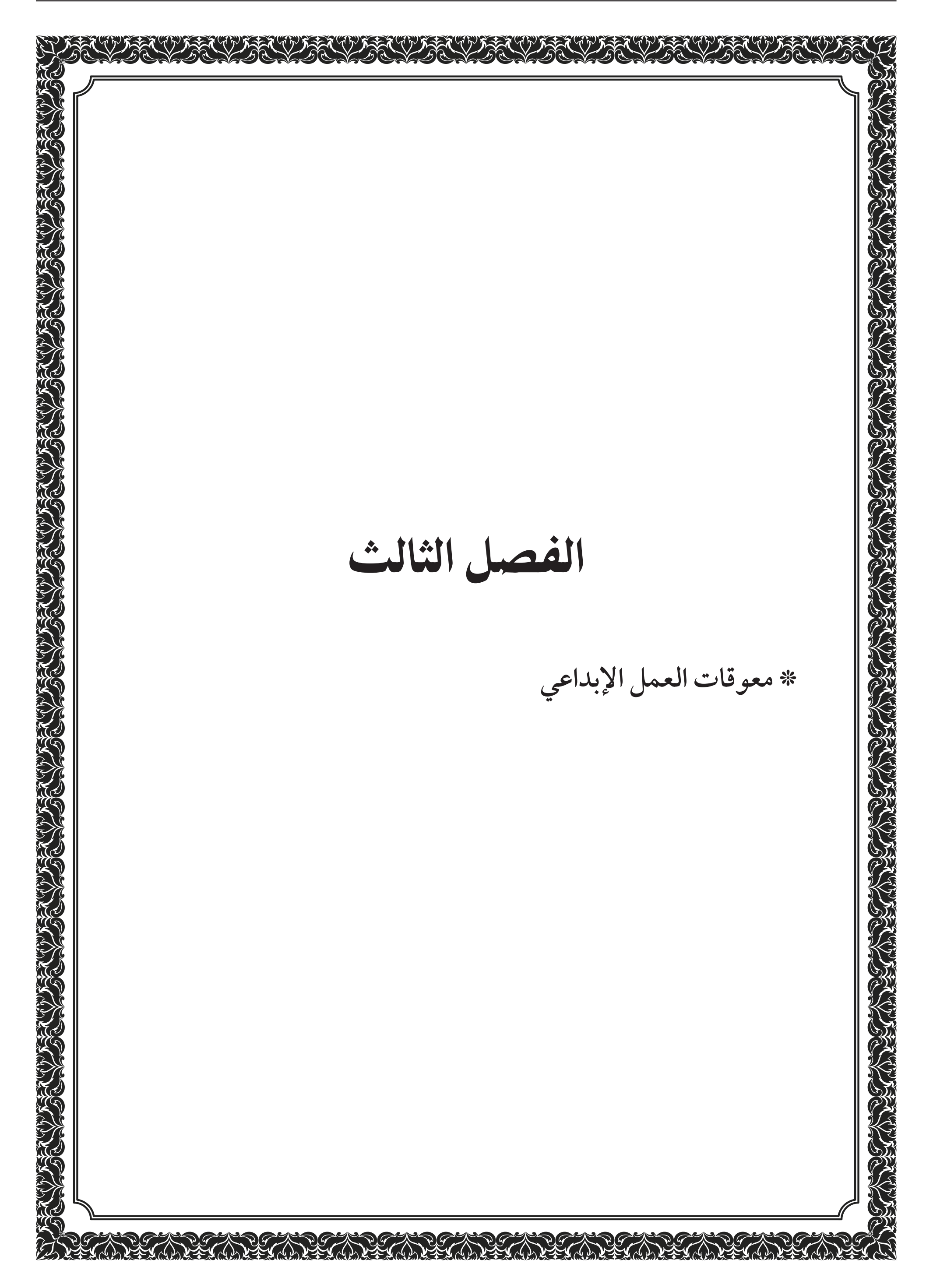
١ . إن البعض من علماء النفس يرفض فكرة تقسيم الإبداع إلى مراحل، ويعد الإبداع وحدة متكاملة لا تتجزأ، أما المدافعون عن تقسيم الإبداع إلى مراحل فحجتهم أن هذه المراحل إنما صيغت لغرض تبسيط الدراسة مع اعترافهم بأمر التداخل .

وتأسيساً على هذا نقول إن تعرضنا للمراحل الإبداعية في حياة الرسول الكريم ﷺ لا يفهم منه أن هذه المراحل هي مراحل آلية بعد أن تنجز مرحلة ما يتم الانتقال إلى الأخرى بنسق زمني ثابت وبجهد مقصود في ذاته . بل إن الحقيقة وكما لاحظنا من الصفحات السابقة تشير إلى تكامل وتداخل وترابط هذه المراحل معاً، بما يخدم العملية الإبداعية .

٢ . يبرز في المراحل الإبداعية ومضات زمنية إما أن تدفع بالمبدع إلى استثارة همته وتصاعد نشاطه، وهذه تسمى : اللحظات الحرجة الإيجابية وهذا ما لمسناه في إبداع رسول الله ﷺ فهو لم يهن ولم يتراخَ أبداً في أي مرحلة من مراحله الإبداعية، أو تفتر همته وتدفعه إلى ترك العمل أو التراخي عنه، وتسمى : اللحظات الحرجة السلبية .

ومن عوامل إثارة اللحظات الحرجة العامل المعرفي، كأن تتوفر معارف جديدة تغير مسار الإبداع إما إيجاباً، وإما سلباً، ولقد كان لتفاعل الرسول الكريم ﷺ مع المعارف المستحصلة أثرٌ في رفد سيره إلى الله تعالى بشحنات من الطاقة الخلاقة، المبدعة، وليس أدل على ذلك ما كانت تلهج به الركبان من قرب نبوته كباعث حثيث .

وهناك مظاهر تسمى الدافعية، وهي التي تنطلق بواقع العمل الإبداعي نفسه، حيث تتصاعد وتائر اهتمام المبدع بعمله فيحيطه بهالة من الإجلال والتقديس، وقد بلغ هذا في شخص رسول الله ﷺ الذروة عندما كان يقتطع الليالي والأيام ليتعبد فيها .



الفصل الثالث

* معوقات العمل الإبداعي

الفصل الثالث

معوقات العمل الإبداعي

يمكن تقسيم المعوقات التي تواجه العمل الإبداعي إلى قسمين :

الأول: المعوقات الذاتية : الناجمة عن مسببات خاصة بالمبدع ذاته وبعمله الإبداعي .

الثاني: المعوقات الموضوعية المتولدة عن التماحك بين المبدع وبين الوسط الذي يتعامل معه اجتماعياً أو فنياً أو أدبياً أو علمياً ... الخ .

وفيما يتعلق بالقسم الأول فإن المعوقات الذاتية لم تواجه رسول الله ﷺ كما هو الحال لدى المبدعين من البشر الاعتياديين، أو حتى من قبل بعض الأنبياء صلوات الله عليهم، إذ أن رسول الله قد تكاملت فيه الصفات الإنموذجية، وفهم مهمته النبوية السامية قبل الشروع بها .

لذلك فمعوقات وضعها العلماء من قبيل :

١. الآلية في تنفيذ الأعمال .

٢. عدم القدرة على استيعاب الجديد وهضمه .

٣. التقليد الأعمى للتجارب السابقة .

٤. التهرب من تحمل المسؤولية .

٥. التهيب من النقد الذي يوجه للمبدعين .

مثل هذه المفردات لا تجد لها صدى عند الإبداع المحمدي، بل العكس هو الصحيح تماماً، إذ تجد أن رسول الله ﷺ تجاوزها إلى الضد منها تماماً .

فتنفيذ الأعمال لم يتسم عنده ﷺ بالآلية أو النمطية، بل كان عليه الصلاة والسلام قادراً على تكييف الظروف لخدمة قضيته، لذلك نرى تنوع الأساليب التي انتهجها في نشر دعوته بدءً من

المفاتحة الشخصية للمقربين منه إلى الدعوة السرية إلى الجهر بالدعوة إلى اعتماد قاعدة التمركز والانطلاق كما حصل في المدينة المنورة برسول الله ﷺ .

أو من حيث نشر مفردات الدين الحنيف، فقد كانت الأحكام تتوالى متدرجة مستوعبة لظروف المجتمع آنذاك، حتى إذا هضمها المجتمع وطبقها الرعيل الأول من المسلمين سقطت الحجة عمن يدعي أن تعاليم الإسلام نظرية لا يمكن تطبيقها، فقد طبقها الصحابة الكرام دون مشاكل أو تعقيد .

أما القدرة على استيعاب الجديد وهضمه، فإنك لا تجد أدنى شبهة تشير إلى خلاف ذلك، ولئن طلب إبراهيم عليه السلام آيات لتطمئن قلبه : [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ][(١)] .

أو طلب موسى عليه السلام رؤية الله عز وجل : [وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ][(٢)] .

فرسول الله ﷺ نأى عن ذلك كله وكأنه رضع حق اليقين وعين اليقين ونور اليقين من ثدي أمه، فلم تضطرب عنده القيم، ولم نجد في حياته وتفصيلاتها التي نقلت إلينا عبر آلاف الصفحات ما يشير إلى عجزه عن استيعاب هذا الجديد وهضمه، وكذلك الصحابة الكرام، فعلى الرغم من هنات لا تكاد تذكر تبدو هنا وهناك ينبري لها رسول الله ﷺ بالتقويم والتعديل، وقد برهنوا أنهم على أرقى درجات الاستيعاب في سلوكهم اليومي بما يعزز القناعة أن هذه المشكلة

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦٠ .

(٢) سورة الأعراف : الآية ١٤٣ .

لم تحدث بين المؤمنين . نعم قد حصلت في الأطراف القصية بعد وفاة الرسول ﷺ متخذة شكل الردة، أو لدى أفراد قلائل لا يتجاوزون عدد أفراد أصابع اليد الواحدة، ولكن هذا كله لا يقع ضمن نطاق المعوق، فالحالات النادرة لا يعتد بها لضآلتها، حتى بلغة الأرقام فهي لا تشكل أي قيمة ملموسة .

وأما الردة فلها أسبابها، وقد كانت مشخصة من قبل رسول الله ﷺ، وعندما عالجها الإسلام بالدواء الناجع عادت كما لم تكن من قبل «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَار»[١]، كما تقول القاعدة الفقهية .

وما بيناه حول تقليد التجارب السابقة كافٍ، ولا يستوجب الأمر مزيداً من التفصيلات وكذلك الأمر فيما يتعلق بالتهرب من تحمل المسؤولية، ولنا في قصة الطائف خير دليل على ذلك : «لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِب خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ مَاشِياً عَلَى قَدَمَيْهِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلام، فَلَمْ يُجِيبُوهُ فَانْصَرَفَ، فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ، فَصَلَّى رَكْعَتَيْن، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فلا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُقْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِك»[٢] .

أما التهيب من النقد الذي يوجه إلى المبدعين فإن رسول الله ﷺ نال من هذا النقد شيئاً كثيراً لا بل تعداه إلى محاولات الاعتداء المباشرة بكل أشكالها بما فيها الاغتيال، ولعل المتتبع لسيرة رسول الله ﷺ يطلع على العدد الكبير من محاولات اغتيال رسول الله ﷺ، أو التعرض إليه بأشكال الأذى المختلفة ومنها :

(١) سُنَن ابْنُ مَاجَهْ : ص٢٥٢، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره، رقم الحديث (٢٣٤٠) .

(٢) كتابُ الدُّعَاء، للطبراني : ٥/ ١٢٨٠، رقم الحديث (١٠٣٦)، وبُغيَةُ الرَّائِد في تحقيق مجمع الزَّوائِد وَمَنبع الفَوائِد : ٦/ ٣٧-٣٨، رقم الحديث (٩٨٥١) .

* الحادثة الأولى :

« لما أيقنت قريش أن محمداً قد بويع، وأَمَرَ رسول الله من كان بمكة من أصحابه أن يلحقوا بإخوانهم بالمدينة تآمروا فيما بينهم، فقالوا : الآن فأجمعوا في أمر محمد فوالله لكأنه قد كر عليكم بالرجال فأثبتوه أو اقتلوه أو أخرجوه، فاجتمعوا له في دار الندوة ليقتلوه فلما دخلوا الدار اعترضهم الشيطان في صورة رجل جميل في بَتٍّ له والبت[1] الكساء، فقال : أدخل، فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل نجد سمع بالذي اجتمعتم له، فأراد أن يَحْضُرَه معكم، فعسى أن لا يعدمكم منه رأي ونصح، فقالوا : أجل فادخل، فلما دخل قال بعضهم لبعض : قد كان من الأمر ما قد علمتم فأَجْمِعُوا في هذا الرجل رأياً واحداً، وكان ممن اجتمع له في دار الندوة : شيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والنضر بن الحارث، فقال قائل منهم : أرى أن تحبسوه وتربّصوا به رَيْبَ المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء : زهير بن أبي سلمى، والنابغة، وغيرهما، فقال النجدي : والله ما هذا لكم برأي، والله لئن فعلتم ليخرج رأيه وحديثه حيث حبستموه إلى من وراءه من أصحابه، فأوشك أن ينتزعوه من أيديكم، ثم يغلبوكم على ما في أيديكم من أمركم، فقال قائل منهم : بل نخرجه فننفيه من بلادنا، فإذا غُيِّبَ عنا وجهُهُ وحديثه فوالله ما نبالي أين وقع من البلاد، ولئن كان أجمعنا بعد ذلك أمرنا وأصلحنا ذات بيننا، قال النجدي : لا والله ما هذا لكم برأي، أما رأيتم حلاوة منطقه وحسن حديثه وغلبته على من يلقاه دون من خالفه، والله لكأني به إن فعلتم ذلك قد دخل على قبيلة من قبائل العرب، فاصفقت معه على رأيه، ثم سار بهم إليكم، حتى يطأكم بهم، فلا والله ما هذا لكم برأي، قال أبو جهل بن هشام : والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه ! قالوا : وما هو ؟ قال أرى أن تأخذوا من كل قبيلة من قريش غلاماً نهداً جلداً نسيباً وسيطاً، ثم تعطوهم شفاراً صارمة، ثم يجتمعوا فيضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلتموه تفرق دمه في القبائل، فلم تدر عبد مناف بعد

(١) البت : كساء غليظ من صوف أو وبر . يُنْظَرْ : المُعجم الوَسيط : ص٣٧ .

ذلك ما تصنع، ولم يقووا على حرب قومهم، فإنما أقصرهم عند ذلك أن يأخذوا العقل فَتَدُونه لهم، قال النجدي: لله در الفتى هذا الرأي وإلا فلا شيء، فتفرقوا على ذلك واجتمعوا له وأتى رسول الله ﷺ الخبر، وأمر أن لا ينام على فراشه تلك الليلة، فلم يبت رسول الله حيث كان يبيت، وبيَّت علياً في مضجعه»(١).

* **الحادثة الثانية:**

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، قَال: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْغَار فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ رَآنَا، قَالَ: اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ اثْنَانِ اللهُ ثَالِثُهُمَا»(٢).

* **الحادثة الثالثة:**

عَن الْبَرَاء رضي الله عنه قَالَ: «اشْتَرَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه مِنْ عَازِبٍ رَحْلاً بِثَلاَثَة عَشَر دِرْهَماً، فَقَالَ أَبو بَكْر لِعَازِبٍ: مُرِ الْبَرَاءَ فَلْيَحْمِلْ إِلَيَّ رَحْلِي، فَقَال عَازِب: لاَ، حَتَّى تُحَدِّثَنَا كَيْفَ صَنَعَتَ أَنْتَ وَرَسُولُ الله ﷺ حِينَ خَرَجْتُما مِنْ مَكَّةَ وَالْمُشْرِكُونَ يَطْلُبُونَكُمْ قَالَ: ارْتَحَلْنَا مِنْ مَكَّةَ، فَأَحْيَيْنَا أَوْ سَرَيْنَا لَيْلَتَنَا، أَوْ يَوْمَنَا حَتَّى أُظْهِرْنَا، وَقَامَ قَائِمُ الظُّهْرِ، فَرَمَيْتُ بِبَصَرِي هَلْ أَرَى مِنْ ظِلٍّ نَأْوِي إِلَيْهِ فَإِذَا صَخْرَةٌ، فَأَتَيْتُهَا فَنَظَرْتُ بَقِيَّةَ ظِلٍّ لَهَا فَسَوَّيْتُهُ، ثُمَّ فَرَشْتُ لِرَسُول الله ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: اضْطَجِعْ يَا رَسُول الله فَاضْطَجَعَ رَسُول الله ﷺ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلِي هَلْ أَرَى مِنَ الطُّلَّبِ أَحداً، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَم يَسُوقُ غَنَمَهُ إِلَى الصَخْرَةِ يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَسَأَلْتُهُ فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلاَمُ، قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَسَمَّاهُ، فَعَرِفْتُهُ، فَقُلْتُ: هَلْ فِي غَنَمِكَ مِنْ لَبَنٍ، قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْت: هَلْ أَنْتَ حَالِبٌ لِي، قَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرْتُهُ فَاعْتَقَلَ شَاةً مِنْ غَنَمِه، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ

(١) دَلَائِل النُّبُوّة: ١/ ١٧٥، ودَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أَحَوال صَاحِب الشِريعَة: ٢/ ٤٦٨.

(٢) متفقٌ عليه. صَحِيْح الْبُخَارِيّ: ص٦٩٨، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب المهاجرين وفضلهم، رقم الحديث (٣٦٥٣و٣٩٢٢و٤٦٦٣)، وصَحِيْح مُسْلِم: ص٩٧١، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، رقم الحديث (٢٣٨١).

يَنْفُضَ عَنْهَا مِنَ الْغُبَار، ثُمَّ أَمَرْتُهُ أَنْ يَنْفُضَ كَفَّيْهِ، فَقَالَ : هَكَذَا، ضَرَبَ إِحْدَى كَفَّيْهِ بِالْأُخْرَى، فَحَلَبَ لِي كُثْبَةً[١] مِنْ لَبَنٍ، وَقَدْ رَوَّيْتُ مَعِي لِرَسُول الله ﷺ إِدَاوَةً عَلَى فَمِهَا خِرْقَة، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرُدَ أَسْفَلُهُ، فَانْتَهَيْتُ بِهِ إِلَى رَسُول الله ﷺ، فَوَافَقْتُهُ قَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقُلْتُ : اشْرَبْ يَا رَسُول الله، فَشَرِبَ رَسُول الله ﷺ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قُلْت : قَدْ نَالَ الرَّحِيلُ يَا رَسُول الله ﷺ، فَارْتَحَلْنَا وَالْقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْن مَالِك بْن جُعْشُم عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ : هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُول الله، فَقَال : لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَّا فَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ قِيدُ رُمْحَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ، قُلْتُ : هَذَا الطَّلَبُ يَا رَسُول الله، قَدْ لَحِقَنَا، وَبَكَيْتُ قَالَ : لِمَ تَبْكِي ؟ قُلْتُ : أَمَا وَاللهَ مَا عَلَى نَفْسِي أَبْكِي يَا رَسُول الله، وَلَكِنْ أَبْكِي عَلَيْك، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ اللَّهُمَّ ! اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ، فَسَاخَتْ[٢] فَرَسُهُ فِي الأَرْضِ إِلَى بَطْنِهَا، فَوَثَبَ عَنْهَا، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدُ قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا عَمَلُكَ فَادْعُ اللهَ أَنْ يُنْجِيَّنِي مِمَّا أَنَا فِيه، فَوَاللهَ لَأُعْمِيَنَّ عَلَى مَنْ وَرَائِي مِنَ الطَّلَب، وَهَذِهِ كِنَانَتِي خَذْ سَهْماً، مِنْهَا فَإِنَّكَ سَتَمُرُّ عَلَى إِبِلِي وَغَنَمِي بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَخُذْ مِنْهَا حَاجَتَكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : لاَ حَاجَةَ لَنَا فِي إِبِلِكَ، فَانْطَلَقَ رَاجِعاً إِلَى أَصْحَابِه »[٣] .

❊ الحادثة الرابعة :

عن ابن إسحاق قال : « حدثني شيخٌ من أهل مِصرَ قديمٌ منذ بِضعٍ وأربعين سنَةً، عن عكرمة، عن ابن عباس في قصةٍ طويلةٍ جرت بين مشركي مكة وبين رسول الله ﷺ : فلما قام عنهم رسول الله ﷺ، قال أبو جهل بن هشام : يا معشر قريش إن محمداً قد أبى إلاَّ ما تَرَوْنَ

(١) الكُثْبَةِ : القليلُ من اللبن . تهذيب اللغة : ١٠/ ١٠٦، مادة (ك ث ب) .
(٢) فَسَاخَتْ : أَي : غَاصَتْ في الأَرض . تاج العروس : ٧/ ٢٧٥، مادة (سوخ) .
(٣) يُنْظَرْ : متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٦٩١، كتاب في اللقطة، باب، رقم الحديث (٢٤٣٩و٣٦١٥و٣٦٥٢و٣٩٠٨و٣٩١٧و٥٦٠٧)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٩٧١، كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ويقال له حديث الرِحل، رقم الحديث (٧٥-٢٠٠٩)، دَلاَئِل النُّبُوّة : ص٣٢٩-٣٣٠، ودَلاَئِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أحَوال صَاحِب الشرِيعَة : ٢/ ٤٨٣، دَلاَئِل النُّبُوّة، لإسماعيل الأصبهاني: ص٦٢، واللفظ له .

من عيب ديننا، وشتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وسب آلهتنا، وإني أُعَاهِدُ الله لأَجْلِسَنَّ له غداً بحجرٍ، فإذا سَجَدَ في صلاته فَضَحْتُ به رأسه فليصنع بعد ذَلِكَ بنو عبد منافٍ ما بدا لهم، فلما أصبح أبو جَهْلٍ أخذ حجراً، ثم جلس لرسول الله ينتظر، وغدا رسول الله كما يغدو وكانت قبلته الشام فكان إذا صَلَّى، صَلَّى بين الركنين الأَسْوَدِ واليماني، وَجَعَلَ الكَعبة بينه وبين الشام، فقام رسول الله ثمة[1] يُصلِّي وقد غَدَتْ قريش فجلسوا في أنديتهم ينظرون، فلما سجد رسول الله ﷺ احْتَمَل أبو جهل الحَجَر ثم اقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع منتهاً مُنْتَقَعَاً لونه مرعوباً، قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده، وقامت إليه رجال من قريش فقالوا مالك يا أبا الحكم، فقال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم البارحَة فلما دنوت منه عرض لي دُونَهُ فحلٌ من الإبل، والله ما رأيت مثل هَامَتِهِ ولا قصرته ولا أنيابه لفحلٍ قط، فهمَّ أن يأكلني، قال محمد بن إسحاق : فذكر لي أن رسول الله ﷺ قال : ذلك جبريل عليه السلام لو دنا مني لأخذه »[2] .

* الحادثة الخامسة :

عَنْ أُسَامَةَ بْن زَيْد، عَنْ أَبِيه، عَنْ جَدِّه، قَالَ : « قَالَ عُمَرُ بْن الْخَطَّاب رضي الله عنه : أَتُحِبُّونَ أَنْ أُعْلِمَكُمْ، أَوَّلَ إِسْلامِي ؟ قَالَ : قُلْنَا : نَعَمْ، قَالَ : كُنْتُ أَشَدَّ النَّاس عَلَى رَسُول الله ﷺ، فَبَيْنَا أَنَا فِي يَوْمٍ شَدِيد الْحَرِّ فِي بَعْض طُرُقِ مَكَّةَ إِذْ رَآنِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ : أَيْنَ تَذْهَبُ يَا ابْنَ الْخَطَّاب ؟ قُلْتُ: أُرِيدُ هَذَا الرَّجُل، فَقَالَ : يَا ابْن الْخَطَّاب، قَدْ دَخَلَ عَلَيْكَ هَذَا الأَمْرُ فِي مَنْزِلِكَ وَأَنْتَ تَقُولُ هَكَذَا، فَقُلْتُ : وَمَا ذَاكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّ أُخْتَكَ قَدْ ذَهَبَتْ إِلَيْه، قَالَ : فَرَجَعْتُ مُغْتَضِباً حَتَّى قَرَعْتُ عَلَيْهَا الْبَاب، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَسْلَمَ بَعْضُ مَنْ لاَ شَيْءَ لَهُ ضَمَّ الرَّجُلَ وَالرَّجُلَيْنِ إِلَى الرَّجُلِ يُنْفِقُ عَلَيْه، قَالَ : وَكَانَ ضَمَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى زَوْجِ أُخْتِي، قَالَ :

---

(١) ورد في هامش(٣٥) بقية النسخ (بمكة) . دَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أَحوال صَاحِب الشِريعَة : ٢/ ١٩٠ .

(٢) دَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أَحوال صَاحِب الشِريعَة : ٢/ ١٩٠-١٩١ .

فَقَرَعْتُ الْبَاب، فَقِيلَ لِي : مَنْ هَذَا ؟ قُلْتُ : أَنَا عُمَرُ بْن الْخَطَّاب، وَقَدْ كَانُوا يَقْرَءُونَ كِتَاباً فِي أَيْدِيهِمْ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتِي قَامُوا حَتَّى اخْتَبَئُوا فِي مَكَانٍ وَتَرَكُوا الْكِتَاب، فَلَمَّا فَتَحَتْ لِي أُخْتِيَ الْبَاب، قُلْتُ : أَيَا عَدُوَّةَ نَفْسِهَا أَصَبَوْتِ ؟ قَالَ : وَأَرْفَعُ شَيْئاً فَأَضْرِبُ بِهِ عَلَى رَأْسِهَا، فَبَكَتِ الْمَرْأَةُ، وَقَالَتْ لِي : يَا ابْن الْخَطَّاب، اصْنَعْ مَا كُنْتَ صَانِعاً فَقَدْ أَسْلَمْتُ، فَذَهَبْتُ فَجَلَسْتُ عَلَى السَّرِير، فَإِذَا بِصَحِيفَةٍ وَسَطَ الْبَاب، فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الصَّحِيفَةُ هَا هُنَا ؟ فَقَالَتْ لِي : دَعْنَا عَنْكَ يَا ابْن الْخَطَّاب فَإِنَّكَ لاَ تَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَة، وَلاَ تَتَطَهَّرُ، وَهَذَا لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُون، فَمَا زِلْتُ بِهَا حَتَّى أَعْطَتْنِيهَا فَإِذَا فِيهَا بِسْمِ الله الرَّحْمَن الرَّحِيم فَلَمَّا قَرَأْتُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم تَذَكَّرْتُ مِنْ أَيْنَ اشْتُقَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي، فَقَرَأْتُ فِي الصَّحِيفَة]سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[(١)، فَكُلَّمَا مَرَرْتُ بِاسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ الله ذَكَرْتُ اللهَ، فَأَلْقَيْتُ الصَّحِيفَةَ مِنْ يَدِي، قَالَ: ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى نَفْسِي، فَأَقْرَأُ فِيهَا]سَبَّحَ للهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[(٢) حَتَّى بَلَغَ]آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ[(٣)، قَالَ : قُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَخَرَجَ الْقَوْمُ مُبَادِرِينَ فَكَبَّرُوا اسْتَبْشَاراً بِذَلِكَ، ثُمَّ قَالُوا لِي : أَبْشِرْ يَا ابْن الْخَطَّاب، فَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَعَا يَوْمَ الاثْنَيْن، فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعِزَّ الدِّينَ بِأَحَبِّ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ، إِمَّا عُمَرُ بْن الْخَطَّاب وَإِمَّا أَبُو جَهْل بْن هِشَام وَأَنَا نَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ، فَقُلْتُ : دُلُّونِي عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَيْنَ هُوَ ؟ فَلَمَّا عَرَفُوا الصِّدْقَ مِنِّي دَلُّونِي عَلَيْهِ فِي الْمَنْزِل الَّذِي هُوَ فِيه، فَجِئْتُ حَتَّى قَرَعْتُ الْبَاب، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقُلْتُ : عُمَر بْن الْخَطَّاب، وَقَدْ عَلِمُوا شِدَّتِي عَلَى رَسُول الله ﷺ وَلَمْ يَعْلَمُوا بِإِسْلامِي، فَمَا اجْتَرَأَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لِي حَتَّى قَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ : افْتَحُوا لَهُ، فَإِنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يَهْدِهِ قَالَ : فَفُتِحَ لِي الْبَاب، فَأَخَذَ رَجُلانِ بِعَضُدِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ : أَرْسِلُوهُ فَأَرْسَلُونِي، فَجَلَسْتُ

(١) سورة الحديد : الآية ١ .

(٢) سورة الحديد : الآية ١ .

(٣) سورة الحديد : الآية ٧ .

بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ قَمِيصِي ثُمَّ قَالَ : أَسْلِمْ يَا ابْنَ الخَطَّاب، اللَّهُمَّ اهْدِهِ فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ الله، قَالَ : فَكَبَّرَ المُسْلِمُونَ تَكْبِيرَةً سُمِعَتْ فِي طُرُقِ مَكَّةَ، قَالَ : وَقَدْ كَانُوا سَبْعِينَ قَبْلَ ذَلِكَ ... »[1] .

*** الحادثة السادسة :**

عَن عُرْوَة بْن الزُّبَيْر، قَالَ : « سَأَلْتُ عَبْد الله بْن عَمْرو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ المُشْرِكُونَ بِرَسُول الله ﷺ قَالَ : رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقاً شَدِيداً فَجَاءَ أَبو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ : [أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ]»[2] .

*** الحادثة السابعة :**

روى مُحَمَّد بن جَعْفَر بن الزُّبَيْر، قَال : « جَلَسَ عُمَيْر بن وَهْب الجُمَحِيُّ مَعَ صَفْوَان بن أُمَيَّةَ بَعْدَ مُصَابِ أَهْلِ بَدْرٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْحِجْرِ بِيَسِيرٍ، وَكَانَ مِمَّنْ يُؤْذِي يُؤْذِي رَسُولَ اللهَّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ وَيَلْقَوْنَ مِنْهُمْ عَنَتاً، إِذْ هُمْ بِمَكَّةَ، وَكَانَ ابْنُهُ وَهْب بن عُمَيْر فِي أُسَارَى أَصْحَابِ بَدْرٍ، قَال : فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ بِمَصَائِبِهِمْ، فَقَالَ صَفْوَان : وَاللهَّ إِنْ فِي الْعَيْشِ بَعْدَهُمْ، وَقَالَ عُمَيْر بن وَهْب : صَدَقْتَ وَاللهَّ لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ لَيْسَ عِنْدِي قَضَاؤُهُ، وَعِيَالٌ أَخْشَى عَلَيْهِمُ الضَّيْعَةَ بَعْدِي، لَرَكِبْتُ إِلَى مُحَمَّدٍ حَتَّى أَقْتُلَهُ، فَإِنَّ لِي فِيهِمْ عِلَّةً، ابْنِي عِنْدَهُمْ أَسِيرٌ فِي أَيْدِيهِمْ فَاغْتَنَمَهَا صَفْوَان، فَقَال : عَلَيَّ دَيْنُكَ أَنَا أَقْضِيهِ عَنْك، وَعِيَالُكَ مَعَ عِيَالِي أُسْوَتُهُمْ مَا بَقُوا لا يَسَعُهُمْ شَيْءٌ نَعْجَزُ عَنْهُمْ، قَالَ عُمَيْر : اكْتُمْ عَلَيَّ شَأْنِي وَشَأْنَك، قَال : أَفْعَل، قَال : ثُمَّ أَمَرَ عُمَيْر بِسَيْفِه، فَشُحِذَ

---

(١) قال البزار : «وَهَذَا الحَدِيثُ لَا نَعْلَمُ رَوَاهُ عَن أُسَامَة بْن زَيْد، عَنْ أَبِيه، عَن جَدِّهِ، عَن عُمَر إِلاَّ إِسْحَاق ابْن إِبْرَاهِيم الحُنَيْنِيُّ، وَلاَ نَعْلَمُ يُرْوَى فِي قِصَّةِ إِسْلام عُمَر إِسْنَادٌ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا الإِسْنَاد، عَلَى أَنَّ الحُنَيْنِيَّ قَدْ ذَكَرْنَا أَنَّهُ خَرَجَ عَنِ المَدِينَةِ فَكَفَّ وَاضْطَرَبَ حَدِيثُهُ» . مُسْنَد البزار المعروف بـ(الْبَحْر الزَّخَار) : ١/ ٤٠٠-٤٠٣، مسند عمر بن الخطاب، رقم الحديث (٢٧٩) .

(٢) سورة المؤمن : الآية ٢٨ . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٧٠٢، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي : لو كنت متخذاً خليلاً، رقم الحديث (٣٦٧٨و٣٨٥٦و٤٨١٥) .

وَسُمَّ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَى الْمَدِينَة، فَبَيْنَا عُمَر بن الْخَطَّاب بِالْمَدِينَة فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِين يَتَذَاكَرُون يَوْمَ بَدْرٍ وَمَا أَكْرَمَهُمُ اللهُ بِه، وَمَا أَرَاهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ إِذْ نَظَرَ إِلَى عُمَيْر بن وَهْب قَدْ أَنَاخَ بِبَابِ الْمَسْجِدِ مُتَوَشِّحَ السَّيْف، فَقَال : هَذَا الْكَلْبُ عَدُوُّ اللهِ عُمَيْر بن وَهْب مَا جَاءَ إِلا لِشَرٍّ هَذَا الَّذِي حَرَّشَ بَيْنَنَا، وَحَزَرَنَا لِلْقَوْمِ يَوْمَ بَدْر، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَال : يَا رَسُول اللهِ هَذَا عَدُوُّ اللهِ عُمَيْر بن وَهْب، قَدْ جَاءَ مُتَوَشِّحاً السَّيْفَ قَال : فَأَدْخِلْهُ، فَأَقْبَلَ عُمَر حَتَّى أَخَذَ بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ فِي عُنُقِه، فَلَبَّبَهُ بِهَا، وَقَالَ عُمَر لِرِجَالٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الأَنْصَار : ادْخُلُوا عَلَى رَسُول اللهِ ﷺ، فَاجْلِسُوا عِنْدَهُ، وَاحْذَرُوا هَذَا الْكَلْبَ عَلَيْه، فَإِنَّهُ غَيْر مَأْمُون، ثُمَّ دَخَلَ بِهِ عَلَى رَسُول اللهِ ﷺ وَعُمَر آخِذٌ بِحِمَالَةِ سَيْفِه، فَقَال : أَرْسِلْهُ يَا عُمَر، ادْنُ يَا عُمَيْر، فَدَنَا، فَقَال : أَنْعِمُوا صَبَاحاً، وَكَانَتْ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ رَسُول اللهِ ﷺ : قَدْ أَكْرَمَنَا اللهُ بِتَحِيَّةٍ خَيْرٍ مِنْ تَحِيَّتِكَ يَا عُمَيْر، السَّلامُ تَحِيَّةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقَال : أَمَا وَاللهِ يَا مُحَمَّد، إِنْ كُنْتَ لَحَدِيثَ الْعَهْدِ بِهَا، قَال : فَمَا جَاءَ بِكَ ؟ قَال : جِئْتُ لِهَذَا الأَسِيرِ الَّذِي فِي أَيْدِيكُمْ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْه، قَال : فَمَا بَالُ السَّيْفِ فِي عُنُقِك ؟ قَال : قَبَّحَهَا اللهُ مِنْ سُيُوفٍ، فَهَلْ أَغْنَتْ شَيْئاً ؟ قَال : اصْدُقْنِي مَا الَّذِي جِئْتَ لَهُ ؟ قَال : مَا جِئْتُ إِلا لِهَذَا، قَالَ : بَلْ قَعَدْتَ أَنْتَ وَصَفْوَان بن أُمَيَّةَ فِي الْحِجْرِ فَتَذَاكَرْتُمَا أَصْحَابَ الْقَلِيبِ مِنْ قُرَيْش، فَقُلْتَ : لَوْلا دَيْنٌ عَلَيَّ، وَعِيَالِي لَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْتُلَ مُحَمَّداً، فَتَحَمَّلَ صَفْوَان لَكَ بِدَيْنِك، وَعِيَالِكَ عَلَى أَنْ تَقْتُلَنِي وَاللهُ حَائِلٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِك، قَالَ عُمَيْر : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، قَدْ كُنَّا يَا رَسُولَ اللهِ نُكَذِّبُكَ بِمَا كُنْتَ تَأْتِينَا بِهِ مِنْ خَبَرِ السَّمَاء، وَمَا يَنْزِلُ عَلَيْكَ مِنَ الْوَحْي، وَهَذَا أَمْرٌ لَمْ يَحْضُرْهُ إِلا أَنَا وَصَفْوَان، فَوَاللهِ إِنِّي لأَعْلَمُ مَا أَنْبَأَكَ بِهِ إِلا الله، فَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانِي لِلإِسْلام، وَسَاقَنِي هَذَا الْمَسَاق، ثُمَّ شَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : فَقِّهُوا أَخَاكُمْ فِي دِينِهِ، وَأَقْرِئُوهُ الْقُرْآن، وَأَطْلِقُوا لَهُ أَسِيرَهُمْ : قَال : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنْتُ جَاهِداً عَلَى إِطْفَاءِ نُورِ اللهِ شَدِيدَ الأَذَى عَلَى مَنْ كَانَ عَلَى دِينِ اللهِ، وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْذَنَ لِي، فَأُقْدِمَ مَكَّة، فَأَدْعُوَهُمْ إِلَى اللهِ وَإِلَى الإِسْلام، لَعَلَّ اللهَ يَهْدِيهِمْ وَإِلا آذَيْتُهُمْ، كَمَا كُنْتُ أُوْذِي أَصْحَابَكَ فِي دِينِهِمْ، فَأَذِنَ لَهُ رَسُول اللهِ ﷺ، فَلَحِقَ بِمَكَّةَ وَكَانَ صَفْوَان حِينَ خَرَجَ عُمَيْر بن وَهْب، قَالَ لِقُرَيْش : أَبْشِرُوا بِوَاقِعَةٍ تَأْتِيكُمْ

الآنَ تُنْسِيكُمْ وَقْعَةَ بَدْرٍ، وَكَانَ صَفْوَانُ يَسْأَلُ عَنْهُ الرُّكْبَانَ حَتَّى قَدِمَ رَاكِبٌ، فَأَخْبَرَهُ عَنْ إِسْلامِهِ فَحَلَفَ أَنْ لا يُكَلِّمَهُ أَبداً وَلا يَنْفَعَهُ بنفعٍ أَبَداً، فَلَمَّا قَدِمَ عُمَيْرٌ مَكَّةَ، أَقَامَ بِهَا يَدْعُو إِلَى الإِسْلامِ وَيُؤْذِي مَنْ يُخَالِفُهُ أَذَى شَدِيداً، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدَيْهِ نَاسٌ كَثِيرٌ »(١) .

❋ **الحادثة الثامنة :**

وتعرض النبي ﷺ للعديد من محاولات الاغتيال في غزوة أحدٍ منها :

عن أَنَس رضي الله عنه « أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ وَجْهُهُ شَجَّةً فِي جَبْهَتِهِ حَتَّى سَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَالَ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله ؟ فَنَزَلَتْ : [لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ] إِلَى آخِرِهَا»(٢) .

وعَنْ أَنَسرضي الله عنه« أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ شُجَّ فِي وَجْهِهِ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ وَرُمِيَ رَمْيَةً عَلَى كَتِفِهِ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَهُوَ يَمْسَحُهُ وَيَقُولُ : كَيْفَ تُفْلِحُ أُمَّةٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الله ؟ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: [لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ]»(٣).

❋ **الحادثة التاسعة :**

عَنْ مُوسَى بْن عُقْبَة قَال : قَال ابْن شِهَاب : «هَذَا حَدِيثُ رَسُول اللهَّ ﷺ حِينَ خَرَجَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي عَقْلِ الْكِلابِيَّيْنِ، وَخَرَجَ رَسُول اللهَّ ﷺ فِي رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي عَقْلِ الْكِلاَبِيَّيْنِ وَكَانُوا زَعَمُوا قَدْ دَسُّوا إِلَى قُرَيْشٍ حِينَ نَزَلُوا بِأُحُدٍ فِي قِتَالِ رَسُول اللهَّ ﷺ فَحَضُّوهُمْ عَلَى الْقِتَال، وَدَلُّوهُمْ عَلَى الْعَوْرَة، فَلَمَّا كَلَّمَهُمْ رَسُولُ اللهَّ ﷺ

(١) المُعْجَم الكَبِيرْ : ١١/ ٤٥٦، رقم الحديث (١٣٥٨٧)، يُنْظَرْ: دَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أَحوال صَاحِب الشرِيعَة : ٣/ ١٤٨ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٢٨ . سُنَن التِّرْمِذيّ : ٥/ ١٠٥، أبواب ، رقم الحديث (٣٠٠٢) . قالَ التِّرْمذيّ : «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح» .

(٣) سورة آل عمران : الآية ١٢٨ . سُنَن التِّرْمِذيّ : ٥/ ١٠٥، أبواب ، رقم الحديث (٣٠٠٣) . قالَ التِّرْمذيّ : «سَمِعْت عَبْد بْن حُمَيْد يَقُول : غَلِطَ يَزِيد بْن هَارُون فِي هَذَا . هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح» .

فِي عَقْلِ الْكِلاَبِيَّيْن قَالُوا : اجْلِسْ أَبَا الْقَاسِم حَتَّى تَطْعَمَ، وَتَرْجِعَ بِحَاجَتِكَ، وَنَقُومَ فَنَتَشَاوَرَ، وَنُصْلِحَ أَمْرَنَا فِيمَا جِئْتَنَا لَهُ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ فِي ظِلِّ جِدَارٍ يَنْتَظِرُ أَنْ يُصْلِحُوا أَمْرَهُمْ، فَلَمَّا خَلَوْا وَالشَّيْطَانُ مَعَهُمْ لاَ يُفَارِقُهُمُ ائْتَمَرُوا بِقَتْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: لَنْ تَجِدُوهُ أَقْرَبَ مِنْهُ الآنَ فَاسْتَرِيحُوا مِنْهُ تَأْمَنُوا فِي دِيَارِكُمْ، وَيُرْفَعُ عَنْكُمُ الْبَلاَءُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنْ شِئْتُمْ ظَهَرْتُ فَوْقَ الْبَيْتِ وَدَلَّيْتُ عَلَيْهِ حَجَراً فَقَتَلْتُهُ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ بِمَا ائْتَمَرُوا مِنْ شَأْنِهِ، فَعَصَمَهُ اللهُ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَأَنَّهُ يُرِيدُ يَقْضِي حَاجَةً وَتَرَكَ أَصْحَابَهُ فِي مَجْلِسِهِمْ، وَانْتَظَرَهُ أَعْدَاءُ اللهِ فَرَاثَ عَلَيْهِمْ، وَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَة فَسَأَلُوهُ عَنْه فَقَالَ : لَقِيتُهُ قَدْ دَخَلَ أَزِقَّةَ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا لأَصْحَابِهِ : عَجِلَ أَبو الْقَاسِمِ أَنْ نُقِيمَ أَمْرَنَا فِي حَاجَتِهِ الَّتِي جَاءَ بِهَا، ثُمَّ قَامَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَرَجَعُوا وَنَزَلَ الْقُرْآنُ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي جَاءَ أَعْدَاءُ اللهِ فَقَالَ : [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُون] فَلَمَّا أَظْهَرَ اللهُ رَسُولَهُ عَلَى مَا أَرَادُوا بِهِ وَعَلَى خِيَانَتِهِمْ للهِ وَلِرَسُولِهِ أَمَرَ بِإِجْلاَئِهِمْ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسِيرُوا حَيْثُ شَاءُوا إِلَى آخِرِ الْحَدِيث»[١] .

* الحادثة العاشرة :

عَن ابْن عَبَّاس « أَنَّ أَرْبَد بن قَيْس بن جُزِيٍّ بن خَالِد بن جَعْفَر بن كِلاب، وَعَامِر بن الطُّفَيْل بن مَالِك قَدِمَا الْمَدِينَةَ عَلَى رَسُول اللهِ ﷺ، فَانْتَهَيَا إِلَى رَسُول اللهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ، فَجَلَسَا بَيْنَ يَدَيْه، فَقَالَ عَامِر بن الطُّفَيْل : يَا مُحَمَّد، مَا تَجْعَلُ لِي إِنْ أَسْلَمْت ؟ قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ : لَكَ مَا لِلْمُسْلِمِين، وَعَلَيْكَ مَا عَلَيْهِمْ، قَالَ عَامِر بن الطُّفَيْل : أَتَجْعَلُ لِيَ الأَمْرَ إِنْ أَسْلَمْتُ مِنْ بَعْدِك ؟ قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ : لَيْسَ ذَلِكَ لَك، وَلا لِقَوْمِكَ، وَلَكِنْ لَكَ أَعِنَّة الْخَيْل، قَال:

(١) سُنَن البَيْهَقي الكُبرى : ٩/ ٣٣٧-٣٣٨، جماع أبواب الشرائط، باب يُشْتَرَطُ عَلَيْهِمْ، رقم الحديث (١٨٧١١) .

أَنَا الآنَ فِي أَعِنَّةِ خَيْلِ نَجْدٍ، اجْعَلْ لِيَ الْوَبَرَ، وَلَكَ الْمَدَرَ، قَالَ رَسُول اللهَّ ﷺ : لا، فَلَمَّا قَفَا مِنْ عِنْد رَسُول اللهَّ ﷺ، قَالَ عَامِر : أَمَا وَاللهَّ لأَمْلأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلاً وَرِجَالاً، فَقَالَ رَسُول اللهَّ ﷺ : يَمْنَعُكَ اللهَّ، فَلَمَّا خَرَجَ أَرْبَدُ وَعَامِر، قَالَ عَامِر : يَا أَرْبَد، أَنَا أَشْغَلُ عَنْكَ مُحَمَّداً بِالْحَدِيث، فَاضْرِبْهُ بِالسَّيْف، فَإِنَّ النَّاسَ إِذَا قَتَلْتَ مُحَمَّداً لَمْ يَزِيدُوا عَلَى أَنْ يَرْضَوْا بِالدِّيَة، وَيَكْرَهُوا الْحَرْب، فَسَنُعْطِيهِمُ الدِّيَة، قَالَ أَرْبَد : أَفْعَل، فَأَقْبَلا رَاجِعَيْنِ إِلَيْه، فَقَال عَامِر : يَا مُحُمَّد، قُمْ مَعِي أُكَلِّمْك، فَقَامَ مَعَهُ رَسُول اللهَّ ﷺ، فَخَلَيَا إِلَى الْجِدَار، وَوَقَفَ مَعَهُ رَسُول اللهَّ ﷺ يُكَلِّمُهُ، وَسَلَّ أَرْبَد السَّيْفَ، فَلَمَّا وَضَعَ يَدَهُ عَلَى قَائِمِ السَّيْف يَبِسَتْ عَلَى قَائِمِ السَّيْف، فَلَمْ يَسْتَطِعْ سَلَّ السَّيْف، فَأَبْطَأَ أَرْبَد عَلَى عَامِرٍ بِالضَّرْب، فَالْتَفَتَ رَسُول اللهَّ ﷺ، فَرَأَى أَرْبَدَ وَمَا يَصْنَع، فَانْصَرَفَ عَنْهُمَا، فَلَمَّا خَرَجَ عَامِرٌ وَأَرْبَد مِنْ عِنْدِ رَسُول اللهَّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَا بِالْحَرَّةِ حَرَّةِ وَاقِم، نَزَلا فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا سَعْد بن مُعَاذ، وَأُسَيْد بن حُضَيْر، فَقَالا : اشْخَصَا يَا عَدُوَّي اللهَّ، لَعَنَكُمَا اللهَّ، قَالَ عَامِر : مَنْ هَذَا يَا سعد ؟ قَال : هَذَا أُسَيْد بن حُضَيْر الْكَاتِب، قَال : فَخَرَجَا حَتَّى إِذا كَانَا بِالرَّقْم أَرْسَلَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أَرْبَدَ صَاعِقَةً فَقَتَلَتْهُ، وَخَرَجَ عَامِر إِذَا كَانَ بِالْحَرِّ، ثُمَّ أَرْسَلَ اللهَّ عَلَيْهِ قَرْحَةً فَأَخَذَتْهُ، فَأَدْرَكَهُ اللَّيْل فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ مِنْ بني سَلول، فَجَعَلَ يَمَسُّ قُرْحَتَهُ فِي حَلْقِهِ، وَيَقُول : غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْجَمَل فِي بَيْتِ سَلُولِيَّة، يَرْغَبُ أَنْ يَمُوتَ فِي بَيْتِهَا، ثُمَّ رَكِبَ فَرَسَهُ، فَأَحْضَرَهُ حَتَّى مَاتَ عَلَيْهِ رَاجِعاً، فَأَنْزَلَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمَا: [اللهَّ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَام](١) إِلَى قَوْلِه : [وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ](٢)، قَالَ: الْمُعَقِّبَاتُ مِنْ أَمْرِ اللهَّ يَحْفَظُونَ مُحَمَّداً، ثُمَّ ذَكَرَ أَرْبَدَ وَمَا قَبْلَهُ بِهِ، قَال : [هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً](٣) إِلَى قَوْلِهِ : [وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ]»(٤) .

---

(١) سورة الرعد : الآية ٨ .
(٢) سورة الرعد : الآية ١١ .
(٣) سورة الرعد : الآية ١٢ .
(٤) سورة الرعد : الآية ١٣ . الْمُعْجَم الكَبِيْر : ٣/ ٩، رقم الحديث (١٠٦٠٨) .

* **الحادثة الحادية عشرة :**

عَن الْمِسْوَر بْن مَخْرَمَة وَمَرْوَان بْن الْحَكَم يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالاَ : « خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَة فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِئَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاط أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ : إِنَّ قُرَيْشاً جَمَعُوا لَكَ جُمُوعاً، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيشَ، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ، عَنِ الْبَيْت، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ : أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا، عَنِ الْبَيْت، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْناً مِنَ الْمُشْرِكِين، وَإِلاَّ تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ . قَالَ أَبُو بَكْر : يَا رَسُولَ الله خَرَجْتَ عَامِداً لِهَذَا الْبَيْتِ لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَد، فتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ . قَالَ : امْضُوا عَلَى اسْمِ الله »[(١)] .

* **الحادثة الثانية عشرة :**

عن جَابِر بْن عَبْد الله رضي الله عنه « أَخْبَرَ : أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُول الله ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُول الله ﷺ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ[(٢)] فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ[(٣)]، فَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَر، فَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ[(٤)] وَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً فَإِذَا رَسُول الله ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا

---

(١) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٣٢٥، كتاب الحج، باب من أشعر وقلد بذي الحليفة، رقم الحديث (١٦٩٤و١٦٩٥و١٨١١و٢٧١١و٢٧١٢و٢٧٣١و٢٧٣٢و٤١٥٧و٤١٥٨و٤١٧٨و٤١٧٩و٤١٨٠و٤١٨١) .

(٢) الْقَائِلَة : قيل : الظَّهِيرَة، وقيل : نصفُ النهار، وقيل : القَيلولة : نَومَةُ نصف النهار . ينظر : تاج العروس : ٣٠/ ٣٠٤، مادة (قيل) .

(٣) العِضاةُ : كلُّ شجرٍ يعظم وله شوكٌ . يُنْظَرْ : الصِّحَاح تاج الّلغَة وَصِحاح العربية : ٦/ ٢٢٤٠، مادة (عضا) .

(٤) سَمُرَةٍ : وهو شجر أمِّ غَيْلان . أَي معروف، صِغَارُ الوَرَقِ قِصارُ الشَّوْكِ، وله بَرَمَةٌ صَفْرَاءُ يَأْكُلُها النّاسُ، وليس في العِضَاهِ شَيءٌ أَجْوَد خَشَباً من السَّمُر، يُنْقَلُ إِلى القُرَى، فتُغَمَّى بِهِ البُيُوتُ، (واحِدَتُها سَمُرَةٌ) . يُنْظَرْ : تاج العروس : ١٢/ ٧٦، مادة (قيل) .

نائِم، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهْوَ فِي يَدِهِ صَلْتاً، فَقَالَ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ فَقُلْتُ : اللهُ ثَلاثَاً، وَلَمْ يُعَاقِبْهُ وَجَلَسَ »[١] .

* **الحادثة الثالثة عشرة :**

قال ابن هشام في كتابه : «وَحَدّثَنِي أَنّ فَضَالَةَ بْن عُمَيْر بْن الْمُلَوّح اللّيْثِيّ أَرَادَ قَتْلَ النّبِيّ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عَامَ الْفَتْح، فَلَمّا دَنَا مِنْهُ قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ : أَفَضَالَةَ ؟ قال : نَعَمْ فَضَالَةَ يَا رَسُولَ اللهِ قال : ماذا كنت تُحَدّثُ بِهِ نَفْسَك ؟ قال : لا شَيْء، كُنْت أَذْكُرُ اللهَ قال : فَضَحِكَ النّبِيّ ﷺ، ثم قال : اسْتَغْفِرْ اللهَ، ثُمّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ فَسَكَنَ قَلْبُه، فكَانَ فَضَالَة يَقُول : وَاَللهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتّى مَا مِنْ خَلْقِ اللهِ شَيْءٌ أَحَبّ إلَيّ مِنْه»[٢] .

* **الحادثة الرابعة عشرة :**

عَنْ أَنَس : « أَنَّ امْرَأَةً يَهُودِيَّةً أَتَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ ؟ فَقَالَتْ : أَرَدْتُ لأَقْتُلَكَ . قَالَ «مَا كَانَ اللهُ لِيُسَلِّطَكِ عَلَى ذَاك». قَالَ : أَوْ قَالَ « عَلَيَّ ». قَالَ : قَالُوا أَلاَ نَقْتُلُهَا ؟ قَالَ: لاَ . قَالَ : فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ[٣] رَسُولِ اللهِ ﷺ»[٤] .

وقال ابن هشام في هذه الحادثة : « فَلَمّا اطمأَنّ رسولُ الله ﷺ أَهْدَتْ له زَيْنَب ابنةُ الحارث امرأة سَلاَّم بن مِشْكم شاةً مَصْلِيَّةً، وقد سألت : أيُّ عُضْوٍ من الشاة أَحبُّ إلى رسول الله ﷺ ؟ فقيل لها : الذراع، فأكثرت فيها من السُّمِّ، ثم سَمَّتْ سائر الشاة، ثم جاءت بها، فلما وضعتها

(١) مُتفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٥٥٩، كتاب الجهاد والسير، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، رقم الحديث (٢٩١٠و٢٩١٣و٤١٣٤و٤١٣٥و٤١٣٦)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٣٢٧، كتاب صلاة، باب صلاة الخوف، رقم الحديث (٨٤٣) .

(٢) السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ، لابن هشام : ص٥٥١-٥٥٢، شأن فضالة بن عمر الليثي .

(٣) لَهَوَات : هي جمع اللَّهاةُ، واللَّهاةُ أَقْصى الفم . يُنْظَرْ : لسان العرب : ١٥/ ٢٥٨، مادة (لها) .

(٤) مُتفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٤٩٥، كتاب الهبة، باب قَبُول الْهَدِيَّة مِنَ الْمُشْرِكِين، رقم الحديث (٢٦١٧)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٩٠١، كتاب السلام، باب السُّمّ، رقم الحديث (٢١٩٠) واللفظ له .

بين يَدَيْ رسول الله ﷺ تناول الذِّرَاعَ، فلاك منها مُضْغَةً فلم يُسِغْهَا، ومعه بِشْرُ بن البَرَاء بن مَعْرُور، قد أخذ منها كما أَخَذَ رسول الله ﷺ، فأما بِشْرٌ فَأَسَاغَهَا، وأما رسول الله ﷺ فَلَفَظَها، ثم قال : إِنَّ هَذَا العَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ، فاعترفت، فقال : ما حَمَلَكِ على ذَلِك ؟ قالت : بَلَغْتَ من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فقلت : إِنْ كان مَلِكَاً اسْتَرَحْتُ منه، وإن كان نبيّاً فَسَيُخْبَر، قال : فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر مِنْ اَكْلَتِهِ التَّي أَكَلَ»[1] .

ومع ذلك ظل رسول الله طوداً شامخاً يلتجأ إليه عند المحن .

أما المعوقات الموضوعية ؛ فيمكن تبيانها إجمالاً بما يلي :

١ . دعاة المحافظة على القديم .

٢ . الجزئية والتجزيئية في مواجهة الإبداع وما يثمره، وما يتسبب في غياب الفكرة الأساسية وبالتالي مثل الإبداع .

٣. الحساسية والحسد وما شابه ذلك من أمراض المجتمع التي تصيب المراقبين فيتعرضوا للإبداع بالنقد والتجريح .

نعم لقد عانى رسول الله ﷺ من هذا ما لم يعانيه صاحب رسالة من قبل ولا من بعد لا سيما إذ اقترنت هذه الممانعة والمقاومة بنجاحه ﷺ، فكثير من المبدعين واجهوا صعوبات جمة دفعتهم عن طريق المواصلة أو أودت بهم، ولكن أن يتحقق المبدع رغم ذلك الانتصار، فهو نجاح مزدوج وإبداع متعاظم، إبداع نشر الفكرة وإبداع التغلب على الصعوبات .

*** دعاة القديم :**

لقد أفصح القرآن الكريم عن حقيقة دعاة المحافظة على القديم في مواضع عدة، وسفه أحلامهم وبين ظلالهم :

قال تعالى : [بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا

(١) السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ، لابن هشام : ص٥١٤، ذكر المسير إلى خيبر .

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ][1] .

وقال تعالى : [وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ][2] .

وقال تعالى : [وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ][3] .

هذه الآيات الشريفات ومثلها كثير، بينت حقيقة دعاة القديم وضعف حجتهم وانهم في كل عصر وزمان ومكان يقدمون ذات الحجة السقيمة .

ودعاة القديم هم ذاتهم في كل زمان ومكان، ولم يكن خطر هؤلاء مقتصراً على النقد أو اللوم والتثريب، بل تعداه ـ كما أسلفنا ـ إلى الاغتيال .

إن مجرد رفض الجديد يشكل حافزاً للقوى الرجعية كي تنهض وتتصدى وتحارب، فكيف إذا اقترن هذا الحافز مع تعارض المصالح المتعددة بين الجديد والقديم ؟ لقد كانت دعوة رسول الله ﷺ نذيراً بإجراء تغييرات اقتصادية فهي ثورة اقتصادية كما هو مفهوم الثورات فلقد دعى رسول الله ﷺ إلى إلغاء العبودية والرق والاستغلال بنظام تعاوني عادل توزع فيها الثروات بحسب جهد الفرد ويمثل هذا الزكاة والصدقة والإحسان إلى الفقراء وغير ذلك، فقد كانت دعوة الرسول ﷺ دعوة إلى الاشتراكية الحقة، وهذا ما أقلق الطبقة الغنية المستقلة في المجتمع الجاهلي وزلزل الأرض من تحتهم ناهيك عما يمثله موقعها الديني من كونها مركز استقطاب وتبادل تجاري واسع، فقد كانت مكة السوق المشتركة ومقر (بورصة) السوق آنذاك .

(١) سورة الزخرف : الآية ٢٢-٢٣ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٧٠ .
(٣) سورة المائدة : الآية ١٠٤ .

كما أثارت نبوّة رسول الله ﷺ ذوي العنجهية والنفوذ، من الدعوة إلى المساواة الاجتماعية سواء بين الأحرار والعبيد، أو بين الرجال والنساء، أو بين ذوي النفوذ والمغلوبين والمضطهدين، فتشكل فريق معادٍ أخر .

واصطف في الجهة المعادية المنتفعين من البنى الاجتماعية والعلامات السائدة في مجتمع ما قبل الإسلام، حيث حظيت قريش بالمنزلة الدينية والجاه والحظوة على سائر العرب، وكان لمكة منزلة لم يكن لسواها، فخشى هؤلاء تبدد هذه الخصيصة وتسربها من بين أيديهم، فيضعف شأنهم أمام الأخرين .

والتكاليف التي سار عليها الرسول الكريم ﷺ شكلّت عنتاً على اللاهين والعابثين، لا بل وحتى على ناشدي الدعة والراحة وقد أستهزأ المشركون بالسجود على التراب وَعدُّوه فعلاً لا يليق بهم، فانتظم هؤلاء مع المعادين .

وبشكل عام كانت دعوة الرسول ﷺ ثورة شاملة دكت أركان النظام المتخلف مبشرة ببدائل جديدة، فكان لكل فكرة تُطرح، فئة معادية تلتحم مع من سبقها، ولكن بالمقابل كان لها من المؤيدين الذين تنامى عددهم تدريجياً حتى استتب الأمر للمسلمين : [إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين](١) .

** التجزيئية :**

ومن ناحية أخرى سعت القوى المعادية للإسلام إلى محاولة تجزيئية أو تسطيحية ليبتعد عن خصوصية الثورتين الجذرية والشمولية وجرت محاولات لمهادنة رسول الله ﷺ بغية استلاب روح النصر منه، واحباط الروح المعنوية الوثابة لديه، فكان من بين الأساليب التي لجأ إليها أعداء رسول الله ﷺ :

(١) سورة الأعراف : الآية ١٢٨ .

١. المداهنة : (سورة ن) قال تعالى :]فَلاَ تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ[(١) .

والآية صريحة فإن الله تعالى نهى رسول الله ﷺ عن إطاعة المكذّبين الذين يودون لو يلين لهم رسول الله ﷺ فعند ذاك يلينون له، أما كيف يلين لهم رسول الله ﷺ ؟ هذا يعني أن يتخلى عن بعض ما كان يدعو إليه ممّا يقض مضاجع المشركين ويزعجهم آنذاك فيلين له المشركون بتخفيف الضغط الذي يمارسونه عليه والمحاربة الشديدة ولكن الأمر الرباني بعدم التخلي عن المبادئ قيد أنملة واضح ولا لبس فيه، وقد جسد ذلك رسول الله ﷺ على خير ما يكون .

٢. المهادنة : (فتح مكة)

ورد في الحديث الشريف عَن الْمِسْوَر بْن مَخْرَمَة وَمَرْوَان بْن الْحَكَم يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ قَالاَ : «خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ عَامَ الْحُدَيْبِيَة فِي بِضْعَ عَشْرَةَ مِئَةً مِنْ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا أَتَى ذَا الْحُلَيْفَةِ، قَلَّدَ الْهَدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْنًا لَهُ مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاط أَتَاهُ عَيْنُهُ، قَالَ : إِنَّ قُرَيْشاً جَمَعُوا لَكَ جُمُوعاً، وَقَدْ جَمَعُوا لَكَ الأَحَابِيش، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ، وَصَادُّوكَ، عَنِ الْبَيْت، وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ : أَشِيرُوا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيَّ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِيِّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا، عَنِ الْبَيْت، فَإِنْ يَأْتُونَا كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَطَعَ عَيْناً مِنَ الْمُشْرِكِين، وَإِلاَّ تَرَكْنَاهُمْ مَحْرُوبِينَ . قَالَ أَبُو بَكْر : يَا رَسُولَ الله خَرَجْتَ عَامِداً لِهَذَا الْبَيْتِ لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَد، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ . قَالَ : امْضُوا عَلَى اسْمِ الله »(٢)، «فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْل بْن وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خُزَاعَةَ، وَكَانُوا عَيْبَةَ(٣) نُصْحِ رَسُول الله ﷺ مِنْ أَهْلِ تِهَامَة، فَقَال : إِنِّي تَرَكْتُ كَعْب بْن لُؤَيّ وَعَامِر بْن

(١) سورة القلم : الآية ٨-٩ .

(٢) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٣٢٥، كتاب الحج، باب من أشعر وقلد بذي الحليفة، رقم الحديث (١٦٩٤و١٦٩٥و١٨١١و٢٧١١و٢٧١٢و٢٧٣١و٢٧٣٢و٤١٥٧و٤١٥٨و٤١٧٨و٤١٧٩و٤١٨٠و٤١٨١) .

(٣) عَيْبَةَ : ومن المستعار: هو عيبة فلانٍ إذا كان موضع سره . يُنْظَرْ : أَسَاسُ البَلاغَة : ١/ ٦٨٨، مادة (ع ي ب) .

لُؤَيّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ، وَمَعَهُمُ الْعُوذُ الْمَطَافِيل[١]، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْت، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ نَهِكَتْهُمُ الْحَرْبُ، وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاس، فَإِنْ أَظْهَرْ : فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا[٢]، وَإِنْ هُمْ أَبَوْا، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَه »[٣]، واستمرت الوفود بين الجانبين حتى اتفقا على الصلح على أن توضع الحرب بينهم عشر سنين وأن يأمن بعضهم بعضاً، وأن يرجع عنهم عامهم هذا، « ... وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيكَ مِنَّا رَجُلٌ، وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِكَ إِلاَّ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا . قَالَ الْمُسْلِمُون : سُبْحَانَ الله، كَيْفَ يُرَدُّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَقَدْ جَاءَ مُسْلِماً ...»[٤] لقد رأت قريش أن شبح الهزيمة يلوح في الأفق، فَسعت إلى هذا الاتفاق في محاولة منها لكسب الوقت والتملص من الهزيمة المحتومة .

٣. الحرب والحصار : (حصار مكة)

عندما أوفدت قريش عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى النجاشي في مهمة لإعادة من هاجر إلى أرض الحبشة من المسلمين، وفشل ابن العاص في هذه المهمة، ثارت ثائرة قريش، وزاد غضبها، فكتبوا كتاباً تعاهدوا فيه على ألا يناكحوا بني هاشم ولا يبايعوهم، ولا يخالطوهم[٥]،

(١) العُوذُ المَطَافِيل : يريد النِّسَاءَ والصِّبْيَان . تاج العروس : ٩/ ٤٣٩، مادة (عوذ) .

(٢) فقد جَمُّوا : أَي استراحوا وكثروا . لسان العرب : ١٢/ ١٠٤، مادة (جمم) .

(٣) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٣٢٥، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث (٢٧٣١و٢٧٣٢) .

(٤) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٣٢٥، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث (٢٧٣١و٢٧٣٢) .

(٥) يُنْظَرْ : مُتفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٣٠٨، كتاب الحج، باب نزول النبي ﷺ مكة، رقم الحديث (١٥٩٠)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٥١٧، كتاب الحج، باب اسْتِحْبَاب النُّزُول بِالْمُحَصَّب يَوْم النَّفْر والصَّلاَة بِه، رقم الحديث (١٣١٤) .

وكان كاتب الصحيفة، منصور بن عكرمة العبدري الذي عاقبه الله تعالى بشل يده، فحاصرت مكة بني هاشم في شعب أبي طالب في الأول من محرم سنة سبع من نبوة الرسول ﷺ، واستمر بنو هاشم في عزلتهم محصورين لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغ الجهد مبلغاً خطيراً، وكانت قريش تسمع أصوات صبيانهم يبكون جوعاً فلا ترق قلوبهم ولا يتأثرون، ودام هذا الحال ثلاث سنوات، ولكن رسول الله لم يهن ولم يهادن وصبر فأفلح، وكذلك لم يهن صحبه ولم يهادنوا وصبروا فافلحوا(١) .

٤. لا صلاة ولا جهاد وتدخل الجنة ؟ : (التجزئة)

لقد حاول البعض وضع شروطاً لإسلامهم فالبعض طلب إقراره على ملكه في قومه أو على منزلته فيهم، وبعض آخر طلب الأذن له بعدم المشاركة في الجهاد، أو اعفائه من الزكاة والصدقة . لكن رسول الله ﷺ لم يسمح لهم بتجزئة الدعوة ولا التنازل عن الإسلام الذي هو كلٌ متكامل لا يتجزأ .

٥. الإغراء : (السطحية)

ورد في سيرة ابن هشام : عن عِكْرِمَة مَوْلَى ابْن عَبّاس، عن عَبْد اللهّ ابْن عَبّاس رضي الله عنه قَال : « اجْتَمَعَ عُتْبَة بْن رَبِيعَة، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبو سُفْيَان بْن حَرْب، وَالنّضْر بْن الْحَارِث، أَخُو بَنِي عَبْدِ الدّار، وَأَبو الْبَخْتَرِيّ ابْن هِشَام وَالْأَسْوَد بْن الْمُطّلِب بْن أَسَد، وَزَمَعَة بْن الْأَسْوَد، وَالْوَلِيد بْن الْمُغِيرَة، وَأَبو جَهْل بْن هِشَام، وَعَبْد اللهّ بْن أَبِي أُمَيّة، وَالْعَاص بْن وَائِل، وَنَبِيهٌ وَمُنَبّهٌ ابْنَا الْحَجّاج السّهْمِيّان، وَأُمَيّة بْن خَلَف، أَوْ مَنْ اجْتَمَعَ مِنْهُمْ، قَال : اجْتَمَعُوا بَعْدَ غُرُوبِ الشّمْسِ عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَة، ثُمّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض : ابْعَثُوا إلَى مُحَمّدٍ فَكَلّمُوهُ وَخَاصِمُوهُ حَتّى تُعْذَرُوا فِيه، فَبَعَثُوا إلَيْهِ إنّ أَشْرَافَ قَوْمِك قَدْ اجْتَمَعُوا لَك لِيُكَلّمُوك، فَأَتِهِمْ فَجَاءَهُمْ رَسُول اللهّ ﷺ سَرِيعاً، وَهُوَ يَظُنّ أَنْ قَدْ بَدَا لَهُمْ فِيمَا كَلّمَهُمْ فِيهِ بَدَاء، وَكَانَ عَلَيْهِمْ

(١) يُنْظَرْ : دَلَائِل النُّبُوّة : ٢٧٢-٢٧٥ .

حَرِيصاً ؛ يُحِبّ رُشْدَهُمْ، وَيَعِزّ عَلَيْهِ عَنَتُهُمْ، حَتّى جَلَسَ إلَيْهِمْ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمّد، إنّا قَدْ بَعَثْنَا إلَيْك لِنُكَلّمَك، وَإِنّا وَاَللّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلاً مِنْ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مِثْلَ مَا أَدْخَلْت عَلَى قَوْمِك ؛ لَقَدْ شَتَمْت الْآبَاء، وَعِبْت الدّين، وَشَتَمْت الْآلِهَة، وَسَفّهْت الْأَحْلَام، وَفَرّقْت الْجَمَاعَة، فَمَا بَقِيَ أَمْرٌ قَبِيحٌ إلّا قَدْ جِئْته فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَك، أَوْ كَمَا قَالُوا لَهُ ؛ فَإِنْ كُنْت إنّمَا جِئْت بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطْلُبُ بِهِ مَالاً جَمَعْنَا لَك مِنْ أَمْوَالِنَا حَتّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالاً، وَإِنْ كُنْت إنّمَا تَطْلُبُ بِهِ الشّرَفَ فِينَا، فَنَحْنُ نُسَوّدُك عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْت تُرِيدُ بِهِ مُلْكاً مَلّكْنَاك عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الّذِي يَأْتِيَك رَئِيّا تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْك - وَكَانُوا يُسَمّونَ التّابِعَ مِنْ الْجِنّ رَئِيّا - فَرُبّمَا كَانَ ذَلِكَ بَذَلْنَا لَك أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطّبّ لَك حَتّى نُبْرِئَك مِنْهُ أَوْ نُعْذَرَ فِيك، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَا بِي مَا تَقُولُون، مَا جِئْت بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ وَلَا الشّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنّ اللّهَ بَعَثَنِي إلَيْكُمْ رَسُولاً، وَأَنْزَلَ عَلَيّ كِتَاباً، أَكُونَ لَكُمْ بَشِيراً وَنَذِيراً، فَبَلّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبّي وَنَصَحْت لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظّكُمْ فِي الدّنْيَا وَالْآخِرَة، وَإِنْ تَرُدّوهُ عَلَيّ أَصْبِرُ لِأَمْرِ اللّهِ حَتّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ »(١) .

فمثل هذه الأساليب والدعوات كانت تهدف إلى قتل الفكرة الإبداعية ومقاصدها وأغراضها البعيدة والعميقة والشاملة، ولكن هذا لم يفت في عضد الرسول ﷺ أو صحبه، بل زادهم الأمر خبرة وصلابة .

❋ الحساسية والحسد :

وكذلك الغيرة والتعصب والأحقاد الشخصية كلها تشكل عصباً مهماً في انتظام المعادين معاً، وهذا ما تجده في أعداء الرسول ﷺ خصوصاً والإسلام عموماً، فعديدون هم الذين حسدوا رسول الله ﷺ على ما حظى به من منزلة (دريد بن الصمة، الوليد بن عتبة، أبي بن سلول، أبو لهب ...) :]وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي

(١) السِّيرةُ النَّبَوِيَّة : ١٣٤-١٣٥ .

وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ[(١) .

وكذلك يمكن تصنيف اليهود ضمن هذه الفئة فقد أعماهم الحسد عن تلمس الحقيقة أو الإفصاح عنها بتعبير أدق وهي معروفة لديهم .

وعن حسد أهل الكتاب عموماً واليهود خصوصاً لرسول الله ﷺ وللمؤمنين يقول تعالى :]وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [(٢) .

وقال تعالى : [وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ](٣) .

وقال تعالى : [أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً](٤) .

إن روعة الإبداع المحمدي تتجلى لنا من قدرة رسول الله ﷺ على المواجهة والصبر والثبات ومواجهة شتى المكائد والمؤمرات والأحابيل وتحالف الفئات المعادية باختلاف فصائلها ضده .

لقد اجتمعت كل قوى الشر والظلام لتواجه رمز الخير والنور محمد رسول الله ﷺ، فإبليس اللعين مثلاً تجلى للمشركين في مكة ليوحي إليهم بفكرة اختيار فتى من كل قبيلة لقتل رسول الله ﷺ، وتحالف اليهود والمشركون والمنافقون في المدينة جميعاً في محاولة عقيمة لإطفاء جذوة النور [يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ](٥) .

---

(١) سورة الأعراف : الآية ١٤٣ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٠٩ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ٦٩ .
(٤) سورة النساء : الآية ٥٤ .
(٥) سورة الصف : الآية ٨ .

إن هذه المقدرة على التحمل تثير الدهشة والإعجاب، ولكأن رسول الله ﷺ احتوى تجارب صبر السابقين كلهم، لذا قال له تعالى : [وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ](١) .

وقال تعالى : [وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ](٢) .

وقال تعالى : [فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلاَغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ](٣) .

والآيات التي تحث الرسول ﷺ عديدة، ولا يفهم منها أن رسول الله ﷺ كان مستعجلاً فأوصاه الله بالصبر حاشاه، وإنما هو القدوة الذي يحتذى به من قبل معاصريه أولاً، ومن قبل المسلمين عبر التاريخ ثانياً، للتدليل على أهمية الصبر .

فكان ﷺ مجسداً للصبر بأوسع معانيه، وإنك إن شئت أن تفهم الصبر وأن تعرف حقيقته، فعليك بالاطلاع على سيرة رسول الله ﷺ، فهو المدرسة الحقة والنموذج الأمثل، والأمر لا يقف عند حدود الصبر بل يتعداه إلى الخصال الحميدة كافة .

إن عِظم المبادئ وسموها، واليقين والإيمان المطلق بها هو الذي يشكل عاملاً أساسياً في الصبر والثبات، أما إذا اقترن هذا مع إرادة فولاذية وذكاء خارق وعاطفة دفاقة، فيحق للمبدع أن يحقق النصر إذا تظافرت هذه العوامل فيه، والخطوب المتلاطمة والمهام الجسام تزيد الأصلاء جذوة والمبدعين اتقاداً، وكما يقول المتنبي رحمه الله :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها ... وتصغر في عين العظيم العظائم

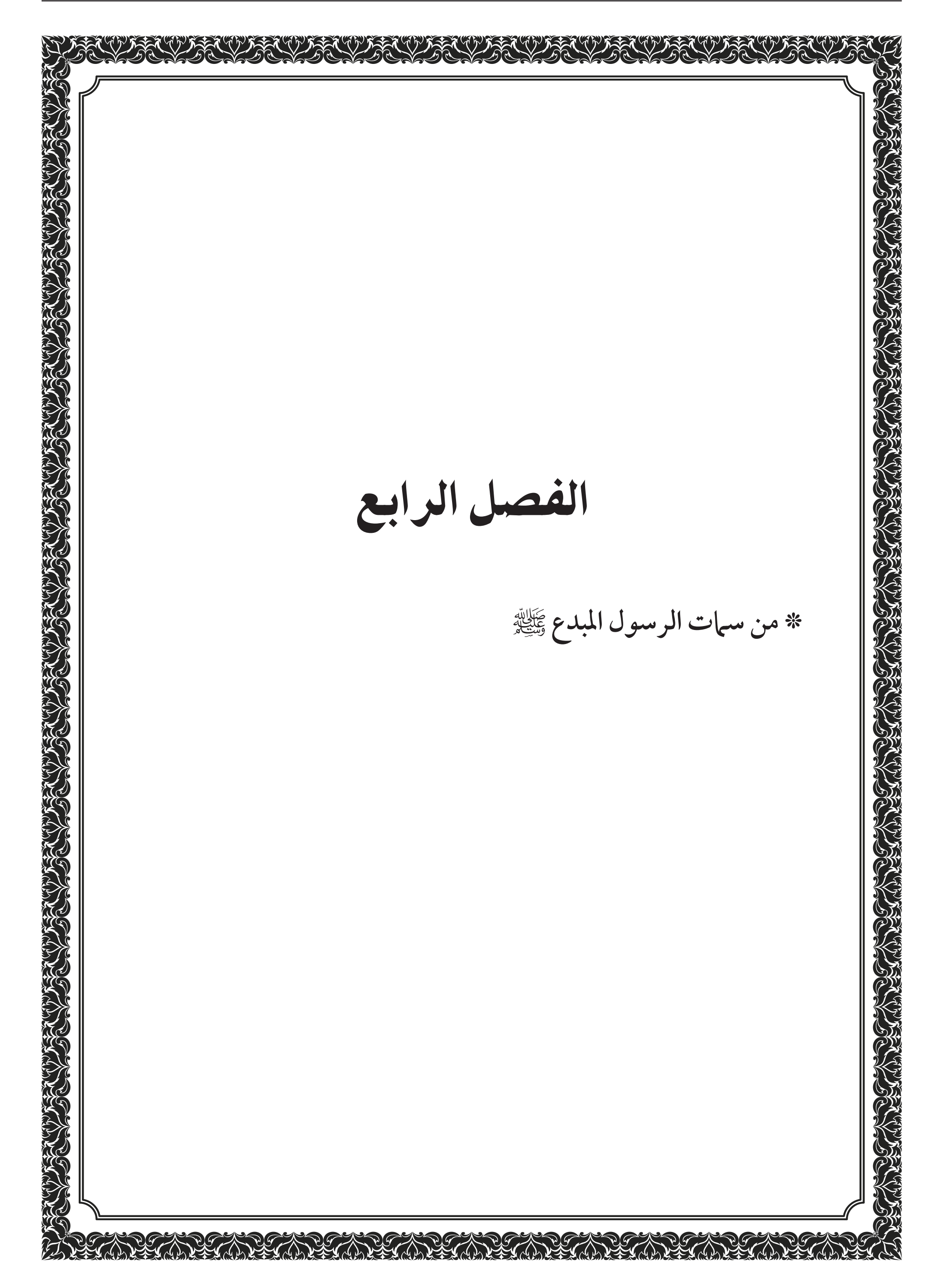
(١) سورة يونس :الآية ١٠٩ .

(٢) سورة هود : الآية ١١٥ .

(٣) سورة الأحقاف : الآية ٣٥ .

إننا نبجل ذكرى وقوف غاليلو غاليلي أمام محاكم التفتيش ونعد موقفه هذا التناهي في محاربة الإبداع، أو ما حصل بسقراط، أو المتنبي أو غيرهم من المبدعين، ولكن إجراء المقارنة بين هؤلاء وبين المعوقات التي واجهها المبدع الأعظم رسول الله ﷺ تشعرنا بالخجل من إجراء هذه المقارنة، لا للبعد السحيق بين منزلة هؤلاء ومنزلة رسول الله ﷺ، فهذا أمر مقرر ومفروغ منه، ولكن لأن معاناة هؤلاء ليست إلا حركة واحدة من حركات عقرب الساعة في استدارتها عبر عشرات السنين، أو ثانية من مجموع اثنين وعشرين سنة .





الفصل الرابع

* من سمات الرسول المبدع ﷺ

الفصل الرابع

من سمات الرسول المبدع ﷺ

إن اشتمال الرسول الكريم ﷺ على كافة الشمائل الخيرة دون استثناء، وبحضور مكثف وعميق، يجعل مهمة من يحاول إبراز سمات الرسول ﷺ الإبداعية، مهمة يسيرة هينة، وما عليه إلا الانتقاء من بين الكم الهائل ما يريد .

وتبرز من بين الخيارات الرغبة في تناول المشهور من الأحاديث، لتعزيز قناعة القارئ جراء الركون إلى المشهور من الأخبار لمماثلتها البديهيات، وقد تبرز الرغبة في الاستشهاد بالأخبار غير المشهورة، والدافع إلى ذلك هو إحياء ما يمكن إحياؤه من الأثر النبوي، ولما يحققه هذا أيضاً من مدّ القارئ بالجديد من المعلومات والمتعة التي تواكب هذا .

ولأن لكل الخيارين مبرراته، فقد آثرنا اعتمادهما معاً :

١ . **سعة المعرفة والعلم** : إن سعة معرفة رسول الله ﷺ شأنه في ذلك شأن سائر المبدعين المتميزين من البشر، واتساع علمه مصدرهما سعي الرسول ﷺ من أجل الاستزادة من المعارف الشائعة آنذاك، وقد اقترن هذا بما أمدّهُ به الوحي من علوم ومعرفة شأن الأنبياء والرسل ﷺ، وهنا نود التنويه إلى حقائق معينة:

أ- إن اتساع معرفة الرسول ﷺ لتبهر الملاحظ، إذا ما عرف ما اتصف به ﷺ من الأمية، ولهذا فلا بد له من بديل ناجح يحقق له استيعاب هذا الكم الهائل من المعلومات، ونعني به ذكاؤه الخارق، وقوة حفظه وذاكرته حيث عوضت هذه الخصال عن أميته .

ب- العلم شجرة متعددة الأغصان، متشابكة الجذور، متنوعة الثمار، وجل العلوم وأغلبها إنما هي علوم تكميلية، أو متفرعة من علم أساسي، ولا تأتي بجديد إذ أن معرفة الله، هو قمة

العلوم التي تنبثق منها العلوم كافة، ومن يعرف الحقائق الكلية هذه وأسرارها وخباياها ليس لأن يلج إلى تفاصيل المعارف الأخرى، ناهيك عن أن معرفة الله تعالى لها ثمرة آخروية، وهذا ما لا يلزم في معرفة العلوم الأخرى .

وعلى سبيل المثال إن فهم الصحابة المقربين رضي الله عنهم لحقيقة الإسلام جعلهم بغير حاجة إلى معرفة الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وأوجه إعجاز القرآن، وعلم القراءات وعلم التجويد، أو علم التفسير وما هو مرتبط به كمعرفة النحو والإعراب واللغة ولهجة القبائل ولا إلى معرفة أسرار الكواكب والنجوم أو أسرار الحيوان والنبات أو أسرار الجسد البشري وما سواها، لأن هذه المعارف كلها إنما وجدت لتجيب عن سؤال محدد، شئنا أم أبينا، ألا وهو البحث عن خلق الله ؟ وبالتالي معرفة الله تعالى، أما من حظي بهذه المعرفة فما حاجته للفرعيات ؟، وعلى هذا فإن رسول الله ﷺ امتلك الإجابة عن أخطر الأسئلة التي واجهت الإنسانية، كيفية الوصول إلى الله تعالى ؟

ج- إن التدليل على سعة معرفة رسول الله ﷺ وعلمه، يقررها مقدرته ﷺ على الإجابة عن كافة التساؤلات التي طرحت عليه، فلم ينقل إلينا أنه امتنع أو جهل إجابة سؤال ما ولربما ارجئ الإجابة مدة من الزمن، ولكن الإجابة حاصلة دون شك، وقد حمل القرآن الكريم كثيراً من الإجابات التي كانت توجه إليه من قبل الناس كافة، ولولا الآيات التي تبتدئ بكلمة (يسألونك) خير شاهد على ذلك، ومنها : قوله تعالى : [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ][1] .

(١) سورة البقرة : الآية ١٨٩ .

وقوله تعالى : [يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَّ بِهِ عَلِيمٌ][(١)] .

وقوله تعالى : [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللهَّ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهَّ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ][(٢)] .

وقوله تعالى : [يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُّ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩) فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُّ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُّ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ][(٣)].

وقوله تعالى : [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُّ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ][(٤)] .

وقوله تعالى : [يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُّ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهَّ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ سَرِيعُ الْحِسَابِ][(٥)] .

وقوله تعالى : [يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَ

(١) سورة البقرة : الآية ٢١٥ .
(٢) سورة البقرة : الآية ٢١٧ .
(٣) سورة البقرة : الآية ٢١٩-٢٢٠ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٢٢٢ .
(٥) سورة المائدة : الآية ٤ .

هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهَّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ[(١) .

وقوله تعالى :]يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِّ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَّ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ[(٢) .

وقوله تعالى : [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَ قَلِيلاً](٣) .

وقوله تعالى : [وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً](٤) .

وقوله تعالى: [وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفا](٥).

د- إن اليهود وبالذات في المدينة المنورة برسول ﷺ، كانوا يمثلون الفئة المثقفة، فهم أصحاب كتاب وعلوم شتى، ونسبة الذين يجيدون القراءة والكتابة فيهم كثير، وقد اصطف هؤلاء متعاضدين في محاولة منهم لإخراج رسول الله ﷺ، وتوجيه الأسئلة المحرجة إليه، ولكنه ﷺ بدد نواياهم هذه سواء بما امتلكه من خبرة ذاتية أو من معرفة إلهية مُوحَاة .

ومن الشواهد الدالة على سعة معرفته ﷺ نسوق ما يلي :

عن يونس بن بكير، عن أبي إسحاق قال : « ثم قدم على رسول الله عشرون رجلا وهو بمكة أو قريب من ذلك من النصارى حين ظهر خبره من الحبشة فوجدوه في المجلس فكلموه وساءلوه، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوا فاضت أعينهم

(١) سورة الأعراف : الآية ١٨٧ .
(٢) سورة الأنفال : الآية ١ .
(٣) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .
(٤) سورة الكهف : الآية ٨٣ .
(٥) سورة طه : الآية ١٠٥ .

من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا : خيبكم الله من ركب : بعثكم من وراكم من أهل دينكم ترتادون لهم، فتأتونهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركبا أحمق منكم أو كما قالوا لهم، فقالوا : سلام عليكم لا نجاهلكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا نألوا أنفسنا خيراً . فيقال إن النفر النصارى من أهل نجران »، والله اعلم أي ذلك كان. ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هؤلاء الآيات] الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ . إلى قوله : [لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ][١] .

ه- لقد غلب الطابع العلمي والمعرفي على رسول الله ﷺ منذ اللحظة الأولى التي أوحى بها إليه فكان الأمر الصادر إليه : [اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ][٢]، والقراءة مطلقة ليس لها من شرط إلا أن تبتدئ باسم الله تعالى، وكان من جملة ما أوحى به الله تعالى إلى نبيه ﷺ حث النبي ﷺ على التضرع إلى الله تعالى لمدهِ بالعلم : [وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً][٣] .

و- حث الرسول ﷺ لأمته على العلم والتعلم وبين الثواب الواسع للعلماء ومنزلتهم السامية والكتب الإسلامية مليئة بالشواهد والأدلة، وما كان لمحمد ﷺ أن يحث على أمر لا يمتلك هو ناصيته، ومن هذه الشواهد : قوله تعالى : [يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ][٤] .

٢ . القدرة على التصور والخلق الإبداعي :

إن القدرة على التصور والخلق الإبداعي، لا تعني طبعاً السقوط في دائرة الوهم والخيال المريض أو في أحلام اليقظة والتمني، بل تعني القدرة على تصور ما ستؤول إليه الأمور عند

(١) دَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أَحَوال صَاحِب الشِريعَة : ٢/ ٣٠٦ . سورة القصص : من الآية ٥٢-٥٥ .
(٢) سورة العلق : الآية ١ .
(٣) سورة طه : الآية ١١٤ .
(٤) سورة المجادلة : الآية ١١ .

تحقق الفعل المبدع، وما سيكون عليه الفعل الإبداعي نفسه . إنه أشبه ما يكون بالنموذج الذي يشخص أمام الرسام ليرسمه على لوحته، فالرسام ينظر إلى النموذج لينقل ملامحه إلى ضربات من فرشاته، وقد يغيب هذا النموذج فيلجأ الرسام إلى الاعتماد على الذاكرة أو على قدرته على التخييل كبديل ناجح، وشبيه بهذا المتسابق في سباق للركض، فهو قد لا يرى كل الفريق الذي أمامه، ولكنه قادر على رسم صورة له في ذهنه، كما أنه في أغلب الأحيان لا يرى نقطة النهاية ولكنه يرسمها في ذهنه، وهو لا يعرف بالتأكيد كيف سيحظى بالفوز، ولكن بإمكانه افتراض ذلك من صور يتخيلها في ذهنه .

إن القدرة على التصور والخلق الابتكاري ضروريان للمبدع، وتحقق له منافع عدة، قد نلتقط منها : إن وضوح الهدف، أو النموذج يعينان المبدع على رسم الخطوات أو تحديد الأفعال المناسبة لبلوغ الهدف، فالرسام عندما يرى أمامه تفاحة حمراء، يعرف أن عليه أن يهيئ اللون الأحمر ومشتقاته لِيُلَوِّن بها التفاحة، والمتسابق الذي يرى استدارة قادمة يتهيأ ليميل معها دون أن يفقد توازنه .

والقدرة على التصور والخلق الإبداعي تكفل مدّ المبدع بطاقة وحيوية ونشاط من أجل بلوغه الهدف، فالكأس الذي سيناله الفائز ونظرات الإعجاب والتصفيق ومظاهر الاحتفاء مثلاً تحقق ذلك .

فهذه الأمور ضرورية أو على أقل تقدير مهمة للغاية للمبدع، وقد تحقق هذا لرسول الله ﷺ، ففضلاً عن بصيرته الثاقبة، فقد كان نور الله تعالى ووحي السماء، يمدانه بقدر من الرعاية والعناية لا يمكن تخيله أو تصوره من قبلنا، ومنها :

أ- (قصة الإسراء والمعراج)

عَنْ أَنَس بْن مَالِك أَنَّ رَسُولَ اللهَّ ﷺ قَالَ « أُتِيتُ بِالْبُرَاق (وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَار، وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ) قَالَ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِس، قَالَ : فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، قَالَ : ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْن،

ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَن، فَاخْتَرْتُ اللَّبَن، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ : اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاء، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ قَالَ : مُحَمَّد . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْر . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاء الثَّانِيَة، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيل . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّد . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْه، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَي الْخَالَة عِيسَى ابْن مَرْيَم وَيَحْيَى بْن زَكَرِيَّا صَلَوَاتُ اللهَّ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْر . ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَة، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ . فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيل .

قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّد ﷺ . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْه، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْر . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاء الرَّابِعَة، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيل . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ: مُحَمَّد .

قَالَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْه ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْه . فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللهُّ عَزَّ وَجَلَّ : [وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً][(1)]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاء الْخَامِسَة، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيل . قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيل .

قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّد . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْه ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْه . فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُون ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْر . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاء السَّادِسَة، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام .

قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيل . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّد . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْه، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْر . ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاء السَّابِعَة،

(١) سورة مريم : الآية ٥٧ .

فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيل، فَقِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيل . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّد ﷺ . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْه، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُور، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْه، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَل، قَالَ : فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللهَّ مَا غَشِىَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهَّ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا . فَأَوْحَى اللهُّ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَة، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ، فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْت : خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّك، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ . قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْت : يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ : حَطَّ عَنِّي خَمْساً . قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ . قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً . قَالَ : فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُول اللهَّ ﷺ فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»[(١)] .

ب- تفسير آية [لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى][(٢)] .

قال ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ): «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى» فيه قولان .

أحدهما : [لقد] رأى من آياتِ ربِّه العِظام .

والثاني : لقد رأى من آيات ربِّه [الآية] الكُبرى .

(١) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٦٨٣، كتاب المناقب، باب كان النبي ﷺ تنام عينه ولا ينام قلبه، رقم الحديث (٣٥٧٠و٤٩٦٤و٥٦١٠و٦٥٨١و٧٥١٧)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٩١، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم الحديث (١٦٢) واللفظ له .

(٢) سورة النجم : الآية ١٨ .

وللمفسرين في المراد بما رأى من الآيات ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه رأى رفرفاً أخضر من الجنة قد سَدَّ الأفق، قاله ابن مسعود .

والثاني : أنه رأى جبريل في صورته التي يكون عليها في السماوات، قاله ابن زيد .

والثالث : أنه رأى من أعلام ربِّه وأدلَّته [الأعلامَ والأدلةَ] الكُبرى، قاله ابن جرير»[١] .

وقال فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) : « وفيه مسائل :

المسألة الأولى : فيه دليل على أن النبي ﷺ رأى ليلة المعراج آيات اللهّ ولم ير اللهّ، وفيه خلاف ووجهه : هو أن اللهّ تعالى ختم قصة المعراج هاهنا برؤية الآيات، وقال : [سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً إلى أن قال : لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا][٢]، ولو كان رأى ربه لكان ذلك أعظم ما يمكن، فكانت الآية الرؤية، وكان أكبر شيء هو الرؤية، ألا ترى أن من له مال يقال له : سافر لتربح، ولا يقال: سافر لتتفرج، لما أن الربح أعظم من التفرج .

المسألة الثانية : قال بعض المفسرين : [لَقَدْ رَأى مِنْ آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرى] وهي أنه رأى جبريل عليه السلام في صورته، فهل هو على ما قاله ؟ نقول الظاهر أن هذه الآيات غير تلك، وذلك لأن جبريل عليه السلام وإن كان عظيما، لكن ورد في الأخبار أن للهّ ملائكة أعظم منه، والكبرى تأنيث الأكبر، فكأنه تعالى يقول : رأى من آيات ربه آيات هن أكبر الآيات، فإن قيل قال اللهّ تعالى : [إِنَّها لَإِحْدَى الْكُبَرِ][٣] مع أن أكبر من سقر عجائب اللهّ، فكذلك الآيات الكبرى تكون جبريل وما فيه، وإن كان للهّ آيات أكبر منه نقول سقر إحدى الكبر أي إحدى الدواهي الكبر، ولا شك أن في الدواهي سقر عظيمة كبيرة، وأما آيات اللهّ فليس جبريل أكبرها ولأن سقر في نفسها أعظم وأعجب من جبريل عليه السلام فلا يلزم

(١) زَاد المَسِيرْ فِي علم التَفْسِيرْ، لابن الجوزي : ص١٣٦٣ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ١ .
(٣) سورة المدثر : الآية ٣٥ .

من صفتها بالكبر صفتها بالكبرى ...»(١) .

وقال ابن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ) : « وجملة]لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى[تذييل، أي رأى آيات غير سدرة المنتهى، وجنة المأوى، وما غشي السدرة من البهجة والجلال، رأى من آيات الله الكبرى، والآيات : دلائل عظمة الله تعالى التي تزيد الرسول ارتفاعاً «(٢) .

وورد في الحديث الصحيح عَنْ عَبْد اللهِّ قَال : «[لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى] قَالَ : رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ»(٣).

ومن المدهش أن هذه القدرة لم تكن محصورة برسول الله ﷺ، فقد أوتي إياها كم من الصحابة رضي الله عنهم وكتب التاريخ الإسلامي حافلة بذلك .

إن دافنشي أبدع في نقل ملامح امرأة كانت جالسة أمامه، فكان عمله إبداعياً، وميخائيل أنجلو تخيّل سيدنا موسى عليه السلام بهيئة رجل متين البنيان، ولعله استعان بإنسان رياضي كنموذج، أو اعتمد على مخيلته فنحت تمثالاً يعد عملاً إبداعياً، ونيوتن راقب التفاحة تسقط وتخيّل أن قوة خفية تشدها إلى تحت هي قوة الجاذبية، وألكسندر فليمنغ تخيّل أن بكتريا العفن قادرة على إبادة نوع من الجراثيم استناداً لمراقبته لها في مختبره فاكتشف البنسلين، وفي كل هذه النماذج وغيرها اعتمد المبدعون على قدر كبير جداً الوقائع الملموسة، وكان هامش التخيّل والتصور بسيطاً أو قد يكون معدوماً كما هو الحال في الجيوكندا التي رسمها دافنشي، وقد يكون واسعاً كما في قصة نيوتن . ولكن أن يخترق التصور جدار المحسوسات والمرتبات والتوقعات إلى عالم لا يمت بصلة إلى الحاضر بشيء إلا من حيث القوة الفاعلة المؤثرة، لهو حدث جسيم،

---

(١) مفاتيح الغيب، للرازي : ٢٨/ ٢٤٦-٢٤٧ .

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور : ٢٧/ ١٠٧ .

(٣) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٦٢١، كتاب التفسير، باب [لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى]، رقم الحديث (٣٢٣٣و٤٨٥٦و٤٨٥٨)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٩٦، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرةً المنتهى، رقم الحديث (١٧٤) واللفظ له .

ولقدرة إبداعية عظيمة، فإن يتصور إنسان يوم الحساب بتفاصيله المهمة وبدرجة عالية من الصواب ليفوق أي قدرة إبداعية أخرى قادرة على التصور والخلق، إنه الإبداع حقاً . لذلك ليس مستغرباً أن يصنف المتصوفة ضمن سبل نيل المعرفة طريقاً أخراً لم يعرفه الآخرون، سبيلاً لا يتأتى بالحوار ولا بالقراءة ولا بالاطلاع على تجارب الأخرين، وأعني به الإلهام الصوفي الذي يتحقق لمن جرد نفسه الأسباب الدنيوية وانقطع إلى الله تعالى .

٣. الإدراك العقلي :

هو بلوغ الحقيقة الكلية من خلال الربط بين الحقائق الجزئية، وبالعكس أي القدرة على تحليل الحقيقة الكلية لفهم العناصر الجزئية، فالوصول إلى حقيقة الماء مثلاً ينبغي التعرف على أهميته للحياة عموماً، والتحليل هو القدرة الفكرية أو العملية على تحليل الماء إلى ذرتي هيدروجين وذرة أوكسجين، واكتشاف الأصرة بينهما .

والسؤال الآن، هو كيف تحقق هذا في مجال الإبداع المحمدي، الذي هو نشاط ديني عام أولاً، ثم نشاط حياتي عام ثانياً ؟

فالنشاط الديني الذي هو صلب الموضوع وجوهره، فقد استدل عليه رسول الله ﷺ كما بيّنا في مراحل العملية الإبداعية في حياة الرسول ﷺ من خلال الآيات والمظاهر الحياتية على وحدة الخالق وزيف ما هو منتشر من آلهة، وبطلان ما هو شائع من ديانات، حتى وصل إلى الحقيقة المطلقة الكلية أن لا إله إلا الله، وانطلق ﷺ من هذه الحقيقة إلى حقائق تحليلية تمثلت في وجوب عبادته والتخلق بما هو أهل لعبادته .

كذلك يمكن الحديث عن المشاكل الاجتماعية السائدة والهيمنة الاقتصادية وما سواها، ويخطئ من يتصور أن النبوة هي الباعث وراء الإبداع المحمدي، فهذا الرأي يتجاهل الإمكانيات الفريدة لرسول الله ﷺ بما أهله لمنزلته الفريدة، وهو يقف بالضد من رأي آخر تشدق به المستشرقون والغربيون في نفي الجانب الإلهي في إعداد شخصية الرسول ﷺ وإرجاع ما حققه إلى إمكانياته البشرية حسب .

لقد أدرك عدد لا يستهان به من الصحابة هذه الحقيقة، لا بل حتى من غيرهم، فسعي سلمان الخير رضي الله عنهم إلى تلمس الحقيقة قمة في الإدراك العقلي . ونذكر هنا قصص إسلام بعض الصحابة رضي الله عنهم ومنها :

أ- قِصَّة إِسْلاَم أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيّ رضي الله عنهم :

روي في الصحيحين : « ... قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو جَمْرَةَ قَالَ لَنَا ابْن عَبَّاس : أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ ؟ قَالَ : قُلْنَا : بَلَى . قَالَ : قَال أَبو ذَرٍّ : كُنْتُ رَجُلاً مِنْ غِفَار، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلاً قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيّ، فَقُلْتُ لأَخِي : انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ ثُمَّ رَجَع، فَقُلْت : مَا عِنْدَك ؟ فَقَال : وَاللهَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلاً يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ وَيَنْهَى، عَنِ الشَّرِّ، فَقُلْت لَه : لَمْ تَشْفِنِي مِنَ الْخَبَر، فَأَخَذْتُ جِرَاباً وَعَصاً، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لاَ أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْه، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَم وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِد . قَال : فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَال : كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيب ؟ قَال : قُلْت : نَعَم، قَال : فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِل، قَالَ : فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ، وَلاَ أُخْبِرُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لأَسْأَلَ عَنْه، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، قَالَ : فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ : أَمَا نَالَ لِلرَّجُل يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْد ؟ قَال : قُلْت : لاَ، قَال : انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ : فَقَال : مَا أَمْرُكَ، وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلْدَة ؟ قَالَ : قُلْت لَه : إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُك، قَالَ : فَإِنِّي أَفْعَل، قَال : قُلْت لَه : بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَاهُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَه، فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الْخَبَر، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاه، فَقَالَ لَه : أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْت، هَذَا وَجْهِي إِلَيْه فَاتَّبِعْنِي، ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُل، فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَداً أَخَافُهُ عَلَيْكَ، قُمْتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْت، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْت لَه : اعْرِضْ عَلَيَّ الإِسْلاَم، فَعَرَضَهُ فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي : يَا أَبَا ذَرٍّ، اكْتُمْ هَذَا الأَمْر، وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِك، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِل . فَقُلْت : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقّ، لأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْن أَظْهُرِهِمْ، فَجَاء إِلَى الْمَسْجِد وَقُرَيْشٌ فِيه، فَقَال : يَا مَعْشَرَ قُرَيْش، إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهَّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئ، فَقَامُوا : فَضُرِبْتُ لأَمُوت، فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاس فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ

: وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلاً مِنْ غِفَار، وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَار، فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَد رَجَعْت، فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْت بِالأَمْس، فَقَالُوا : قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئ، فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالأَمْس، وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاس فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالأَمْس . قَالَ : فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلاَمِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ»[1] .

ب- قِصَّة إِسْلام عَمْرُو بن عَبَسَة رضي الله عنهم :

عَنْ أَبِي أُمَامَة قَالَ : « قَالَ عَمْرو بْن عَبَسَةَ السُّلَمِيّ : كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّة، أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلاَلَة، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْء، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَاراً، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مُسْتَخْفِياً، جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ . فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا أَنْتَ قَالَ : أَنَا نَبِيٌّ . فَقُلْتُ : وَمَا نَبِيّ قَالَ : أَرْسَلَنِي اللهُ . فَقُلْت : وَبِأَيِّ شَيْء أَرْسَلَكَ ؟ قَال : أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ وَكَسْرِ الأَوْثَان، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لاَ يُشْرَكُ بِهِ شَيْء . قُلْتُ لَه : فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا ؟ قَال : حُرٌّ وَعَبْد . قَال : وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْر وَبِلاَل مِمَّنْ آمَنَ بِه . فَقُلْت : إِنِّي مُتَّبِعُكَ . قَال : إِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلاَ تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاس ؟ وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي . قَالَ : فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي . وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَقُلْتُ : مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِى قَدِمَ الْمَدِينَةَ ؟ فَقَالُوا : النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاع، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِك . فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْت : يَا رَسُولَ اللهِ ! أَتَعْرِفُنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ أَنْتَ الَّذِى لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ . قَالَ: فَقُلْتُ بَلَى . فَقُلْت : يَا نَبِيّ اللهِ ! أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ ...»[2] .

---

(١) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٦٧٧، كتاب المناقب، باب قصة زمزم، رقم الحديث (٣٥٢٢و٣٨٦١)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص١٠٠٣، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذر، رقم الحديث (٢٤٧٤) .

(٢) صَحِيْح مُسْلِم : ص٣٢٣، كتاب الصلاة، باب إِسْلام عَمْرُو بن عَبَسَة، رقم الحديث (٨٣٢) .

ج- قِصَّة إِسْلاَم عبد الله بن سلاّم رضي الله عنهم : قال ابن إسحاق : «وكان من حديث عبدالله بن سَلاَم ؛ كما حدثني بعض أهله عنه، وعن إسلامه حين أسلم، وكان حبراً عالماً، قال : لَمَّا سمعتُ برسول الله ﷺ عَرَفْتُ صفتَهُ، واسمَهُ وزمَانَهُ الذي كُنَا نَتَوَكَّفُ له، فكنْتُ مُسِرّاً لذلك، صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نَزَلَ بِقُبَاء في بني عَمْرو بن عوف، أَقْبَلَ رَجُلٌ حتى أَخْبَرَ بقُدومه، وأنا في رأسِ نخلةٍ لي أعملُ فيها، وَعمتَّي خَالِدَةُ ابنة الحارث تحتي جالسةً، فلما سَمعتُ الخبر بقُدُومِ رسول الله ﷺ كَبَّرْتُ، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري : خَيَّبَكَ الله ! والله لو كنت سَمعت بِموسى بن عمران قادماً ما زِدتَ، قال : فقلت لها : أي عمة، هو والله أخو موسى بن عمران، وعلى دينه، بُعِثَ بما بُعِثَ به، فقالت : أي ابن اخي، أهو النبي الذي كنا نخبر انه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم، قال : فقالت : فَذَاك إذاً، قال : ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فَأَسْلَمْتُ، ثم رَجَعْتُ إلى أهل بيتي، فأمرتُهُمْ فأسلموا . قال : وكتمتُ إسلامي من يَهُودَ، ثم جِئتُ رسول الله ﷺ فقلت له : يا رسول الله، إن يَهُودَ قومٌ بُهْتٌ، وإِنِّي أُحِبُّ أن تدخلني في بعض بُيوتك وتغيبِّني عنهم، ثم تسألهم عني، حتى يخبروك كيف أنا فيهم، قبل ان يعلموا بإسلامي ؛ فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني . قال : فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته، ودخلوا عليه فكلموه وسألوه، ثم قال لهم : « أي رجل الحصين بن سلام فيكم ؟ » قالوا : سيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وعالمنا، قال : فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم، فقلت لهم : يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به، فوالله، إنكم لتعلمون إنه لرسول الله، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته ؛ فإني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأومن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا : كذبت، ثم وقعوا بي . قال : فقلت لرسول الله ﷺ : ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قومٌ بُهتٌ، أهل غدر وكذب وفجور ؟ قال : فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث ؛ فحسن إسلامها»(١) .

(١) السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ : ص٢٤٠-٢٤١ .

د- قِصَّة إِسْلاَم زيد بن سعنة رضي الله عنهم :

قال عبد الله بن سلام الحبر : «إن الله -عز وجل- لما أراد هُدَى زيد بن سعنة قال زيد بن سعنة: إنه لم يبق من علامات النبوة شيء، إلا وقد عرفتُها في وجه محمد ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين لم أَخْبُرْهما منه : يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فكنت أتلطف له لأن أخالطه فأعرف حلمه من جهله، فخرج رسول الله ﷺ يوماً من الحجرات، ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال : يا رسول الله إن قرية بني فلان قد أسلموا، ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم أنهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً، وقد أصابتهم سنة وشدة وقحوط من الغيث، وإني أخشى يا رسول الله أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به، قال : فنظر رسول الله ﷺ إلى رجل إلى جانبه – أراه عليا –، فقال رسول الله ﷺ : ما بقي منه شيء، وقال الحسن بن سفيان : ما بقي معك منه شيء . قال زيد بن سُعْنَة : فدنوت إليه، فقلت له : يا محمد ! هل لك أن تبيعني تمراً معلوماً من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا ؟ فقال : لا يا يهودي ! ولكن أبيعك تمراً معلوماً على أجل كذا وكذا، ولا أسمي حائط بني فلان . قال : قلت : نعم ! فبايعني، فأطلقت هِمْياني، فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاه الرجل، وقال : أعجل عليهم وأعنهم بها، قال زيد بن سُعنة : فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاثة وخرج رسول الله ﷺ إلى جنازة رجل، ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم في نفر من أصحابه، فلما صلى على الجنازة دنا من جدار ليجلس إليه فأتيتهُ، فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت : ألا تقضي يا محمد حقي، فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب لَمُطْلٌ، ولقد كان لي بمُماطَلِتكم علمٌ، قال : فنظرت إلى عمر، وإذا عيناه تدوران في وجه كالفَلَك المُستدير، ثم رماني ببصره فقال : يا عدو الله ! أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع، وتصنع ما أرى ؟ ـ زاد الحسن : اكفف يدك عن رسول الله ﷺ ولم يذكر خشنام ذلك . وقالا : فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إلى عمر في سكون وتُؤَدَةٍ وتبسم، ثم قال : يا عمر ! أنا وهو كنا أحوج إلى غير

هذا، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التباعة، اذهب به يا عمر، فاعطه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر مكان ما رُعْتَهُ، قال زيد : فذهب بي عمر، فقضاني حقي، وزادني عشرين صاعاً من تمر، فقلت : ما هذه الزيادة يا عمر ؟، فقال : أمرني رسول الله ﷺ أن أزيدك مكان ما رُعْتُكَ، فقلت : أتعرفني يا عمر ؟ قال : لا ! فمن أنت ؟ قلت : أنا زيد بن سُعنة، قال : الحبر ؟ قلت : الحبر، قال : فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله ﷺ ما فعلت وقلت له ما قلت ؟ قلت : يا عمر إنه لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه، إلا اثنتين، لم أخبرهما منه : يسبق حلمُه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، فقد خبرتُهما، فأُشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وأشهدك أن شطر مالي - فإني أكثرهم مالاً - صدقة على أمة محمد ﷺ، فقال لي عمر : أو على بعضهم، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله، وآمن به وصدقه وتابعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، وتوفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر، رحم الله زيداً»[(١)] .

٤ . الحدس السليم :

وقد أشرنا ضمن التطرق إلى مرحلة الإلهام إلى الحدس ونضيف بأن الشواهد قائمة على ما يتمتع به رسول الله وحتى الصفوة من المؤمنين صحابة وتابعين لا بل وحتى في يومنا هذا، فكل من نهل من إبداع محمد ﷺنال نصيباً من ثمرات هذا الإبداع . نعم لقد امتزج في رسول الله ﷺ البصيرة الثاقبة والوحي الإلهي، إن رسول الله ﷺ لم يكن كغيره من البشر، فها هو يقول : « هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَاهُنَا، فَوَاللهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ خُشُوعُكُمْ وَلاَ رُكُوعُكُمْ، إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي »[(٢)] .

(١) دَلَائِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أَحَوال صَاحِب الشرِيعَة : ٦/ ٢٧٩-٢٨٠ .

(٢) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص١٠٢، كتاب الصلاة، باب عِظَةِ الإِمَام النَّاسَ فِي إِتْمَام الصَّلَاة وَذِكْر الْقِبْلَة، رقم الحديث (٤١٨و٧٤١)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص١٨٣، كتاب الصلاة، باب الأَمْر بِتَحْسِين الصَّلاَة وَإِتْمَامِهَا وَالْخُشُوع فِيهَا، رقم الحديث (٤٢٤) .

كما أن الصحابة الكرام كان لهم نصيب وَفير من هذا .

٥. المرونة :

إن المرونة إذا استخدمت في غير موضعها كانت ضعفاً ووهناً، والمرونة إذا كانت تمس الهدف أو الفكرة الأساسية فهي تراجع وتقوقع، وإذ كانت مهادنة لشروط مفروضة بتملق فهي مداهنة .

لذلك لن يدفعنا الحديث عن هذه النقطة إلى الإسهاب في عرض المواقف المرنة لرسول الله ﷺ أو محاولة استنتاجها عنوة لكي نتوافق مع العنوان، فرسول الله ﷺ حيال الغرض الجوهري لم يبد أي تنازل ولو قيد شعرة كما مر بنا، بيد أن مرونته تبدو في حالات توفرت فيها الشروط المدنية العالية، فهو إن أبدى قدراً من المرونة أشعرَ في نفس الوقت الطرف المقابل، كما ويُشْعِر الدارسين والمطلعين على أنه الطرف الأقوى وأنه ينطلق من أرضية صلبة، ولعل أبرز قدر من المرونة أبداه رسول الله ﷺ هو في صلح الحديبية، حتى أن هذا أثار حفيظة عدد من الصحابة المقربين ولكنهم استكانوا بعدما عرفوا حقيقة الأمر، ولكن ما تحقق لرسول الله ﷺ من ثمرات إثر هذا الصلح كان يفوق حالة اللااتفاق بكثير، كما أن الشروط التي وضعها رسول الله ﷺ كانت بحد ذاتها صفعة عنيفة لقريش لا يوازيها من حيث القوة والتأثير الماديين إلا فتح مكة وكسب معركة بدر الكبرى .

٦. الفطنة المميزة :

الفطن ؛ هو الإنسان النابه، الذي يلفت نظره أبسط التفاصيل الدقيقة، ليكتشف ما خلفها من معاني، وهو لا يؤخذ على حين غرة إلا فيما ندر، فهو نابه ذكي، ولربما يشعر الكاتب بحرج في ذكر الشواهد الدالة على فطنة رسول الله ﷺ، أو على شجاعته وعلى مجمل خصاله الخيّرة، ونحن لا نسوقها من قبيل البرهنة، بل للاستدلال والتعلم والتأسي وهذا هو ما يهتم به القارئ المسلم، ولكن الحاجة قد تكون مطلوبة للقارئ المشكك أو غير المسلم .

إن أي موقف للحبيب محمد ﷺ تختاره، أو أي حديث له، ينبئك بفطنة نادرة الطراز،

وأبسط دليل عليها هو تجلي فطنته كما هو شأن بقية صفاته السامية على أصحابه الكرام رضي الله عنهم ؟ اتصفوا بكثير من صفاته مع الفارق طبعاً، وندرج هنا بعض الأمثلة على فطنته ﷺ :

أ- عن محمد بن سيرين : قال : « ذكر رجال على عهد عمر رضي الله عنهم فكأنهم فضلوا عمر على أبي بكر رضي الله عنهم قال : فبلغ ذلك عمر رضي الله عنهم فقال : والله لليلة من أبي بكر خير من آل عمر وليوم من أبي بكر خير من آل عمر : لقد خرج رسول الله ﷺ لينطلق إلى الغار ومعه أبو بكر فجعل يمشي ساعة بين يديه وساعة خلفه حتى فطن له رسول الله ﷺ فقال : يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي ؟ فقال : يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك فقال : يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني ؟ قال : نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من ملمة إلا أن تكون بي دونك، فلما انتهيا إلى الغار قال أبو بكر : مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ لك الغار فدخل واستبرأه حتى إذا كان في أعلاه ذكر أنه لم يستبرئ الحجرة فقال : مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الحجرة فدخل واستبرئ ثم قال : انزل يا رسول الله فنزل، فقال عمر : والذي نفسي بيده لتلك الليلة خير من آل عمر »(١) .

ب- عَنْ عَلِيٍّرضي الله عنهم ، قَالَ : « لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَصَبْنَا مِنْ ثِمَارِهَا، فَاجْتَوَيْنَاهَا وَأَصَابَنَا بِهَا وَعْكٌ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَبَّرُ عَنْ بَدْرٍ، فَلَمَّا بَلَغَنَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا، سَارَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى بَدْرٍ، وَبَدْرٌ بِئْرٌ، فَسَبَقْنَا الْمُشْرِكِينَ إِلَيْهَا، فَوَجَدْنَا فِيهَا رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، رَجُلاً مِنْ قُرَيْشٍ، وَمَوْلًى لِعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْط، فَأَمَّا الْقُرَشِيُّ فَانْفَلَتَ، وَأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذْنَاهُ، فَجَعَلْنَا نَقُولُ لَهُ : كَمِ الْقَوْمُ ؟ فَيَقُولُ : هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ . فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لَهُ : كَمِ الْقَوْمُ ؟ قَالَ : هُمْ وَاللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُ كَمْ هُمْ، فَأَبَى ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ : كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الْجُزُرِ ؟ فَقَالَ :

(١) الْمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : ٣/ ٧، كتاب الهجرة، رقم الحديث (٤٣٢٧) .

عَشْراً كُلَّ يَوْم، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : الْقَوْمُ أَلْفٌ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِائَةٍ وَتَبِعَهَا ... »(١) .

ج- عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « إِذَا أَحْدَثَ أَحَدُكُمْ فِي صَلاَتِهِ فَلْيَأْخُذْ بِأَنْفِهِ ثُمَّ لْيَنْصَرِفْ »(٢) .

د- عَن أَبِي هُرَيْرَة قَال : « قَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُول اللهَّ، إِنَّ لِي جَاراً يُؤْذِينِي، فَقَال : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيق، فَانْطَلَقَ فَأَخْرِجَ مَتَاعَهُ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْه، فَقَالُوا : مَا شَأْنُك ؟ قَال : لِي جَارٌ يُؤْذِينِي، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَال : انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيق، فَجَعَلُوا يَقُولُون : اللَّهُمَّ الْعَنْهُ، اللَّهُمَّ أَخْزِهِ . فَبَلَغَهُ، فَأَتَاهُ فَقَال : ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِك، فَوَاللهَّ لاَ أُؤْذِيك »(٣) .

هـ- وأخرج عبد الرزاق عن معمر عن رجل من بعض أصحابه قال : «دخل قوم على سلمان وهو أمير بالمدائن، وهو يعمل هذا الخوص، فقيل له : أتعمل هذا وأنت أمير ؟ وهو يجري عليك رزق، قال : إني أحب أن آكل من عمل يدي، وسأخبركم كيف تعلمت هذا، إني كنت في أهلي برام هرمز، وكنت أختلف إلى معلمي الكتاب، وكان في الطريق راهب، فكنت إذا مررت جلست عنده، فكان يخبرني من خبر السماء والأرض ... قال : وكان الراهب قال : إن الله تعالى لم يعط العرب من الأنبياء أحداً، وإنه سيخرج منهم نبي، فإن أدركته فصدقه وآمِنْ به، وإن آيته أن يقبل الهدية ولا يأكل الصدقة، وإن في ظهره خاتم النبوة، قال : فمكثت ما مكثت، ثم قالوا : جاء النبي ﷺ إلى المدينة فخرجت معي بتمر فجئت إليه به، فقال : ما هذا ؟ قلت : صدقة، قال : لا نأكل الصدقة، فأخذته، ثم أتيته بتمر فوضعته بين يديه، فقال: ما هذا ؟ فقلت: هدية، فأكل وأكل من كان عنده، ثم قمت وراءه لأنظر الخاتم، ففطن

(١) مُسْنَد الإمام أَحْمَد : ٢/ ٢٥٩، رقم الحديث (٩٤٨)، وسُنَن أَبِي دَاوُد : ص٣٠٠، كتاب الجهاد، باب في المبارزة، رقم الحديث (٢٦٦٥)،

(٢) سُنَن أَبِي دَاوُد : ص١٣٦، كتاب الصلاة، باب اسْتِئْذَان الْمُحْدِث الإِمَام، رقم الحديث (١١١٤)، وسُنَن الدَّارَقُطْنِيّ : ٢٨٨، كتاب الطهارة، باب فِي الْوُضُوء مِنَ الْخَارِج مِن الْبَدَن كَالرُّعَاف وَالْقَيْء وَالْحِجَامَة وَنَحْوِه، رقم الحديث (٥٨٥) .

(٣) الأَدَبُ الْمُفرَد، للبخاري : ص٦٥، باب شكاية الجار، رقم الحديث (١٢٤) .

بي، فألقى رداءه عن منكبيه، فآمنت به وصدقته، قال : فإمّا كاتب على مئة نخلة، وإما اشترى نفسه بمئة نخلة، قال : فغرسها رسول الله ﷺ بيده، فلم يحل الحول حتى بلغت، أو قال : أكل منها »[١] .

وهناك كثيراً من الشواهد الدالة على فطنته المميزة منها : إيجاده الحل لمشكلة وضع الحجر الأسود في مكانه والتي نشبت بين قبائل قريش قبل نبوته ﷺ[٢]، وكيف سحرت فطنة النبي ﷺ حُصيناً إذ كانت سبباً في إسلامه، والتحدث حسب مستوى البدوي، بعد طرح أسئلتهم البدوية وتلقيهم أنسب الأجوبة وأكثرها ملاءمة لحالتهم ولعالمهم الروحي[٣] .

*** ومن أمثلة فطنة الصحابة رضي الله عنهم :**

أ- فِطْنَة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

عَنْ أَنَسٍ قَالَ : « لَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ الله ﷺ، كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَرْكَبُ وَأَبُو بَكْرٍ رَدِيفُهُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُعْرَفُ فِي الطَّرِيقِ لِاخْتِلاَفِهِ إِلَى الشَّام، وَكَانَ يَمُرُّ بِالْقَوْمِ فَيَقُولُونَ : مَنْ هَذَا بَيْنَ يَدَيْكَ يَا أَبَا بَكْر ؟ فَيَقُولُ : هَادٍ يَهْدِينِي . فَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ بَعَثَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنَ الأَنْصَار إِلَى أَبِي أُمَامَة وَأَصْحَابِه، فَخَرَجُوا إِلَيْهِمَا فَقَالُوا : ادْخُلاَ آمِنَيْنِ مُطَاعَيْنِ، فَدَخَلاَ قَالَ أَنَس : فَمَا رَأَيْتُ يَوْماً قَطُّ أَنْوَرَ وَلاَ أَحْسَنَ مِنْ يَوْمِ دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَبُو بَكْر الْمَدِينَةَ، وَشَهِدْتُ وَفَاتَهُ، فَمَا

---

(١) الْمُصَنَّف : ٤١٨-٤٢٠، كتاب البيوع، باب المكاتب على الرقيق، رقم الحديث (١٥٧٦٨) .

(٢) السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ، لابن هشام : ص٩٣ .

(٣) مثاله : عَن أَبِي تِمِيمَة، عَنْ رَجُلٍ مِنْ قَوْمِهِ، « أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، أَوْ قَالَ : شَهِدْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَتَاهُ رَجُلٌ ـ فَقَالَ أَنْتَ رَسُولُ الله ؟، أَوْ قَالَ : أَنْتَ مُحَمَّدٌ ـ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَإِلاَمَ تَدْعُو ؟ قَالَ : أَدْعُو إِلَى الله وَحْدَهُ، مَنْ إِذَا كَانَ بِكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَمَنْ إِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَ لَكَ، وَمَنْ إِذَا كُنْتَ فِي أَرْضٍ قَفْرٍ فَأَضْلَلْتَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّ عَلَيْكَ، قَالَ : فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ، ثُمَّ قَالَ : أَوْصِنِي يَا رَسُولَ الله ؟ فَقَالَ لَهُ : لاَ تَسُبَّنَّ شَيْئاً، أَوْ قَالَ أَحَداً : شَكَّ الْحَكَمُ ـ قَالَ : فَمَا سَبَبْتُ شَيْئاً بَعِيراً، وَلاَ شَاةً مُنْذُ أَوْصَانِي رَسُولُ الله ﷺ، وَلاَ تَزْهَدْ فِي الْمَعْرُوف، وَلَوْ بِبَسْطِ وَجْهِكَ إِلَى أَخِيكَ وَأَنْتَ تُكَلِّمُهُ، وَأَفْرِغْ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَاتَّزِرْ إِلَى نِصْفِ السَّاق، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الْكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَار فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَة، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ » . مُسْنَد الإمام أَحْمَد : ٣٨/ ٢٥٣، رقم الحديث (٢٣٢٠٥).

رَأَيْتُ يَوْماً قَطُّ أَظْلَمَ، وَلاَ أَقْبَحَ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ فِيه »[١] .

وعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ قَالَ : « خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَال إِنَّ اللهَّ خَيَّرَ عَبْداً بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ الله فَبَكَى أَبُو بَكْر، رضي الله عنهم، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ إِنْ يَكُنِ اللهَّ خَيَّرَ عَبْداً بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ الله فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْر أَعْلَمَنَا قَالَ يَا أَبَا بَكْر لاَ تَبْكِ إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْر وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْر وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلاَم وَمَوَدَّتُهُ لاَ يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلاَ سُدَّ إِلاَّ بَابُ أَبِي بَكْر »[٢] .

قال ابن الجوزي : «هذا الحديث قد دلَّ على فِطْنَة أبي بكر، إذْ عَلِمَ أنَّ المخَيَّر هو رسول الله ﷺ »[٣] .

ب- فِطْنَة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

عن عَبْد الله بْن عُمَر قَالَ : « مَا سَمِعْتُ عُمَرَ لِشَيْءٍ قَطُّ يَقُول : إِنِّي لأَظُنُّهُ كَذَا، إِلاَّ كَانَ كَمَا يَظُنُّ، بَيْنَمَا عُمَرُ جَالِسٌ، إِذْ مَرَّ بِهِ رَجُلٌ جَمِيلٌ، فَقَال : لَقَدْ أَخْطَأَ ظَنِّي، أَوْ إِنَّ هَذَا عَلَى دِينِهِ فِي الْجَاهِلِيَّة، أَوْ لَقَدْ كَان كَاهِنَهُمْ، عَلَيَّ، الرَّجُلَ فَدُعِيَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ اسْتُقْبِلَ بِهِ رَجُلٌ مُسْلِم، قَالَ : فَإِنِّي أَعْزِمُ عَلَيْكَ إِلاَّ مَا أَخْبَرْتَنِي، قَالَ : كُنْتُ كَاهِنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّة، قَالَ : فَمَا أَعْجَبُ مَا جَاءَتْكَ بِهِ جِنِّيَّتُكَ، قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا يَوْماً فِي السُّوق، جَاءَتْنِي أَعْرِفُ فِيهَا الْفَزَع، فَقَالَتْ : أَلَمْ تَرَ الْجِنَّ وَإِبْلاَسَهَا، وَيَأْسَهَا مِنْ بَعْدِ إِنْكَاسِهَا، وَلُحُوقَهَا بِالْقِلاَصِ وَأَحْلاَسِهَا، قَالَ عُمَر : صَدَقَ، بَيْنَمَا أَنَا عِنْدَ آلِهَتِهِمْ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِعِجْلٍ فَذَبَحَهُ، فَصَرَخَ بِهِ صَارِخٌ، لَمْ أَسْمَعْ

---

(١) مُسْنَد الإمام أَحْمَد : ١٩/ ٢٦٤، رقم الحديث (١٢٢٣٤) .

(٢) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٦٩٨، كتاب فضائل الصحابة، باب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ سُدُّوا الأَبْوَابَ إِلاَّ بَابَ أَبِي بَكْر، رقم الحديث (٤٦٦و٣٦٥٤و٣٩٠٤)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٩٧١، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق، رقم الحديث (٢٣٨٢) .

(٣) كشفُ المُشكِلِ مِن حَدِّيث الصَّحيحينَ : ص١٤٥-١٤٦، رقم الحديث (١٧٦١) .

صَارِخاً قَطُّ أَشَدَّ صَوْتاً مِنْهُ يَقُولُ : يَا جَلِيح، أَمْرٌ نَجِيحْ، رَجُلٌ فَصِيحْ، يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، فَوَثَبَ الْقَوْمُ، قُلْتُ : لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَعْلَمَ مَا وَرَاءَ هَذَا، ثُمَّ نَادَى : يَا جَلِيحْ، أَمْرٌ نَجِيحْ، رَجُلٌ فَصِيحْ، يَقُولُ : لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، فَقُمْتُ فَمَا نَشِبْنَا أَنْ قِيلَ : هَذَا نَبِيّ »[١] .

ووصف العيني فراسة سيدنا عمر بن الخطاب في شرح الحديث : «وقد تقدم في مناقبه أنه كان مُحدثاً، وقد ذكرنا أن معنى (المحدثين) : الملهمون، والملهم هو الذي يلقي في نفسه الشي فيخبر به حدساً وفراسة»[٢].

وعن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله، عن أبيه، عن جده جرير: « أَنَّ عُمَر بن الْخَطَّاب قَالَ لَهُ، وَالنَّاسُ يَتَحَامَوْنَ الْعِرَاقَ وَقِتَالَ الْأَعَاجِم : سِرْ بِقَوْمِكَ، فَمَا غَلَبْتَ غَداً عَلَيْه فَلَكَ رُبُعُهُ، فَلَمَّا جُمِعَتِ الْغَنَائِم، غَنَائِمُ جَلُولَاء، ادَّعَى جَرِير أَنَّ لَهُ رُبُعَ ذَلِك، فَكَتَبَ سَعْد إِلَى عُمَر بن الْخَطَّاب، بِذَلِك فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَر : صَدَقَ جَرِير، قَدْ قُلْتُ ذَلِكَ لَه، فَإِنْ شَاءَ أَنْ يَكُون قَاتَلَ هُوَ وَقَوْمُهُ عَلَى جُعْلٍ فَأَعْطُوهُ جُعْلَهُ، وَإِنْ يَكُنْ إِنَّمَا قَاتَلَ للهَّ، وَلِرَسُولِه، وَلِدِينِه، وَحَسَبِه، فَهُوَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِين، لَهُ مَا لَهُمْ، وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ . وَكَتَبَ عُمَر بِذَلِكَ إِلَى سَعْد، فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابُ عَلَى سَعْد دَعَا جَرِيراً فَأَخْبَرَهُ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيْهِ عُمَر، فَقَالَ جَرِير : صَدَقَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِين، لَا حَاجَةَ لِي بِهِ، بَلْ أَنَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِين، لِي مَا لَهُمْ، وَعَلَيَّ مَا عَلَيْهِمْ »[٣] .

ج- فِطْنَة علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

عن حنش بن المعتمر : « أن رجلَين أتيا امرأةً من قريش، فاستودعاها مائة دينار وقالا لها: لا تَدْفعيها إلى أحدٍ منّا دون صاحبه، حتى نجتمع، فلبثا حولاً، ثم جاء أحدُهما إليها وقال : إنَّ صاحبي قد مات فادفَعي إليَّ الدنانير، فأبت، فثقُل عليها بأهلها، فلم يزالوا بها حتى دفعتها

(١) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٧٣٣، كتاب مناقب الأنصار، باب إِسْلَام عُمَر بْن الْخَطَّاب رضي الله عنهم، رقم الحديث (٣٨٦٦) .

(٢) عُمْدَة القارئ شْرَح صَحِيْح الْبُخَارِيّ، للعيني : ١٧/ ٦، رقم الحديث (٣٤٩) .

(٣) الطَبَقَات الكُبْرَى، لابن سعد : ١/ ٨٢٦، وتَهْذِيب الكَمال في أسماء الرجال، للمزي : ٤/ ٥٣٩ .

إليه . ثم لبثتْ حولاً آخر، فجاء الآخر فقال : ادفَعي إليَّ الدنانير، فقالت : إنَّ صاحبكَ جاءني وزعم أنَّك قد متَّ فدفعتُها إليه . فاختصما إلى عمر رضي الله عنهم، فأراد أن يقضي عليها . فقالت : أنشدُكَ الله أن لا تقضى بيننا وارفَعْنا إلى عليّ بن أبي طالب، فرفعهما إلى عليّ، فعرف أنهما قد مَكَرا بها، فقال : أليس قلتما : لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه ؟ قال : بلى . قال : فإنَّ مَالكَ عندنا، فاذهبْ فجئْ بصاحبك حتى ندفَعها إليكُما »[1] .

٧. المرونة الفكرية :

إن المرونة الفكرية لا تعني قطعاً التنازل عن المبادئ، ولكنها برأينا تعني التعامل المرن والسمح مع الأفكار المطروحة، وتتوقف حقيقة المرونة على طبيعة هذه الأفكار، فإذا كانت معادية أو متعارضة فلا مهادنة ولا اتفاق، أما إذا كانت تحمل جانباً من الصواب، أو تحمل نوايا خيّرة فآنذاك تبتدئ المرونة الفكرية .

ووفق هذه الروحية تجلّت المرونة الفكرية الواسعة لرسول الله ﷺ لا سيما إذ علمت تجرده من الحساسيات الشخصية والعقد البشرية والحسد والحقد والضغينة وما شابه ذلك، بل إن العكس هو الصحيح، فطبعت مرونته ﷺ ببعد أخلاقي أصيل .

فوقوفه ﷺ في مكة بعد فتحها وهو الفاتح المنتصر، الذي غادرها مهاجراً بعد أن أذاقه أهلها الآمرين، فاشرأبت نحوه الأعناق مرتقبة ما سيقرره رسول الله ﷺ من مصير لهؤلاء المعادين المحاربين، وعندما طرح تساؤله الشهير : « مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ ؟ .

قَالُوا : خَيْراً أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيم . قَالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاء »[2]، فأي مرونة، وأي تسامح بعد هذا ؟

(١) ذَخَائِرُ العُقبَى في مَنَاقِب ذَوي القُربَى : ص١٤٥-١٤٦ .

(٢) سُنَن البَيْهَقي الكُبرى : ٩/ ٢٠٠، جماع أبواب السير، باب فتح مكة حرسها الله تعالى، رقم الحديث (١٨٢٧٦) . قال البيهقي : « وَإِنَّمَا أَطْلَقَهُمْ بِالأَمَان الأَوَّل الَّذِي عَقَدَهُ عَلَى شَرْط قَبُولِهِمْ فَلَمَّا قَبِلُوهُ قَال : « أَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ » . يَعْنِى بِالأَمَان الأَوَّل، وَاللهُ أَعْلَم « .

وقد يقول قائل : إن هذا مرتجى ممن يمثل القيم الدينية السامية، ولكن هذا ليس بالقانون قطعاً، فالإنسان في مواقف كهذه قد تستبد فيه الرغبة بالانتقام، فبعض الناس إذا ما قُدر لهم أن يتبؤوا السلطة أو القدرة انتقموا من مخالفيهم ومعارضيهم شر انتقام ولا يزيل هذه الرغبة الانتقامية سليمة المخالفة أو محدودية القائمين بها ، فيأتي الانتقام شاملاً مدمراً للجميع .

إذْ الأمر عندما يلامس الواقع هو غيره عندما يكون على الورق، فالشعارات والطروحات المثالية قد لا تحتاج إلى أكثر من عبوة هوائية تتحقق بعملية الشهيق، ولكن التطبيق العملي شيء عسير ومغاير بكل تأكيد .

لنسترسل مع الذكرى العطرة لرسول الله ﷺ ونستمد العبر من سيرته بذكر الشواهد الدالة على العفو والتسامح :

قال تعالى : [وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ][(١)] .

وقال تعالى : [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ][(٢)] .

وقال تعالى : [قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ][(٣)] .

وقال تعالى : [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ][(٤)].

---

(١) سورة فصلت : الآية ٣٤-٣٥ .
(٢) سورة آل عمران : ١٣٤ .
(٣) سورة يوسف : الآية ٨٩-٩٢ .
(٤) سورة الأعراف : ١٩٩ .

عَن عَبْد الله بْن الزُّبَيْر : «[خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ] قَالَ : مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلاَّ فِي أَخْلاَقِ النَّاس »[1] .

وعَنْ عَبْد الله بْن الزُّبَيْر قَالَ : «أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْخُذَ الْعَفْوَ مِنْ أَخْلاَقِ النَّاس، أَوْ كَمَا قَالَ»[2] .

وَعَن وَهْب بْن كَيْسَان قَال : « سَمِعْتُ عَبْد الله بْن الزُّبَيْر رضي الله عنهم يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَر : [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] قَال : وَاللهِ مَا أَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤْخَذَ إِلَّا مِنْ أَخْلاَقِ النَّاس، وَاللهِ لَآخُذَنَّهَا مِنْهُمْ مَا صَحِبْتُهُمْ »[3] .

وعن حُذَيْفَة رضي الله عنهم قَال : « قَالَ النَّبِيُّ ﷺ تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالُوا : أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئاً ؟ قَالَ : كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَن الْمُوسِر، قَالَ : قَالَ فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ »[4] .

وعن الأَعْمَش، عَنْ أَبِي وَائِل، عَنْ أَبِي نُحَيْلَةَ « قِيلَ لَهُ : ادْعُ اللهَّ، قَالَ : اللَّهُمَّ انْقُصْ مِنَ الْمَرَض، وَلاَ تَنْقُصْ مِنَ الأَجْر، فَقِيلَ لَهُ : ادْعُ، ادْعُ . فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الْمُقَرَّبِين، وَاجْعَلْ أُمِّي مِنَ الْحُورِ الْعِين»[5] .

---

(١) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٨٨٥، كتاب التفسير، باب [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ]، رقم الحديث (٤٦٤٣و٤٦٤٤) .

(٢) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٨٨٥، كتاب التفسير، باب [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ]، رقم الحديث (٤٦٤٣و٤٦٤٤) .

(٣) الأَدَبُ الْمُفْرَد : ص١١٨، رقم الحديث (٢٤٤) .

(٤) متفق عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٣٩٢، كتاب البيوع، باب من أنظر موسراً، رقم الحديث (٢٠٧٧و٢٣٩١و٣٤٥١)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٦٣٨، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار الْمُعسر، رقم الحديث (١٥٦٠) .

(٥) الأَدَبُ الْمُفْرَد : ص٢٣٢، رقم الحديث (٥٠٤) .

وعن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهم قَالَ : « قَدِمَ عُيَيْنَة بْن حِصْن بْن حُذَيْفَة، فَنَزَلَ عَلَى ابْن أَخِيهِ الْحُرِّ بْن قَيْس، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَر، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَر وَمُشَاوَرَتِه، كُهُولاً كَانُوا، أَوْ شُبَّاناً، فَقَالَ عُيَيْنَة لِابْن أَخِيه : يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِير، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْه، قَالَ : سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْه، قَالَ ابْن عَبَّاس : فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَة، فَأَذِنَ لَهُ عُمَر، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْه قَال : هِيْ يَا ابْن الْخَطَّاب، فَوَالله، مَا تُعْطِينَا الْجَزْل، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْل، فَغَضِبَ عُمَر، حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِين، إِنَّ اللهَّ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ : [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ] وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِين، وَالله مَا جَاوَزَهَا عُمَر حِينَ تَلاَهَا عَلَيْه، وَكَانَ وَقَّافاً عِنْدَ كِتَابِ الله »[١] .

٨. **المنطقية :**

هي القدرة على التوصل إلى نتائج سليمة من التعرف على المقدمات، أو السعي لاكتشافها، وبالتالي إمكانية التواصل مع الآخرين من الحجج السليمة المقنعة .

ومن الجدير القول أن الحجج المنطقية ويغلب عليها الجانب الرومانسي النظري، فيتعذر تطبيقها على أرض الواقع، ولكن المستمع لا يجد بداً من التسليم بسلامة الحجج، لذلك فإن كل ما هو معقول منطقي، ولكن ليس كل ما هو منطقي معقول .

فأنت تستطيع إقناع الأخرين بإمكانية أي جسم أن يخترق الهواء، مع أن الهواء مكوّن من جزيئات متماسكة، وكذلك على إمكانيته الجسم على اختراق السوائل مع أنها مكونة من جزيئات متماسكة هي الأخرى، وعلى هذا فيمكن للجسم أن يخترق أي مادة ذات جزيئات متماسكة، وهذا الاستنتاج سليم تماماً، ولكن هل يمكن للجسم أن يخترق الجدار مثلاً وهو مكوّن من جزيئات متماسكة أيضاً ؟

(١) صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٨٨٤-٨٨٥، كتاب التفسير، باب [خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ]، رقم الحديث (٤٦٤٢و٧٢٨٦) .

إن هذا الاستنتاج منطقي ويبدو سليماً للغاية، ولكنه غير واقعي وغير معقول، فالمنطقية إذاً وبعيداً عن التشابكات الفكرية التي تطرحها المدارس الفكرية المختلفة هي إمكانية الطرح المقنع للأفكار، أو الاستنتاج المقنع، بغض النظر عن الجدوى التطبيقية .

لقد نشب صراع فكري بين رسول الله ﷺ وبين المشركين وأهل الكتاب فالطروحات الجديدة للرسول ﷺ شكلّت تحدياً فكرياً لما هو مطروح من أفكار .

لقد أمتاز طرح الأفكار المحمدية بالمنطقية، ولكنها منطقية واقعية شئنا أم أبينا، ولو تناولنا إحدى طروحات الرسول ﷺ مستدلين بها على القوة المنطقية الكامنة فيها، لوجدنا طرفاً يطرح أفكاره بمنطقية راقية فلا يجد الطرف المقابل أمام قوة الحجة بداً من اللجوء إلى السخرية، أو طرح الأفكار العقيمة البعيدة كل البعد عن المنطق بل يشوبها التحريف والجهل والمغالطة لأن الدافع ليس التوصل إلى الحقيقة، بل لطمس الحقيقة عينها جراء تضارب الفكرة الجديدة مع المصالح السائدة .

ومن بين الأفكار المحمدية، نسلط الضوء على فكرة (البعث) .

إن الاتجاهات الاعتقادية السائدة آنذاك، والتي تجيب عن التساؤل إلى ما تصير النفس البشرية بعد الموت، تتمثل في الغالب بما يلي :

١ . إن الروح بعد الموت، تبعث لتعود إلى جسدها لتلقى حسابها من خالقها ؛ وهو رأي أهل الكتب السماوية .

٢ . إن الروح تعود إلى جسدها بعد مدة من مماتها فلذلك كان أهلوهم يضمون إلى جسد الميت أزواجه ومتاعه، اعتقاداً منهم أنه سيستفاد منها بعد عودته، كما هو معروف لدى الفراعنة مثلاً وأهراماتهم التي هي بحقيقة الأمر مقابر لملوك الفراعنة .

٣. إن الروح إذا فارقت الجسد بعد موته تحل في جسد أخر، بشراً كان أم حيوان، وهؤلاء هم دعاة تناسخ الأرواح، أو الملوك .

٤ . إن الروح إذا فارقت الجسد تبددت وزالت كما يتبدد الجسد ويتحول إلى عظام نخرة

وتراب، وهذا هو رأي المشركين في جزيرة العرب عموماً ورأي قريش خصوصاً .

ولو تفحصنا هذه الآراء من وجهة نظر مادية مجردة عن الاعتبارات الدينية، لوجدنا أن الرأي الأول يصعب الاقتناع به لمن فقد نور الإيمان والبصيرة، إذ يبدو الأمر ضرباً من المستحيل، لعدم تلّمس هؤلاء للأدلة المادية التي تؤيد الحقيقة هذه .

أما الرأي الثاني فعلى ما يبدو أنه متأثر بالرأي الأول، أي فكرة بعث الروح، وهو بصريح العبارة، كما نرى تحريف لآراء أهل الكتب السماوية، ويبدو أن هؤلاء وقد طال عليهم زمن الافتراق عن الأنبياء فنسوا أو تناسوا الأمر، فناله التحريف، أو أنهم لم يستسيغوا فكرة البعث وانتقال الروح إلى عالم غيّبي غير ملموس ولا محسوس لهم، فافترضوا أن العودة ليست بعودة غيبية، بل عودة دنيوية، ولا أدري لِمَ لمْ يجيبوا عن السؤال المطروح إذاً لمَاَ لم يعد إليهم سلفهم ؟

لربما شكل هذا التساؤل الأساس الذي اعتمده أصحاب الرأي الثالث من أن الروح تعود مجدداً ولكن ليست إلى جسد صاحبها، لعدم حصول هذا وحدوثه، فكان أن افترضوا حلولها أو تناسخها .

لكن هذا الرأي ظل صامتاً تجاه أسئلة حيوية مهمة، فعلى سبيل المثال، أي روح انتقلت إلى جسد آخر فلا بد من أن تحمل ذكرياتها وتجاربها السابقة لتحدث به الآخرين فهل حصل هذا ؟ الجواب بالنفي تأكيداً. لذلك كانت الفكرة الجاهلية بفناء الروح والجسد معاً .

وهذا الرأي قد يبدو أكثر واقعية من الآراء السابقة وأكثر تقدمية، وإن غلبت عليه الناحية المادية البحتة، وافتراض كهذا كفيل بحسم التساؤلات التي تثار عند طرح الآراء السابقة، لا سيما وأنه لا توجد أدلة مادية تنفيه بل قد يكون العكس هو صحيحاً، فكيف تعامل رسول الله ﷺ مع هذه الحالة ؟

إن المرجع الذي سنعتمده في بيان هذه المنازعة هو القرآن الكريم، لقد بين القرآن الكريم حقيقة البعث، وقد حاجج الجاحدين بأن أمر بعثهم ليس مستحيلاً فقد خلقهم من قبل وكانوا أمواتاً، كما أن الذي يميتهم قادر أيضاً على حياتهم .

قال تعالى : [كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ](1) .

وقال تعالى : [وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَاباً ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ](2) .

ويلامس الخطاب هنا مسألة حساسة جداً للمجتمع العربي الصحراوي الذي يستبشر خيراً بهطول المطر فيحيل الأرض الجرداء الميتة إلى ربوع خضراء تسرح فيها أنعامهم، والذي أحيا الأرض الميتة بالماء، قادر على أن يحي الأجساد الميتة بماء قدرته .

قال تعالى : [وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً (٥٠) أَوْ خَلْقاً مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيباً](3) .

إن مجرد تساؤل المشركين عن موعد يوم البعث فيه من الدلالة على أن الفكرة قد اخترقت حواجزهم، وما تساؤلهم هذا إلا دليلاً على شكوكهم بصحة حججهم واقتناعهم بما جاء به الرسول ﷺ ولكن الاستكبار هو المانع .

فمن هذا نجد الأصالة المنطقية الواقعية لرسول الله ﷺ .

٩. القدرة على تحمل المسؤولية :

إن القدرة على تحمل المسؤولية تعني امتلاك الإنسان المواصفات الملائمة لحمل الأعباء والنهوض بها، ولا تقف المواصفات عند حدود معينة، أو لا يشترط توافر مواصفات خاصة، فقد يكون الوعي باعثاً ودافعاً لتحمل المسؤولية، وقد يكون الصبر، أو قوة الإرادة، أو الرغبة في الشهرة، أو العناد، أو روح المغامرة، أو التحدي، وغير ذلك كثير، ولربما كان هذا جميعاً المهم

(١) سورة البقرة : الآية ٢٨ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ٥٧ .
(٣) سورة الإسراء : الآية ٤٩-٥١ .

في الأمر .

إن المسؤولية تستوجب إمكانية ما لتحمل أعباؤها، وتتناسب هذه القدرة مع حجم المسؤولية تناسب طردياً، فحيثما عظمت المسؤولية، عظمت القدرة على تحمل المهام المترتبة عليها . وسنختار من القرآن الكريم الآيات الدالة على هذه الناحية، وبالذات تلك التي تبين أسباب اختيار الرسول الكريم ﷺ لأرفع منصب بشري على الإطلاق، ختام النبوّة والرسالات .

إن الآيات التي بيّنت أسباب اختيار الرسول ﷺ مردها إلى أمرين :

الأول : الغاية من النبوة عموماً، وهذه يجملها قوله تعالى : [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ][1] فمعلوم أن الغاية من خلق الخلق : عبادة الله سبحانه وتعالى، وكانت بعثة محمد ﷺ تتويجاً لهذه الرغبة والغاية، فكان رسول الله ﷺ رحمة للناس بهدايتهم إلى الصراط المستقيم .

الثاني : السمات الإبداعية لرسول الله ﷺ والتي أهلته لحمل أمر النبوة وخاتم الرسالات، يقول الله تعالى : [فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ][2] .

وقال تعالى : [الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ][3] .

وقال تعالى : [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ

(١) سورة إبراهيم : الآية ١٠٧ .

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

(٣) سورة الأعراف : الآية ١٥٧ .

رَءُوفٌ رَحِيمٌ][1] .

وقال تعالى : [مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِّ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِّ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً][2] .

وقال تعالى : [هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ][3] .

وقال تعالى : [لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ][4] .

وقال تعالى : [وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيم][5] .

وقال تعالى : [لَقَدْ مَنَّ اللهُّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ][6] .

«من أجل هذا كان الرسول ﷺ مصدَر تزكيةٍ لهم، إنه وقد أصبح طابعه آيات الله أصبح من أجل ذلك مصدر تزكية بالمثال والقدوة والتأسي للمؤمنين، لقد تزكى بآيات الله ولقد زكته آيات الله ... فهو بقوله يتلوها وهو بمسلكه يرسمها»[7] .

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .
(٢) سورة الفتح : الآية ٢٩ .
(٣) سورة الجمعة : الآية ٢ .
(٤) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .
(٥) سورة القلم : الآية ٤ .
(٦) سورة آل عمران : الآية ١٦٤ .
(٧) الرسول، لعبد الحليم محمود : ص١٧١ .

وقال رسول الله ﷺ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاة »[١] .

وقال تعالى : [لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِّ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ][٢] .

فهذه الآية مطلقة عامة أنها خطاب للجميع بالتأسي برسول الله ﷺ أما لماذا ؟ فلأنه حوى جميع الخصال الحسنة فأوجز الله تعالى ذلك بأن وصفه بالأسوة الحسنة في كل شيء .

إن القائد العسكري إذا أراد خوض معركة حاسمة زج بأفضل قطعاته من أجل كسبها، ولربما شاغل أو دافع أو ناور بقطعات ثانوية الأهمية، ولكن معركة الفصل لا يحسمها إلا القوات المجربة الكفؤة .

وهذا هو الحال تماماً في اختيار أمة العرب وسيدهم محمد ﷺ للمعركة الفاصلة النهائية التي لن تليها معركة أخرى، فبعد توالي الرسل والأنبياء تشاء الإرادة الإلهية أن تحسم الأمر، فهل يتم اختيار أضعف القطعات والقادة أم الأفضل في الموازين ؟

الجواب بالتأكيد هو اختيار الأفضل، فكان اختيار العرب لأنهم الأفضل : [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاس][٣]، وكان اختيار محمد ﷺ لأنه الأفضل من بين كافة حملة الرسالات .

كما أن القائد العام قد يختار من بين ضباطه من هو كفء وقادر على تحمل المسؤولية عندما ينيط به مهمة حيوية، فما بالك إذا كان من يختار هو رب العالمين ؟ ولله المثل الأعلى .

وختاماً فالنجاح الهائل الذي حققه ﷺ كفيل بلجم فم كل معارض أو ناكر فالنجاحات تتحدث عن نفسها .

٧. الشجاعة :

من المتعارف عليه أن الشجاعة تتخذ أشكالاً عدة، يمكن إجمالها بالشجاعة الأدبية والشجاعة العملية، ولنحاول من مطالعة الشواهد الحية النهل من مورد الشجاعة النبوية

(١) المُسْتَدْرَك عَلَىَ الصَّحِيحَيْنْ : ١/ ٨٢، كتاب الإيمان، رقم الحديث (١٠٠) .
(٢) سورة الأحزاب : الآية ٢١ .
(٣) سورة آل عمران : الآية ١١٠ .

المحمدية لعلها تكون باعثاً لنا في النهوض بالمسؤوليات .

إن أي موقف لرسول الله ﷺ تتفجر منه الشجاعة والبسالة والجرأة والإقدام، ولكن أي شجاعة وأي بسالة وأي جرأة وأي إقدام ؟

شجاعة مزدانة بالحكمة، وبسالة مقرونة بالفداء، وجرأة متوجة بالطموح مشربة بالمبادئ، وكان من حوله صناديد، أعانوه بخير ما يعين الصحبة قائدهم وحبيبهم ﷺ لننظر ولنتعلم من خصال هذا الرسول العظيم ﷺ .

إن أي مطالعة يسيرة لغزوات رسول الله ﷺ ومعاركه التي خاضها لتنطق جميعها بشجاعته، إنها شجاعة منقطعة النظير .

٨. القدرة على تحمل الإجهاد الفكري والبدني :

بيّنا في تضاعيف هذا البحث الدرجة العالية لصبر رسول الله ﷺ وقدرته على تحمل الأذى الذي صُب عليه من أعدائه وعلى قدرته على تحمل المسؤولية : وسنتناول هذه الخصيصة من زاوية أخرى، تتعلق بقدرة الرسول ﷺ على تحمل الإجهاد الفكري والبدني الذي رافق حياته منذ بدء الدعوة حتى موافاته الخالق جل جلاله .

والشواهد الحيّة عديدة للغاية إذ أن كل لقطة منتقاة من سيرة هذا الرسول العظيم تفصح عن العديد من الدروس المختلفة، ففيها الصبر والذكاء وسرعة البديهة والشجاعة والمنطقية ... الخ . لذلك سنحاول جاهدين الابتعاد عن كلام المواقف ذات الدروس المتعددة والتي سبق وأن درسناها إلى مواقف جديدة لتسليط المزيد من الضوء وكشف المزيد من مساحات الإبداع المحمدي .

٧. الحساسية تجاه المشاكل والمشاعر والاتجاهات الأخرى :

إن رهافة الحس توازي دقة الملاحظة لدى المبدع، فهذه تعني اقتناص أبسط التفاصيل وأصغرها واخضاعها للتحليل في مختبر الإبداع أما رهافة الحس أو الحساسية، فهو ما تتركه هذه الملاحظات من أثر في نفس المبدع وعقله وعاطفته، ولربما كانت درجة تحسس المبدع عالية

جداً، أو أن الحالة التي أمامه تخلق فيه درجة عالية من الحساسية، ولقد سمعنا وقرأنا وعايشنا حالات عدة، فالبعض قد تنتابه الحمى، والآخر قد تعتليه أو يكاد، والبعض يخلد إلى العزلة والتأمل، فوسائل التعبير عن المشاعر الجياشة لا حصر لها ولا عدد وهي تتنوع بتنوع المبدعين أنفسهم، لا وبل حتى غير المبدعين .

إن رهافة الحس والمشاعر لدى المصطفى ﷺ لتوحي للمتتبع، بأن إنساناً مثله، في تفاعله مع ما من حوله من مشاكل تقهر فؤاده، وتذرف دمعته لشدة حساسيته ورقته ورحمته ولا أدل على التزكية الربانية :]لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ[(١) .

والحساسية المرهفة عند رسول الله ﷺ تجسدت في اتجاهين مترابطين :

الأولى : الحساسية تجاه المشاكل المرتبطة بنشر الدعوة، كشيوخ الشرك، وعبادة الأصنام، والعبودية، والزنا ... الخ .

الثاني : حساسية تجاه المشاكل المرتبطة بتوطيد الدولة الإسلامية، كتفاعله مع مشاكل الكادحين، أو المرضى، أو ما يعانيه المسلمون أفراداً أو المسلمون مجتمعاً .

إن المشاكل الشائعة شكلّت همّاً له ﷺ .

أما تحسسه للمشاكل الأخرى، فهي ترسم لنا صورة عن أبٍ رحيم، عطوف، ممتلئاً حباً وحناناً، وتفهم وتفاعل، ولم يكتف رسول الله ﷺ عند حدود التلقي أو التفاعل السلبي بل كان ﷺ يسعى بكل ما هو متاح إلى الإسهام الإيجابي في تذليل هذه المشاكل والصعوبات ووضع الحلول لها، ولم تكن هذه الحلول مقصورة على جيله، بل امتد نظره ﷺ إلى الأفق الزمني البعيد، فكانت معالجاته تحمل طابع الدرس والوصية للأجيال القادمة فإن تجسدت مشكلة ما، إلا ووجدت البصمات المحمدية مطبوعة عليها بالحل، فأي عظمة هذه ؟ وأي إبداع ؟

---

(١) سورة التوبة : الآية ١٢٨ .

٩. الأصالة :

ويقصد بها تنوع الحلول وتعددها وحداثتها، ونتوقف هنا لنستجلي الأمر، فهو بحاجة إلى مزيد من الإيضاح :

أ- إن التنوع والتعدد لا يكمن في العمل المبدع بل في المبدع نفسه، فاللوحة التي رسمها دافنشي مثلاً هي حل واحد، ولكنه قدم حلولاً عدة لمواضيع عدة، وقد يجد المبدع نفسه أمام مشكلة ما فيقدم لها عدداً من الحلول والافتراضات المبتكرة، ومن خلال البحث الإبداعي يستطيع تشخيص الأفضل والأنسب .

ب- إن تعدد الحلول وتنوعها لا ينبغي أن تخرج المبدع عن القصد، وإلا صار هذا التنوع والتلّون نوع من العبث أو التجريب غير الواعي وغير المقصود، بل أن التنوع والتعدد سيخدم القضية أو المشكلة المطلوب معالجتها .

ج- إن تنوع الحلول وتعددها ليس بترف يلجأ إليه المبدع، أو لوقوفه أمام مشكلة ما حائراً فيطلق سيلاً من الآراء الخيالية، بل هو مرتبط بسعة أفق المبدع واتساع معارفه وذكائه وقدرته على التشخيص والاستنباط من ناحيةٍ ومرتبط بالوجوه المتعددة للمشكلة أو ترابطاتها المتداخلة مع مشاكل أخرى الثابتة منها أو المتغيرة من ناحية أخرى بها يلزم المبدع أن ينوع المعالجات، فالمبدع شأنه شأن الطبيب البارع الذي يشخص تأثيرات عدة على جزء معين من البدن فيتسبب عنه حالة واحدة من الألم، فهو لا ينخدع بأن أعراض المرض واحدة وهي الألم، بل يسعى لمعالجة جذرية لكافة المسببات .

إن أصالة رسول الله ﷺ لم تتجسد في إيجاده لحلول متعددة حديثة لمشكلة ما، بل أنه وضع حلولاً متعددة وحديثة لأغلب المشاكل المتعددة التي واجهها فكأن جمع من المبدعين في شخص واحد . لنستقرئ تجاربه في هذا الميدان، ولنزهو مع إبداع قائد الغرّ المحجلين ﷺ .

*** مشكلة سماع الآذان :**

عَنْ أَبِي عُمَيْر بْن أَنَس عَنْ عُمُومَة لَهُ مِن الأَنْصَار قَالَ : « اهْتَمَّ النَّبِيّ ﷺ لِلصَّلاَةِ كَيْفَ يَجْمَعُ

النَّاسَ لَهَا فَقِيلَ لَهُ انْصِبْ رَايَةً عِنْدَ حُضُور الصَّلاَة فَإِذَا رَأَوْهَا آذَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ قَالَ : فَذُكِرَ لَهُ الْقُنْعُ – يَعْنِي الشَّبُّورَ –، وَقَالَ زِيَاد : شَبُّورَ الْيَهُود فَلَمْ يُعْجِبْهُ ذَلِكَ، وَقَالَ : هُوَ مِنْ أَمْرِ الْيَهُود . قَالَ : فَذُكِرَ لَهُ النَّاقُوس فَقَال : هُوَ مِنْ أَمْرِ النَّصَارَى . فَانْصَرَفَ عَبْد اللهَّ بْن زَيْد بْن عَبْد رَبِّه وَهُوَ مُهْتَمٌّ لِهَمِّ رَسُول اللهَّ ﷺ فَأُرِيَ الأَذَان فِي مَنَامِه – قَالَ – فَغَدَا عَلَى رَسُول اللهَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَه : يَا رَسُول اللهَّ إِنِّي لَبَيْنَ نَائِم وَيَقْظَان إِذْ أَتَانِي آتٍ فَأَرَانِي الأَذَان . قَال : وَكَانَ عُمَر بْن الْخَطَّاب رضي الله عنهم قَدْ رَآهُ قَبْلَ ذَلِكَ فَكَتَمَهُ عِشْرِينَ يَوْماً – قَالَ – : ثُمَّ أَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لَه : مَا مَنَعَكَ أَنْ تُخْبِرَنِي . فَقَال : سَبَقَنِي عَبْد اللهَّ بْن زَيْد، فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَال رَسُول اللهَّ ﷺ : يَا بِلاَلُ قُمْ فَانْظُرْ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ عَبْد اللهَّ بْن زَيْد فَافْعَلْه . قَالَ : فَأَذَّنَ بِلاَل . قَالَ أَبو بِشْر : فَأَخْبَرَنِي أَبو عُمَيْر أَنَّ الأَنْصَار تَزْعُمُ أَنَّ عَبْد اللهَّ بْن زَيْد لَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ يَوْمَئِذٍ مَرِيضاً لَجَعَلَهُ رَسُول اللهَّ ﷺ مُؤَذِّناً »(١) .

يتبين من هذا الحديث حرص الرسول ﷺ على تدريب صحابته في حل المشكلات التي تواجههم، عن طريق توفير بيئة مشجعة للتفكير تسمح بإعطائهم فرصه للتفكير والاستماع بإنصات لجميع وجهات النظر والحلول المحتملة للمشكلة، وإن كانت متباينة دون توجيه نقد لصاحبها : لأنه استمدها من ديانات، أو مجتمعات مغايره للمجتمع الإسلامي، إلى أن استطاعوا الوصول إلى حلٍ جديد للمشكلة لم يسبق إليه أحد ويتناسب مع معتقدهم وهويتهم، ولا شك بأن هذا يمثل حلاً إبداعياً للمشكلة .

❊ مشكلة الجلوس في الطريق :

عَن أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ رضي الله عنهم، عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَات . فَقَالُوا : مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا . قَالَ : فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلاَّ الْمَجَالِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا . قَالُوا : وَمَا حَقُّ الطَّرِيق ؟ قَال : غَضُّ الْبَصَر، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلاَم، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوف،

(١) سُنَن أَبِي دَاوُد : ص٧٧، كتاب الصلاة، باب بدء الآذان، رقم الحديث (٤٩٨) .

وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَر»(١) .

وفي هذا الحديث نجد أن النبي ﷺ في أثناء توجيهه لحل مشكلة الجلوس في الطرقات قد عمل على تنمية الإحساس بالرقابة الداخلية والمسؤولية الذاتية عند ممارسة الفعل الجماعي .

❊ **مشكلة الزنا :**

عَن أَبي أُمَامَة قَالَ : « إِنَّ فَتىً شَابّاً أَتى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُول الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : مَهْ . مَهْ . فَقَالَ : ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً . قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ : أَتُحِبُّهُ لأُمِّكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللهِّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأُمَّهَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللهِّ يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لأُخْتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللهِّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لأَخَوَاتِهِمْ . قَالَ: أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللهِّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ . قَالَ : أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ ؟ قَالَ : لاَ . وَاللهِّ جَعَلَنِي اللهُّ فِدَاءَكَ . قَالَ : وَلاَ النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالاَتِهِمْ . قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ »(٢) .

وفي هذا الحديث نجد أن النبي ﷺ قد ساعد هذا الفتى عن طريق تنمية الإحساس بالأخرين وذلك بالمفاضلة بين الذات وبينهم، واستشعار حقوقهم من خلال حقوق الذات .

❊ **مشكلة الحالة الاقتصادية :**

عَنْ أَنَس بْن مَالِك : « أَنَّ رَجُلاً مِن الأَنْصَار أَتى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ فَقَال : أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ . قَالَ : بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ، وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاء . قَال : ائْتِنِى بِهِمَا . فَأَتَاهُ

(١) متفق عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٤٦٤، كتاب المظالم، باب أفنية الدور والجلوس فيها، رقم الحديث (٢٤٦٥)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٨٧٨، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، رقم الحديث (٢١٢١) .

(٢) مُسْنَد الإمام أَحْمَد بن حنْبَل : ٣٦/ ٥٤٥، رقم الحديث (٢٢٢١١) .

بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُول اللهَّ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ : مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْن . قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَم . قَال : مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَم . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً قَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْن. فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْن، وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ، وَقَال : اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَاماً، فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَر قَدُوماً فَأْتِنِي بِه . فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُول اللهَّ ﷺ عُوداً بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْباً، وَبِبَعْضِهَا طَعَاماً، فَقَالَ رَسُول اللهَّ ﷺ : هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ، إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ : لِذِى فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِى غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِى دَمٍ مُوجِع »[١] .

وفي هذا الحديث نرى الطريقة العملية لتنمية قدرة الإنسان على مواجهة المشكلة الاقتصادية بالعمل الشريف .

١٠ . الطـلاقـة :

ويعني بها الطلاقة الفكرية، وأما إذا أضيف إليها الطلاقة اللسانية، فهذا قمة القمم، وهو شأن رسول الله ﷺ الذي يقول : « أنا أفصحُ العرب »[٢] .

وإن عرفنا ما عليه المبدع المخلد رسول الله ﷺ من طلاقة اللسان، فلنرتوي من بحر طلاقته الفكرية والتي يعبر عنها بالقدرة على انتاج أكبر عدد من الأفكار في وحدة زمنية معينة وما يميز الطلاقة عن الأصالة أمرين أساسيين :

أ- اقتران الطلاقة بزمن محدد أما الأصالة فغير مقيدة بزمن معين .

ب- اقتران الأصالة بالأفكار الحديثة المستجدة وعدم اشتراط هذا في الطلاقة .

(١) سُنَن أَبِي دَاوُد : ص١٩٤، كتاب الزكاة، باب بدء ما تجوز فيه المسألة، رقم الحديث (١٦٤١) .
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى : ١/ ٨٠ .

ويمكن إجمال هذه الصفة بقوله ﷺ : « أُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِم »[1]، فكان الحديث الواحد يتضمن أحكاماً عدّة يصلح كل منها أن يكون مدار بحث موسع، وما يزيد الأمر إعجاباً عند رسول الله ﷺ هو هذا الإيجاز المتقن الفصيح، فتراه ﷺ يوجز في عبارة واحدة، ولا أقول في جملة واحدة فكرة لو حاولت مقارنتها مع النتاجات البشرية الإنسانية الأخرى لهالتك المقارنة، فلربما احتاج أفلاطون إلى كتاب ضخم ليبين ماهية العدالة، ولكنك تجد رسول الله ﷺ يصل إلى نتيجة هي أعظم وأجدى وأدق بعبارة واحدة، كيف لا وقد أدبه ربه، وكفى بالله مؤدباً .

إن آلاف الكتب التي وضعت منذ عصر التأليف وحتى اليوم لتجميع أحاديث الرسول ﷺ وشرح أفكاره، وهي الكتب الدينية، لشاهد على ما نقول، ومن أراد التوسع فما عليه إلا أن يطالع بعض أحاديثه الشريفة فيصل إلى الحقيقة بنفسه .

١١ . المهارة في إعادة التحديد :

يبقى التشخيص، ووضع المسببات في مسارها الصحيح، وابتكار المعالجات الملائمة، أمور حيوية وحاسمة في المسار الإبداعي، ولكن المهارة هي اللمسة الفنية في العلاج والتي تجعل الجدوى أكثر نفعاً، وأجدى قبولاً، وانجع شفاءً .

فالنحات غير الماهر مثلاً يتعامل مع قطعة الصخر مستخدماً العدة المناسبة ليجسد فكرة رائعة غير مسبوقة، ولكن افتقاره إلى المهارة الحرفية، قد ينتج مسخاً مستهجناً، ولكن نفس القطعة من الصخر وبنفس العدة وربما بفكرة تقليدية تتحول إلى عمل مبدع متميز إذا اقترنت بمهارة متميزة .

وعلى هذا الأساس فالمهارة ليست ترفاً في العمل الإبداعي، وليست بالسمة الهائلة في المبدع، بل مستلزم فاصل .

إن المهارة المحمدية اخترقت حدود الإبداع نفسه، لتتربع على عرش الطاقات الخلاقة غير

(١) صَحِيْح مُسْلِم : ص٢١٢، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم الحديث (٥٢٣) .

المألوفة، ولو اقتنصنا من تجربته الثرية ما اقتنصنا لوجدنا المهارة بكل أنواعها تتدفق كالسيل العرم، وهي مهارة جديدة بعيدة عن التباهي والغرور الذي يندر أن يخلو مبدع منه .

١٢. الذكـــاء :

البرهنة على ذكاء شخص ما مرهون بأمرين :

الأول : اعتماد ما هو متعارف عليه وما يعرف بركائز الذكاء، أو ما يتفق عليه الآخرون من نعت إنسان ما بالذكاء دون الرجوع إلى هذه المقاييس استناداً لنتاجه .

وبديهي أنه في حالة تعذر اخضاع الشخص لمقاييس الذكاء فلا بد من اللجوء إلى نتاجاته، لنستنتج منها مدى ذكاؤه ودرجته .

ورسول الله ﷺ ليس بحاجة لتزكية منا، فذكاؤه الخارق يتحدث عن نفسه وإن لم يكن ذكاؤه من النمط الذي يشيع اليوم من الولع بالألعاب الذهنية أو ممارستها فهذا لا يليق بمقام النبوّة، ولا بجدية القادة التأريخين .

لنستقرئ السيرة الخالدة لرسول الله ﷺ ونقتطف من روضها، الأزاهير الخاصة بزهرية ذكاؤه :

عن مجاهد قال : حدثني مولاي عبد الله بن السائب قال : « كنت فيمن بنى البيتَ وأخذتُ حجراً فسوّيته ووضعتهُ إلى جَنْب البيت، وإن قريشاً قد اختلفوا في الحجر حيث أرادوا وضعه، حتى كاد أن يكون بينهم قتالٌ بالسيوف، فقالوا : اجعلوا بينكم أولَ رجل يدخلُ من الباب، فدخل رسول الله ﷺ، وكانوا يسمونه في الجاهلية الأمين، فقالوا : قد دخلَ الأمين، فقالوا : يا محمد قد رضينا بك، فدعا بثوبٍ فبسطه، ثم وضع الحَجَر فيه، ثم قال لهذا البطن ولهذا البطن، لجميع البطون من قريش : ليأخذ كلُّ رجل من كلِّ بطنٍ منكم بناحيةٍ من الثوب، فرفعوه، فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه »[١] .

(١) دَلَائِل النُّبُوّة، لأبي نعيم : ص١٧٥-١٧٦، رقم الحديث (١١٣) . قال محقق الكتاب : «أخرجه

وعن معتمر بن سليمان، عن أبيه قال : « لما أخذت قريشٌ في بناء الكعبة فانتهوا إلى وضع الحجر الأسود تنازعت فيه الأرباع من تلك القبائل، وتحاسدت أيهم يلي رفعه حتى ألمَّ أن يكون بينهم فيه أمرٌ شديد، فصار من أمرهم أن يحكِّموا أولَ رجلٍ يدخلُ عليهم الباب من نحوهم، وتعاقدوا بالله ربِ البيت أن يولوه إياه من كان، فخرج عليهم نبي الله ﷺ من ذلك الباب – أمراً اختصه الله عز وجل به – وهو يومئذ يدعى الأمين، فقالت القبائل من قريش : هذا الأمينُ ابن عبد المطلب، وهو بيننا، وقد رضينا به، فلما انتهى إليهم . قال لهم : « ما أمركم هذا ؟ قالوا: يا ابن عبد المطلب نازعنا في هذا الحجر وتحاسدنا، فجعلناه إلى أول من يدخل علينا من هذا الباب، فكنت أول داخل فافعل فيه أمراً تُصلِح قومكَ، فأخذ رسول الله ﷺ ثوباً فبسطهُ، ثم أخذ الحجرَ فوضعه فيه، ثم أمر تلك القبائل فأخذوا بجوانب الثوب، فرفعوه على إصلاحٍ منهم وجماعة حتى انتهى إلى موضع الحجر، فأخذه رسول الله ﷺ فوضعه بيده، وولاه الله عز وجل ذلك قبل مبعثه بسبعِ سنين »[(١)] .

وبهذا حسم الخلاف الذي حارت فيه كبراء قريش وأذكياؤها .

إن هذه الواقعة التي تنم عن ذكاء رسول الله ﷺ وسرعة بديهية وقدرته على تجاوز المشاكل والصعاب، وعلى أهليته للقيادة، الزاخرة بعبر وأحكام عديدة، استوقفنا منها، ما يتعلق بذكائه ﷺ.

١٧ . التفتح والانطلاق :

يقف بالضد من التفتح الانطلاق، وبالضد من الانطلاق التحجر أو الجمود واعتماد الأضداد من أغراض التعريف ووسائله .

أحمد وفيه هلال بن خباب وهو ثقة وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح» .

(١) دَلَائِل النُّبُوّة، لأبي نعيم : ص١٧٦–١٧٧، رقم الحديث (١١٤) . قال محقق الكتاب : «هذا حديث مرسل» .

إذاً فالتفتح هو الروح الوثابة المتطلعة للتفاؤل مع كل ما هو عصري وجديد ومبتكر دون عقد، والانطلاق هو مرحلة ما بعد التفتح، فبعد أن يستوعب الإنسان ما هو جديد ويتفاعل معه، يسعى أو ينطلق للأمام حاملاً هذه الروحية .

وينبغي أن يتعامل المبدع مع التجارب والواقع بهذه الروحية بعمق ذاتي، بقناعته وإيمانه الراسخ بذلك، ببعد موضوعي يجسد به ذلك في أفعاله وأقواله .

إن التعرف على مدى تفتح شخص ما أو انطلاقه مقرونٌ بموقفه من التيارات الجديدة لذلك فلا مجال لتطبيق هذا القانون على رسول الله ﷺ لسبب بديهي، أنه هو ﷺ كان يمثل التيار الجديد المتفتح في المجتمع، وكان هو قائده، إذاً فهذه مسألة مفروغ منها، ولكن بغية تغطية كافة جوانب الموضوع، وسد باب الذرائع المتوقعة، نبين ما يلي :

أ- كثيراً ما يتسم تفكير ونشاط فرد ما، أو تجمع معين بالتفتح والانطلاق، أو قل بالتقدمية، ولكنه بمرور الزمن، أو بعد استباب الأمر لديه، أو جراء عجزه عن تجسيد فكرته، أو لعدم قدرته على التطور مع المصطلحات الجديدة، تراه يقف عند حدود ما وصل إليه، وبعضهم قد يحارب كل تجدد وتفتح في الحياة كردة فعل انتقاصة، فيحصل تبادل في الأدوار، فالتخلف أو الرجعي القديم، حل محله التقدمي الجديد تجاه المستجدات من الأمور .

وهذا ما تمت ملاحظته من دراسة صراع الطبقات مثلاً، فالنظام البرجوازي، أو الرأسمالي يشكل رداً على نظام الإقطاع، ولكنه صار نظاماً خالقاً، وكذلك الحال مع الأفكار الماركسية ففي الوقت الذي تشكلت منه طروحات ثورية، صارت مركز انغلاق وتحجر فآل الأمر إلى ما آل إليه في الدول الشيوعية .

فهل وقفت تقدمية رسول الله ﷺ عند حدود انتصاراتها، أم أنها ظلت مواكبة روح التقدم التاريخي ؟

ب-إن قصر الفترة الزمنية التي عاشها رسول الله ﷺ، وعدم مكوثه فترة طويلة بعد تحقيق النصر الناجز، لا يسمح بالاعتماد على الشواهد التاريخية لندرتها، ولكن يمكن التوصل إلى

ذلك مما يلي :

أولاً – الشذرات اليسيرة من تاريخه الشريف بعد فتح مكة، للتعرف على مدى تقدميته ﷺ .

ثانياً – النمط العام لتقدميته المستدل عليه من سيرته قبل فتح مكة .

ثالثاً – سيرة الخلفاء الراشدين، والكيفية التي تعاملوا بها مع المستجدات الحياتية الشاملة .

ج- إن توجيهات الرسول ﷺ بعدم الابتداع في الدين والتمسك بالحدود التي رسمها ﷺ للإسلام قد تثير التقوّلات بأن الإسلام استنزف تقدميته، وقد قرر مسبقاً الوقوف بالضد من كل نزعة تقدمية، فما درجة صحة هذا الرأي ؟

د- إن وصف الاتجاه الديني الإسلامي بالاتجاه المتجمد أو السكولائي، إنما هو وهمٌ جرته التجارب الإسلامية المستمرة التي عجزت عن تحقيق التطابق بين الفكرة والسلوك، بل عكست صورة مشوهة عن الدين الإسلامي، وزاد من الطين بلة الحملات الإعلامية اليهودية والغربية من تعزيز ذلك جراء التشويه والتظليل المتعمدين .

وانطلاقاً من معاينة هذه النقاط سنحاول البرهنة لا على تقدمية الرسول ﷺ حسب بل والإسلام .

أما منع الابتداع في الدين، فهو لا يتنافى مع التقدمية قط، بل هو عين التقدمية، وللأسباب التالية :

١ .هناك ثوابت ومتغيرات تحكم القوانين كافة، فالأجرام السماوية مثلاً لها قوانينها الثابتة، ولكن هناك متغيرات قد تتمثل بسقوط النيازك والشهب ومثل ذلك يمكن قوله عن المجتمع فهناك ثوابت فيه، علاقة الرجل بالمرأة والتزاوج وبناء الأسر، كما أن هناك متغيرات اجتماعية تتناول شكل المسكن وحجمه وهكذا الأمر في الدين فهناك ثوابت وهناك متغيرات فمن بين الثوابت مثلاً صيام شهر رمضان ثلاثين، أو تسعاً وعشرين يوماً، وصلاة خمس أوقات في اليوم .

وهناك متغيرات حتى في الصلاة، كحرية القارئ في اختيار ما يشاء من سور وآيات قرآنية يتلوها بعد الفاتحة في الركعتين الأوليتين من الفرض، أو يتخير من الأدعية ما يشاء مع مراعاة

الضوابط الفقهية في هذين الأمرين .

٢. إن الثوابت الدينية هي القانون الإسلامي، ولو سمح بأي تغيير فهو بحكم الاستثناء، والقوانين عندما تكثر الاستثناءات فيها تخرج عن كونها قوانين فتصير أهواءً ونزعات، لذلك وقف الإسلام موقفاً متشدداً إزاء الأمر ليضمن عدم حصول التحريف والابتعاد عن الأصل والقصد .

٣. على الرغم من منع الإسلام للابتداع والتحريف، إلا أننا نعلم أن عدداً كبيراً من الممارسات التي يؤديها المسلمون فيها من البدع شيئاً كثيراً، فهذا قد حصل مع المنع، فما بالك لو سمح بهذا التغيير، أو غض النظر عنه .

٤. إن تجارب أهل الكتب السماوية السابقة كفيلة بمنع الابتداع، وإلا لآل الأمر إلى ما آل إليه لديهم من تحريف لتعاليم الأديان .

٥. إن طول المدة الزمنية وتباعد السنين عن منبع الإسلام يتسبب في النسيان، وقد تطفو عادة ما على السطح، ولقدم العهد يظنها الناس أنها من السنة، ولعدم وجود ما يدلل على الأصل الثابت تحرف الأمور وتغير، لذلك كان عدم السماح بالابتداع أمراً واجباً .

٦. إن عبادة مشركي العرب مثلاً - وَيمكنك قياس أغلب الديانات غير السماوية على ذلك - إنما هي ذات أصل سماوي، ولكن التحريف الذي انتابها أبعدها عما جاء به الأنبياء حتى بلغت ما بلغته، فالعرب كانوا يؤدون مراسم الحج، ولكنه حج محرف حصلت فيه استثناءات كثيرة حتى آل الأمر إلى أن يحج الناس عراة ويصفقون ويصفرون، والضابط لمنع ذلك كله هو منع الابتداع .

٧. إن الابتداع هو تطاول غير مؤدب على الله تعالى وعلى رسوله، فإنْ قُصد بالابتداع زيادة شيء غير مقرر، أو انقاصه، فهذا يدل هذا على عدم قناعة المبتدع بما جاء به الله، أو عدم إيمانه بكماله، فهو يسعى من خلال البدعة إلى تحسين ما يراه، وهذا بحد ذاته بهتان عظيم .

١٨. نبذ الأمور السطحية واهتمامه بالأمور المعقدة :

يرجح علماء النفس مبرر هذا إلى ثقة المبدع بنفسه، فيستهل الصعاب، تسوقه في هذا روح الإقدام الوثابة، ولا يفهم من هذا النص أن ولع المبدع بالأمور المعقدة، ما تعارف عليه العامة من تسمية شخص ما بأنه (معقد)، أو (عقد)، أو أنه يلجأ إلى تعقيد المسائل السهلة المطروحة من دون داع، بل أن الأمور السطحية هي في أحسن أحوالها أما قشور أو قطرة من جرة، فالاهتمام بالأمور المعقدة، إنما هو نابع عن حديثه أيضاً فضلاً عن ثقته بنفسه .

والأمر مقصود لذاته من قبل المبدع، أي أنه لا يلجأ إلى ذلك لكي يقال عنه مبدع، كما يولع البعض بتزويق حديثهم بألفاظ براقة ومصطلحات مبهمة كيما يقال عنه أنه مثقف أو فيلسوف، بل الأمر فطري، أو تلقائي غير متعمد .

السؤال الآن : أكان رسول الله ﷺ مهتماً بالأمور المعقدة ؟

في محاولة للإجابة عن هذا التساؤل، وتحت ظروف انعدام، أو ندرة الشواهد، أو افتراض ذلك نقول بثقة أن رسول الله ﷺ كان نابذاً للأمور السطحية، وهذا أمر بديهي يقرره مجمل التفاصيل الشخصية والحياتية له، وعلى هذا يتبقى أمامنا خياران لا ثالث لهما :

الأول: إنه كان مهتماً بالأمور المعقدة .

الثاني: إنه لم يكن مهتماً بالأمور المعقدة ولا بالأمور السطحية أي أن الاهتمام اعتيادي، ويتعلق بالأمور الوسطية، أو الاعتيادية .

من أجل اختيار أحد الرأيين نقول بأن الخيار الثاني يعني أن الشخص هو من النمط الاعتيادي للبشر، أي خارج فئة المبدعين .

وعلى هذا فإن رسول الله ﷺ كان مهتماً بالأمور المعقدة، وليس هذا افتراضاً فلسفياً بل هو حقيقة ملموسة وظاهرة للعيان ونذكر في الوقت نفسه أن الاهتمام بالأمور المعقدة، بل هو اهتمام بالأمور الجدية الرصينة، والتي تبدو عسيرة على فهم العامة، أنها تشكل تحدياً فكرياً، أو ذهنياً يخوض المبدع غماره وبلذة، فمن ينبري لحل مسألة رياضية عويصة، إنما يفعل هذا لاعتداده بنفسه، وعندما ينهي حلها بشعور خاص بالنصر .

وهذا قريب للغاية من الحالة التي نسوقها .

إن السعي لإحداث انقلاب حياتي وديني شامل في العالم يمتد أثره حتى نهاية العالم من أخطر الأمور المعقدة وأكثرها جسامة، أو هو ما تصدى له رسول الله ﷺ ونجح فيه أيما نجاح، لا يقارن بالولع بالكلمات المتقاطعة أو لعبة الشطرنج أو بما سواهما من الألعاب الذهنية، فهذه تدخل بالتأكيد ضمن نطاق السطحية أو على أقل تقدير ضمن دائرة اللا جدوى .

١٩ . القابلية على النفاذ إلى أعماق المسائل المبحوثة :

لعل الصفحات السابقة حملت ما يشير إلى إمكانية الرسول ﷺ على النفاذ إلى أعماق المسائل المبحوثة، وهو ما اصطلحنا على تسميته الثورية عموماً وبالجذرية على وجه التحديد، ويمكن قياس درجة نجاح التشخيص والعلاج الجذريين بمدى النجاح المتحقق فعلاً .

ونؤكد هنا على كلمة (فعلاً) فكم من نجاحات براقة يصورها الإعلام والدعاية، ولكنها لا تعدو عن كونها رغوة صابون .

ولكن ما حققه الرسول ﷺ في هذا الميدان من نجاح يؤكد عمق نفوذه إلى جوهر المشاكل المطروحة .

٢٠ . عدم التطابق مع الأخرين :

يوصف الثوريون ضمن مجتمعاتهم بالشذوذ، وهو ما يعبر عنه بعدم التطابق مع الأخرين فكراً وسلوكاً، والشذوذ عموماً يقع في نمطين :

أ-شذوذ سلبي ؛ ويمثله السلوك المنحرف الخارج عن سياقات العرف والقانون السماوي أو الوضعي، وهو شذوذ المجرمين والخارجين عن القانون .

ب-شذوذ إيجابي ؛ ويمثله سلوك الثوريين، وإنما كان مبعث شذوذهم هو لتمردهم على ما هو سائد بغية الانتقال إلى ما ينبغي أن يسود، وهو شذوذ محمود كما ترى لقد تجلى بعدم تطابق الرسول ﷺ مع المشركين وأهل الكتاب المحرفين لشرائعهم .

والشذوذ الإيجابي أو عدم التطابق ليس هوساً، أو ولعاً بالتفرد والمخالفة تجاوباً مع المثل

الشائع (خالف تعرف) بل تسوقه مبادئ وقيّم كما أشرنا من قبل ونعتقد فيه الكفاية، فلا يستوجب مزيداً من التوسع .

٢١. المقدرة على الاحتفاظ بالاتجاه ومواصلته :

ويماثل هذه المقدرة ما يعبر بالسوّقِ عسكرياً، أو بالستراتيجية سياسياً فغالباً ما ينحرف البعض عن الخط العام الذي رسموه جراء الضغوط الخارجية، أو نتيجة الفشل الذي يصاحب التطبيق جراء عدم جدوى الفكرة وفشلها في وضع الحلول، أو لعدم مطاوعة الأدوات للخطط والبرامج، كفشل الأجهزة المكلفة بالتطبيق، وتراكم الخلل :

وعندما تتحرر الحركة التاريخية من التأثيرات السلبية الواقعة عليها، فلا بد من مواصلة المشوار بهمة وبجدية، ولقد بيّنا فيما سبق عدم تهاون الرسول ﷺ في هدفه ورفضه المهادنات، أو تغليب الجوانب التكتيكية على الجوانب الستراتيجية .

وقد تناولنا هذا بشيء من التفصيل ضمن مناقشتنا المرونة .

٢٢. القدرة على تكوين ترابطات واكتشاف علاقات :

هذا الموضوع يمت بصلة قوية إلى ما بيّناه في النقطة الثالثة من سمات الإبداع، إن الترابطات مصطلح يضم كافة أشكال الترابط مثل : الترابطات الاجتماعية العلمية، الفكرية، التاريخية، القبلية، ... الخ .

وهذا ما كشفه رسول الله ﷺ وحققه بفعالية كبيرة، ولنا على سبيل المثال الرباط الوثيق الذي كوّنه ﷺ بين المهاجرين والأنصار والذي عرف بالمؤاخاة بغية توحيد صف المسلمين سعى رسول الله ﷺ إلى المؤاخاة بين المسلمين فكان هو وعليّ أخوين، وعمه حمزة ومولاه زيد أخوين، وأبو بكر وخارجة بن زيد أخوين، وعمر وعتبان بن مالك الخزرجي أخوين، وأبي عبيدة بن الجراح وبين أبي طلحة، وبين سلمان وأبي الدرداء، وبين سعد وعمار، والمقداد بن عمرو وعبد الله بن رواحة، وبين الزبير وعبد الله بن مسعود، وأُبي بن كعب وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهكذا، وأحاديث المؤاخاة بين الصحابة عديدة زخرت فيها كتب السنة

النبوية، ومن الأدلة على الثمرة الكبيرة لهذه السياسة، ما حصل بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، حيث كان الأخير متزوجاً بامرأتين وكان ذا مال، فعرض على عبد الرحمن شطر ماله، وإليك الحديث كما أخرجه البخاري في صحيحه :

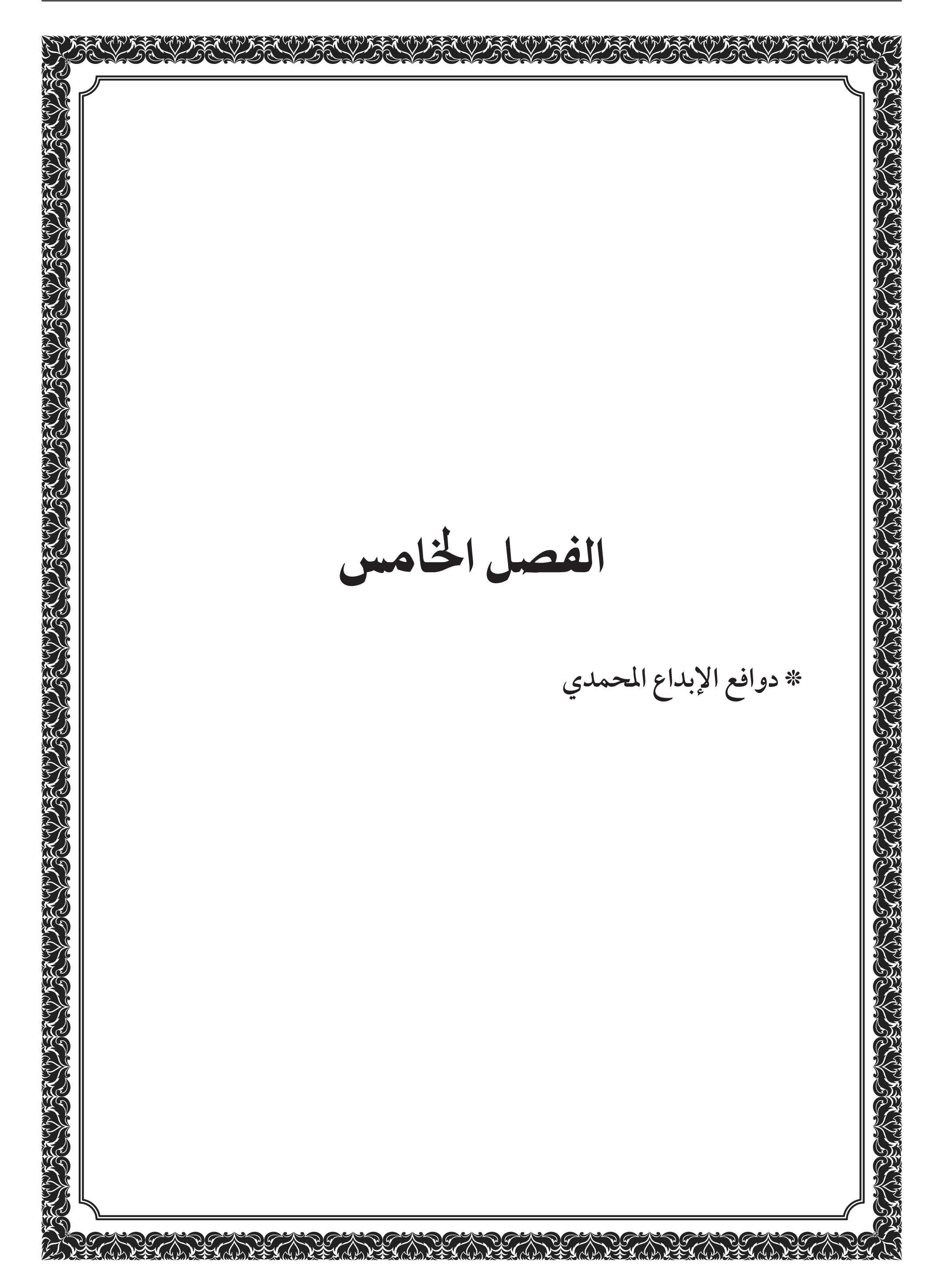
عَن أَنَس رضي الله عنه : « قَالَ : قَدِمَ عَبْد الرَّحْمَن بْن عَوْف، فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْد بْن الرَّبِيع الأَنْصَارِيِّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ عَبْد الرَّحْمَن : بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلَّنِي عَلَى السُّوق، فَرَبِحَ شَيْئاً مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّام، وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَهْيَمْ يَا عَبْد الرَّحْمَن . قَالَ : يَا رَسُول الله، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَار، قَالَ : فَمَا سُقْتَ فِيهَا، فَقَال : وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَب، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاة »[١] .

وبيّن الحديث الشريف أن عبد الرحمن بن عوف قد ذهب واشتغل ببيع الزبدة والجبن واستطاع بذكائه التجاري أن يصل إلى الثروة سريعاً .

أما العلاقات المكتشفة، فهي كذلك عامة تتضمن العديد من الأنماط، ولعل من أبرز الشواهد (اكتشاف العلاقة بين الخالق والمخلوق) .



(١) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص٧٤٩، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه، رقم الحديث (٢٠٤٩و٣٩٣٧)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٥٦٢، كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم، رقم الحديث (١٤٢٧) .



الفصل الخامس

* دوافع الإبداع المحمدي

الفصل الخامس

دوافع الإبداع المحمدي

وضع علماء النفس عدة شروط عدّوها من دوافع الإبداع، وسنحاول مقارنة هذه الدوافع مع إبداع رسول الله ﷺ ودوافعه لنستبين حقيقة الأمر، وللتعرف على حقيقة هذه الدوافع .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدوافع لا تشكل كافة المسببات للإبداع المحمدي لذلك سنحاول استنباط الدوافع الأخرى من دراسة سيرة رسول الله ﷺ :

١ . الدافع الشخصي :

تكمن وراء الدافع الشخصي أسباب عديدة جداً، تتباين بتباين الأشخاص، ولكن يمكن تلمس خطوطاً مشتركة بينها . آثرنا عدم التوسع فيها والاكتفاء بتعريفها لما سيأتي من أسباب .

إن الدافع الشخصي هو الباعث الذي يقود الإنسان عموماً والمبدع خصوصاً إلى إطلاق فكرة أو ممارسة فعل يهدف منه تحقيق مكاسب شخصية له، مادية كانت أو معنوية . كالثروة أو الجاه والشهرة ... الخ .

أما السبب الذي من أجله أعرضنا عن تفصيل القول في أنماط الدوافع الشخصية، فلأن الدافع الشخصي معدوم تماماً عند رسول الله ﷺ، لا بل يمكن القول أن دافعه الشخصي كان هو ذات الدافع لاختياره للنبوة، أو بمعنى تغليب العام على الخاص تغليباً كلّياً حتى لم يبق للدافع الشخصي من أثر، وهذا ليس بالمستغرب، فهو شأن النبيين والمرسلين والقادة التاريخيين. والأدلة على ذلك عديدة منها :

١ . رفضه ﷺ العروض السخية التي عرضتها عليه قريش وجوابه ﷺ المعروف : « يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني، والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله،

أو أهلك فيه ما تركته »[1] .

٢. عدم انتقامه ﷺ لنفسه من أي إنسان إلا إذا كان أمراً يمس حرمات الله، وتقول عائشة رضي الله عنها : « وَاللهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللهِ، فَيَنْتَقِمُ للهِ »[2] .

٣. عدم اقتصاصه من الآخرين في الأمور المتعلقة به، إلا ما مس الدين حتى أنه كان لا يضرب خدامه ولا إذا زلوا يزجرهم بعنف .

٢ . استقلال الحكم والتفكير : قد تكون هذه الفقرة مشتركة بين سمات الإبداع وبين دوافعه، وإن كنا نرى أنها من السمات أقرب، ولكننا ناقشها ضمن هذا الجانب انسياقاً لما وضعه علماء النفس .

إن السبب الذي حدانا إلى القول بأنه من السمات، هو أن استقلالية الحكم والتفكير لا تشكل دافعاً، وإلا لكان كل إنسان مستقل التفكير مبدعاً، أو سائراً في طريق الإبداع، وإنما هو من سمات المبدعين حيث يمتازون بتفكيرهم المستقل والذي عبر عنه علماء النفس أنفسهم بالأصالة .

كما أنه لم يكن الدافع الأساس للإبداع المحمدي عاملاً من عوامل تشكيل الإبداع نفسه، وحتى لا نستغرق الوقت في نقاش قد لا يكون ذا جدوى، قد يخرجنا عن القصد فإن استقلالية الحكم والتفكير عند رسول الله ﷺ أمر كائن لا شك فيه، فاستقلاليته الفكرية كانت الدافع لرفضه المعتقدات الفكرية السائدة، وتمرده عليها، وظل هذا نهجه القائم طيلة فترة النبوّة .

---

(١) السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ، لابن كثير : ١/ ٤٧٤ .

(٢) متفقٌ عليه . صَحِيْح الْبُخَارِيّ : ص١٢٩٥، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، رقم الحديث (٣٥٦٠و٦١٢٦و٦٧٨٦و٦٨٥٣)، وصَحِيْح مُسْلِم : ص٩٥٠، كتاب الفضائل، باب مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلآثَام وَاخْتِيَارِه مِن الْمُبَاح أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِه للهِ عِنْدَ انْتِهَاك حُرُمَاتِه، رقم الحديث (٢٣٢٧) .

٣. الحاجة إلى تقديم مساهمة مبتكرة وقيمة :

لا يبدو مستغرباً إن قلنا، إن أغلب ما جاء به رسول الله ﷺ كان إسهاماً مبتكراً إن لم يكن جميعه تماماً، وإن كان بعضه ليس مبتكراً، فقد وضعت عليه اللمسات المحمدية حتى صيرته نمطاً جديداً مختلفاً، ومع ذلك فهذا الدافع على الرغم من أهميته لدن المبدعين عموماً، إلا أنه ليس بذي أثر عند رسول الله ﷺ : حيث أنه مسببات إبداعه كائنة في أمور مختلفة، ولكن هذا الدافع كان بالنسبة لرسول الله ﷺ سمة من سماته الإبداعية وإليك بعض الشواهد :

١ . التعامل الخلاق مع القيم الأخلاقية السائدة في المجتمع قبل النبوة، إذ بعثَ فيها روحاً جديدة اكتست بها هذه القيم مضموناً مغايراً على الرغم من وحدة المُسمّى . لذلك قال ﷺ : «إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَق»(١) .

فالشجاعة في التصور الإسلامي أو المنظور المحمدي ليست قاصرة على مبارزة الفرسان وإنما تعدته إلى شجاعة الكلمة، وشجاعة الموقف .

والكلام في هذا التصور ليس بإنفاق المال جزافاً أو ابتغاء الشهرة وإنما وظف لمعايير اجتماعية وإنسانية رائعة .

٢ .إن ما ميز إبداع رسول الله ﷺ، أو ما تفرد به على وجه الصواب عن غيره من المبدعين أن إبداعه ليس ذاتياً فحسب وإنما تعداه بنظرته الثاقبة وقدراته الخلاقة إلى كشف المواهب لدى الآخرين وصقلها وتنميتها حتى تصل إلى درجة الإبداع .

وسيرة الرسول ﷺ في هذا حافلة بشواهد كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر :ـ

- **كشفه مواهب زيد بن ثابت رضي الله عنه، ومنها :**

أ- تعلم اللغات:

---

(١) سُنَن البَيْهَقي الكُبرى : ١٠/ ٣٢٣، كتاب الشهادات، باب مكارم الأخلاق ومعاليها، رقم الحديث (٢٠٧٨٢) .

قال زيد رضي الله عنه : أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ أَنْ أَتَعَلَّمَ لَهُ كَلِمَاتٍ مِنْ كِتَابِ يَهُودَ قَالَ: «إِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابٍ»، قَالَ: فَمَا مَرَّ بِي نِصْفُ شَهْرٍ حَتَّى تَعَلَّمْتُهُ لَهُ قَالَ: فَلَمَّا تَعَلَّمْتُهُ كَانَ إِذَا كَتَبَ إِلَى يَهُودَ كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ، وَإِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ قَرَأْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ[(١)].

وفي رواية قال: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي أَكْتُبُ إِلَى قَوْمٍ فَأَخَافُ أَنْ يَزِيدُوا عَلَيَّ أَوْ يَنْقُصُوا؛ فَتَعَلَّمِ السُّرْيَانِيَّةَ»، فَتَعَلَّمْتُهَا فِي سَبْعَةَ عَشَرَ يَوْماً[(٢)].

ب- براعته في الفرائض:

ليس أدلّ من براعة زيد رضي الله عنه في الفرائض قوله ﷺ :«وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدٌ»[(٣)].

وقد شهد له بهذا أحد كبار التابعين وهو الشعبي (رحمه الله) بقوله: « وقال الشعبي: غلب زيد بن ثابت الناس على اثنين، القرآن والفرائض»[(٤)].

ت- إسهاماته القتالية:

استصغر زيد رضي الله عنه يوم بدر. ويقال: إنه شهد أحداً[(٥)].

وروي من طريق زيد رضي الله عنه أنه أول مشهد شهده زيد بن ثابت مع رسول الله ﷺ الخندق وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان فيمن ينقل التراب يومئذ مع المسلمين، فقال رسول

---

(١) سنن أبي داود: ٥/ ٤٨٩، كتاب العلم، باب رواية حديث أهل الكتاب، رقم (٣٦٤٥)، وسنن الترمذي: ٤/ ٣٦٥، أبواب الاستئذان والآداب، باب ما جاء في تعليم السريانية، رقم (٢٧١٥). قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد: ١/ ٢١٥، رقم (٢٤٣).

(٣) سنن الترمذي: ٥/ ٦٦٥، أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح، رقم (٣٧٩١) . قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»، وسنن ابن ماجه:١/ ١٠٧، أبواب السنة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، فضائل زيد بن ثابت، رقم (١٥٤) .

(٤) الموطأ: ٦/ ٤٩، رقم (٧٨).

(٥) معجم الصحابة: ٢/ ٤٦١، والمستدرك على الصحيحين: ٣/ ٤٧٦، رقم (٥٧٧٨)، وتاريخ مدينة دمشق: ١٩/ ٣١٣.

الله ﷺ : « أَمَا إِنَّهُ نِعْمَ الْغُلَامُ » وغلبته عيناه يومئذ، فرقد، فجاء عمارة بن حزم، فأخذ سلاحه وهو لا يشعر، فقال رسول الله ﷺ : « يَا أَبَا رُقَادٍ نِمْتَ حَتَّى ذَهَبَ سِلَاحُكَ »، ثم قال رسول الله ﷺ: « مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِسِلَاحِ هَذَا الْغُلَامِ»؟ فقال عمارة بن حزم: أنا يا رسول الله أخذته فرده، فنهى رسول الله ﷺ أن يروع المؤمن، وأن يؤخذ متاعه لاعبا وجدا(١).

وكانت راية بني مالك بن النجار في تبوك مع عمارة بن حزم فأدركه رسول الله ﷺ فأخذها منه فدفعها إلى زيد بن ثابت، فقال عمارة: يا رسول الله، بلغك عني شيء؟ قال: « لا، ولكن القرآن مقدم، وزيد أكثر أخذاً للقرآن منك »(٢).

*** صفاته ومؤهلاته:**

إتصف زيد رضي الله عنه بعدد من الصفات منها:

كان زيد رضي الله عنه من علماء الصحابة، وكان رأساً بالمدينة في القضاء والفتوى والقراءة والفرائض(٣).

وذهب زيد رضي الله عنه ليركب، فأمسك ابن عباس رضي الله عنهما بالرّكاب. فقال له: «دعه أو ذره، فقال ابن عباس: هكذا نفعل بالعلماء الكبراء»(٤).

وكان زيد بن ثابت أحد أصحاب الفتوى، وهم ستة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وأبيّ، وأبو موسى، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما(٥).

---

(١) مغازي الواقدي: ٢/ ٤٤٨، والمستدرك على الصحيحين: ٣/ ٤٧٦، وتاريخ مدينة دمشق: ١٩/ ٣١٢. والحديث ضعيف الإسناد. وينظر: تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن: ١/ ٣٥٢.
(٢) مغازي الواقدي: ٢/ ٤٤٨، والمستدرك على الصحيحين: ٣/ ٤٧٦، وتاريخ مدينة دمشق: ١٩/ ٣١٢. قال ابن عبد البر: « وهذا عندي خبر لا يصح، والله أعلم» . الاستيعاب: ٢/ ٥٣٧.
(٣) الإصابة: ٢/ ٤٩١.
(٤) المعجم الكبير: ٥/ ١٠٧، رقم (٤٧٤٦)، والمدخل إلى السنن الكبرى: ١٣٧، رقم (٩٢)، والشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٢/ ١١٠ . وإسناده صحيح كما ذكر ابن حجر في الإصابة: ٢/ ٤٩١.
(٥) الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٦٨، وأنساب الأشراف: ١١/ ٢١٤، وتاريخ مدينة دمشق: ١٩/ ٣١٤.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنها : « لقد علم المحفوظون من أصحاب محمّد أنّ زيد بن ثابت كان من الرّاسخين في العلم»[1].

وقال أبو هريرة رضي الله عنها حين مات زيد رضي الله عنها : « اليوم مات حبر هذه الأمة، وعسى اللهَّ أن يجعل في ابن عباس منه خلفاً»[2].

وكان «عمر رضي الله عنها يستخلف زيد بن ثابت رضي الله عنها إذا سافر، فقلما رجع إلا أقطعه حديقة من نخل»[3].

*** أهليته:**

إن بداية معرفة النبي ﷺ بزيد رضي الله عنها يرويها زيد بقوله: «أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة، قال زيد: ذهب بي إلى النبي ﷺ فأعجب بي، فقالوا: يا رسول الله، هذا غلام من بني النجار، معه مما أنزل الله عليك بضع عشرة سورة، فأعجب ذلك النبي ﷺ، وقال: « يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي»، قال زيد: فتعلمت له كتابهم، ما مرت بي خمس عشرة ليلة حتى حذقته وكنت أقرأ له كتبهم إذا كتبوا إليه، وأجيب عنه إذا كتب[4].

وتتجلى أهلية زيد رضي الله عنها بما يأتي:

أ- إن هذه الرواية تظهر الكشف المبكر لهذه الموهبة ووضعها في موضعها الصحيح، وقد

(١) معجم الصحابة للبغوي: ٢/ ٤٧١، وتاريخ مدينة دمشق: ١٩/ ٣٢٢، وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٧٢.

(٢) الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٧٦، والمعجم الكبير: ٥/ ١٠٨، رقم (٤٧٥٠)، ومعرفة الصحابة لأبي نعيم: ٣/ ١١٥٤. قال الهيثمي: «رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح إلا أن يحيى بن سعيد الأنصاري لم يسمع من أبي هريرة «. مجمع الزوائد: ٩/ ٣٤٥.

(٣) معجم الصحابة للبغوي: ٢/ ٤٧٥، وسير أعلام النبلاء: ٤/ ٧١، وصحح ابن حجر إسناده في الإصابة: ٢/ ٤٩١.

(٤) مسند أحمد: ٣٥/ ٤٩٠، رقم (٢١٦١٨) وحسن محققه الشيخ شعيب الأرنؤوط إسناد الحديث، والتاريخ الكبير: ٣/ ٣٨١، رقم (١٢٧٨)، ومعجم الصحابة للبغوي: ٢/ ٤٦٢.

عرف بثاقب نظره أن قدرات زيد رضي الله عنها لا تقف عند حدود الحفظ أو الترديد الببغاوي، بل تتعدى ذلك إلى قدرات عقلية أخرى، وهو ما يعرف بالعقلية المركبة والمعقدة التي يتفرع منها عدَّةُ مستويات من مهارات التفكير الأساسية(١).

ب- إن تعلمه اللغة العبرية أو السريانية وقدرته على الترجمة في هذه المدة الزمنية الوجيزة تؤكد أن قدراته العقلية قدرات غير اعتيادية، بل هي قدرات فائقة، وهذا يعني أن رسول الله ﷺ عرف قدراته العقلية والعلمية الكبيرة، ووظف هذه الموهبة في الاتجاه الصحيح.

ت- إن أهلية زيد رضي الله عنه كانت متوافقة تماماً مع موهبته التي كشفها النبي ﷺ ورعاها.

٤. الإحساس بالمسؤولية الاجتماعية والحاجة إلى تقديم المساعدة للغير :

على الرغم من أهمية هذا الدافع، ولكننا لا نستطيع الجزم بأنه يشكل شرطاً من شروط الإبداع المحمدي، أو دافعاً له، ومع ذلك فَتَبوؤُ الرسول ﷺ قمة المركز القيادي للدعوة الإسلامية، ومن ثم للدولة الإسلامية، وما حققه دَليل على احساسه العالِ بالمسؤولية .

٥. الحاجة لمعالجة المركب :

وهذا الدافع شأنه شأن الدوافع الأخرى، فقد يكون مبهماً لدى المبدعين الأخرين، ولكنه عند رسول الله ﷺ لم يكن دافعاً لما أبدعه، إلا إذا اعتبرنا أن المركب الذي عالجته هو حل مشكلة الألوهية، وهذا ما سنبينه .

❊ الدافع للإبداع المحمدي :

إذاً ما هو الدافع الحقيقي للإبداع المحمدي ؟

قد تتعدد التسميات، وتتباين الشروحات، ووجهات النظر، ولكنها تصبُّ جميعاً في موضوع الألوهية، أو اكتشاف سر الإنسان، أو سر الخلق، أو ما شئت من تسميات، وأوصاف ونعوت،

(١) المنهاج: بناؤه، تنظيمه، نظرياته، وتطبيقاته العملية: ١١١.

فالحقيقة واحدة وإن تعددت تسمياتها ونعوتها .

فما هو هذا الإبداع وما حقيقته ؟

سبق وأن بينا ملامح ذلك في المراحل الإبداعية لرسول الله ﷺ، فحقيقة إبداع النبي ﷺ مردّه إلى : الإرادة الإلهية، ورغبة الرسول ﷺ في الإجابة عن التساؤل الأزلي : من الذي خلق الكون ؟ وكيفية كسب ودّه والتقرب إليه وعبادته .

وهذا هو السر الكامن وراء الإبداع المحمدي والذي أجملته الآية الشريفة : [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَ لِيَعْبُدُونِ][1]، وليس معيباً بالمبدعين، أن لا يتوفر فيهم هذا الدافع، كما لا يعد نقيصة تُسجل على علماء النفس لعدم تثبيتهم هذا الدافع لما يشكله من خصوصية فائقة مقصورة على الرسل والأنبياء، ولكن يمكن عدّها من جملة الحاجة لمعالجة المركب .



(١) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

الخاتمة

إن المقاييس والضوابط التي اعتمدناها في طرح الموضوع وكما قررها علماء النفس تسلط الضوء من زاوية معينة قد تكون جديدة على حياة رسول الله ﷺ على قدر ما أعاننا عليه جهدنا الفكري بأروع صوره، وكان حقاً على من يرغب في تنظير الإبداع ودراسته، أن يغترف مِن سيرة رسول الله ﷺ، ويستمد منها الدروس .

إن إبداعات الرسول ﷺ الساحقة، لا تعني أن نقف منها مبهورين فقط، بل أن نسعى جاهدين للتأسي والاقتداء به ﷺ .

ومع أننا نقر سلفاً بعجزنا عن محاكاته محاكاة كاملة لخصوصيته أولاً، ولأننا نعتقد بأن الإبداع موهبة لا تتحقق بالمران ولا بالدراسة ثانياً، ولكن الجهد الحثيث لا بد من أن يرفع الإنسان من حالة متدنية إلى حالة أرقى، وهذا غرض مهم، أما إذا تذكرنا الأجر والثواب لمن تأسى به ﷺ فحسبنا هذا .

إن دراسة الإبداع المحمدي، فضلاً عن كونه نظرة جديدة موجزة لسيرة الرسول ﷺ ولسماته، فهو بمثابة محفز للهمم المتشوقة إلى الأفضل قوة دفع لسالكي طريق الحق .





المصــــادر

المصادر

1. Wallach,M.A.and Kogan.N.A New look at the creativity intelligence distinction . journal of personality,1965

٢.الإبداع الفني، راضي حكيم، مجلة آفاق عربية، السنة التاسعة، العدد العاشر .

٣.الإبداع صناعة ترعاها الشعوب الحرة، مجلة النبأ، (١٤٢١ه -٢٠٠٠م)، العدد ٤٧ .

٤.الإبداع في الجيش، عبد الرحيم طه الأحمد، وزارة الدفاع ـ بغداد، بلا تاريخ.

٥.الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، (ت٤٦٣ه)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، (١٤١٢ه).

٦.الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر، (ت٨٥٢ه)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٥ه).

٧.الأدَبُ المُفرَد، لأبي عَبْد اللهَّ مُحَمَّد بن إسماعيل الْبُخَارِيّ الجعفي، (ت٢٥٦ه)، تحقيق : د.علي عبد الباسط مزيد وعلي عبد المقصود رضوان، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م) .

٨.أَسَاسُ البَلاغَة، لأبي القاسم جَار الله مَحمود بن عُمر بن أَحمد الزّمَخشَريّ (٥٣٨هـ)، تحقيق : محمَّد باسِل عُيون السُّود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ ـ١٩٩٨م).

٩.أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (ت٢٧٩ه)، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، لبنان، (١٤١٧ه١٩٩٦م).

١.الأسس النفسية للتكامل النفسي، مصطفى سويف، دار المعارف، مصر، الطبعة الثانية، (١٩٥٩م) .

٢.أصول علم النفس، د. أحمد عزت راجح، دار الكتب، القاهرة، (١٩٦٨) .

٣.آفاق جديدة في دراسة الإبداع، د. عبد الستار إبراهيم، وكالة المطبوعات، الكويت، بلا تاريخ .

٤.المنتخب من مسند عبد بن حميد، أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكسي، (ت٢٤٩ه)، تحقيق مصطفى العدوي، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، (١٤٢٣ه-٢٠٠٢م).

٥.بغية الرائد في تحقيق مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الْحَسَن نور الدِّين علي بن أَبِي بَكْر الهيثمي، (ت٨٠٧ه)، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش، دار الفكر، بيروت، (١٤١٤ه_ ١٩٩٤م) .

١.تاج العروس من جواهر القاموس، لأبي الفيض محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بلا تاريخ .

٢.تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الشافعي المعروف بابن عساكر، (ت٥٧١ه)، تحقيق عمرو غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ه-١٩٩٥م.

٣.التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة - السفر الثاني، أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة، (ت٢٧٩ه)، تحقيق صلاح فتحي هلال، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، (١٤٢٧ه-٢٠٠٦م).

٤.التَحْرِير والتَنْوِير، لُمحَمَّد الطَّاهِر بن عاشور ، (ت ١٣٩٣هـ)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) .

٥.تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن لسيد قطب، علوي عبد القادر السَّقَّاف، دار الهجرة للنشر والتوزيع، السعودية، ط٢، (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م).

٦. تَهْذِيب الكَمال في أسماء الرجال، لأبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م) .

٧. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق : محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (٢٠٠١م) .

٨. التوجيه والإرشاد النفسي، د. حامد عبد السلام زهران، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، بلا تاريخ .

٩. حياة الصحابة، لمحمد يوسف بن محمد إلياس بن محمد إسماعيل الكاندهلوي (ت١٣٨٤هـ)، تحقيق : الدكتور بشار عوّاد معروف، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، (بيروت – لبنان)، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ –١٩٩٩م) .

١٠. خصائص الفكر المبدع، د. ضياء الدين أبو الحب، مجلة آفاق عربية، السنة الثالثة، العدد الخامس .

١١. دوافع الإبداع، د. طارق السويدان و د.محمد أكرم العدلوني، الطبعة الثالثة، (١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م) .

١٢. دَلاَئِل النُّبُوّة، لأبي نعيم الأصبهاني، (ت٤٣٠هـ)، تحقيق : د. محمد رواس قلعةجي و د. عبد البر عباس، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٦هـ–١٩٨٦م) .

١٣. دَلاَئِل النُّبُوّة، لإسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني (ت٥٣٥هـ)، تحقيق : محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٩م) .

١٤. دَلاَئِل النُّبُوّة وَمَعْرفة أَحَوال صَاحِب الشرِيعَة، لأَبِي بَكْر أَحْمَد بن الحسين بن علي البيهقي، (٤٥٨هـ)، تحقيق : عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م).

١٥. ذَخَائِرُ العُقبَى في مَنَاقِب ذَوي القُربَى، لأبي العباس محب الدين أحمد بن عبد الله بن

محمد الطبري المكي، (ت٦٩٤هـ)، تحقيق : أكرم البوشي، نسخة عن دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، بلا تاريخ .

١٦.الرسول ﷺ، لعبد الحليم محمود، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، (١٩٨٥م) .

١٧.زَاد المَسِيْر فِي علم التَفْسِيْر، لأبي الفرج عَبْد الرَّحْمَن بن علي بن مُحَمَّد المعروف بابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإِسْلامِيّ للطباعة والنشر، الطَبْعَة الأولى، بَيْرُوْت، (١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م) .

١٨.سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت٢٧٣ه)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد، ومحمد كامل قره بللي، وعبد اللطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، بيروت، (١٤٣٠ه-٢٠٠٩م).

١٩.سُنَن أَبِي دَاوُد، لأبي دَاوُد سُليمان بن الأشعث السِّجِسْتَاني الأزدي، (ت٢٧٥هـ)، اعتنى به : فريق بيت الأفكار الدولية، الرياض، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧) .

٢٠.سُنَن البَيْهَقي الكُبرى، لأبي بكْر أَحْمَد بِن الحسين بن عَلِيّ بِن موسى البَيْهَقي، (ت٤٥٨هـ)، تحقيق : مُحَمَّد عَبْد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م) .

٢١.سُنَن التُّرْمذيّ، لأبي عيسى مُحَمَّد بن عيسى التُّرْمِذيّ السُّلَمِيّ، (ت٢٧٩هـ)، تحقيق : د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، (١٩٩٨) .

٢٢.سُنَن الدَّارَقُطْنِيّ، لأبي الْحَسَن علي بن عُمَر الدَّارَقُطْنِيّ البَغْدَادي، (ت٣٨٥هـ)، وبذيله : التعليق الْمُغْنِي عَلَى الدَّارَقُطْنِيّ، للعلامة أَبِي الطيّب مُحَمَّد شمس الحق العظيم آبادي، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وحسن عبد المنعم شلبي وعبد اللطيف حرز الله، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، (١٢٢٤هـ-٢٠٠٤م) .

٢٣.السُّنن الكُبرى، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت٣٠٣هـ)،

تحقيق : حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ ـ٢٠٠١م) .

٢٤.سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الذهبي، (ت٧٤٨ه)، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، بيروت، (١٤٠٥ه١٩٨٥م).

٢٥.السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ، لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، (ت٧٤٧هـ)، تحقيق : مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، (١٣٩٦هـ-١٩٧١م) .

٢٦.السِّيرةُ النَّبَوِيَّةُ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري المشهور بـ(ابن هشام)، (ت٢١٣هـ)، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) .

٢٧.شَرحُ الشِفَاء، للقاضي عياض، شرحه الملا علي القاري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، بلا تاريخ .

٢٨.الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، (ت٥٤٤ه)، مع الحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، أحمد بن محمد بن محمد الشمني، (ت٨٧٢ه)، دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، (١٤٠٩ه-١٩٨٨م).

٢٩.الصِّحَاح تاج الّلغَة وَصِحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، (١٩٩٠م) .

٣٠.صَحِيْح ابْن حِبَّانَ بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم مُحَمَّد بن حِبَّانَ بن أَحْمَد التميمي البستي، (ت٣٥٤هـ)، تحقيق : شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرِسَالَة، الطَبْعَة الثانية، بَيْرُوْت، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣م) .

٣١.صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لأبي عَبْد اللهَّ مُحَمَّد بن إسماعيل الْبُخَارِيّ الجعفي، (ت٢٥٦ه)، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية، الرياض، (١٤١٩ه ـ ١٩٩٨م)

٣٢.صَحِيْح مُسْلِم، لأبي الحسين مسلم بن الحجَّاج القُشَيْري النَّيْسابوري، (ت٢٦١هـ)،

اعتنى به : أبو صهيب الكرمي، طبعة بيت الأفكار الدولية، الرياض، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م) .

٣٣.الطَبَقَات الكُبْرَى [الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، الطبقة الرابعة من الصحابة ممن أسلم عند فتح مكة وما بعد ذلك]، لأبي عَبْد اللهَّ مُحَمَّد بن سعد بن مَنِيْع الزُّهْرِي البصري (كاتب الواقدي)، (ت٢٣٠هـ)، تحقيق : د. عبد العزيز عبد الله السلومي، مكتبة الصديق، الطائف - المملكة العربية السعودية، (١٤١٦هـ) .

٣٤.الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري البصري، (ت٢٣٠ه)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (١٩٦٨م).

٣٥.عُمْدَة القارئ شَرْح صَحِيْح الْبُخَارِيّ، لبدر الدين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن موسى بن أَحْمَد بن الحسين العيني الْحَنَفِيّ، (ت٨٥٥هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) .

٣٦.فرنسيس باكون مجرب العلم والحياة، لعباس محمود العقاد، المكتبة العصرية، بيروت ـ لبنان، بلا تاريخ .

٣٧.فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي (ت١٠٣١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) .

٣٨.كتابُ الدُّعَاء، لأبي القاسم سليمان بن أَحْمَد الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق : د. محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) .

٣٩.كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، (ت١٧٥هـ)، تحقيق : د.مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بلا تاريخ .

٤٠.كشفُ المُشكِل مِن حَدِّيث الصَّحيحيَن، لأبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، (ت٥٩٧هـ)، تحقيق : علي حسين البواب، دار الوطن للنشر، الرياض، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

٤١. لسان العرب، لـ محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى .

٤٢. مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، لجمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (ت٩٨٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الثالثة، (١٣٨٧هـ -١٩٦٧م) .

٤٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت٨٠٧ه)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، (١٤١٤ه١٩٩٤م).

٤٤. المدخل إلى السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (ت٤٥٨ه)، تحقيق الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت،(١٤٠٤ه).

٤٥. المُسْتَدْرَك عَلَى الصَّحِيحَيْن، لأبي عَبْد اللهَّ الحافظ مُحَمَّد بن عَبْد اللهَّ الحاكم النَّيْسَابوري، (ت٤٠٥هـ)، تحقيق : مصطفى عَبْد القادر عطا، دَار الكتب العلمية، الطَبْعَة الأُولَى، بَيْرُوْت، (١٤١١هـ_ ١٩٩٠م) .

٤٦. مُسْنَد الإمام أَحْمَد بن حنْبَل، أَحْمَد بن حنْبَل أبو عبد الله الشَّيْبَانِيّ، (ت٢٤١هـ)، حققه وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ_ ١٩٩٥م).

٤٧. مسند أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، (ت٢٤١ه)، تحقيق شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرين، إشراف د عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، (١٤٢١ه -٢٠٠١م).

٤٨. مُسْنَد البزار المعروف بـ(الْبَحْر الزَّخَّار)، لأَبِي بَكْر أَحْمَد بن عمرو بن عَبْدالخالق البزار، (ت٢٩٢ه)، تحقيق : د . محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة الْعُلُوم والحكم، المدينة المنورة، الطَبْعَة الأُولَى، (١٤٠٩هـ -١٩٨٨م) .

٤٩. مشكلة الفن، د. زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، بلا تاريخ .

٥٠.المُصَنَّف، لأَبِي بَكْر عَبْد الرَّزَّاق بن هَمَّام الصَّنْعَاني، (ت٢١١ه)، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإِسْلامِيّ، بَيْرُوْت، الطَّبْعَة الأولى، (١٣٩٢ه) .

٥١.المُعْجَم الكَبِيْر، لأبي القاسم سليمان بن أَحْمَد بن أيوب الطبراني، (ت٣٦٠هـ)، تحقيق : حمدي بن عبد المَجِيْد السلفي، مكتبة الْعُلُوم والحكم، الموصل، الطَّبْعَة الثانية، (١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م) .

٥٢.المُعجم الوَسيط، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، تحقيق : مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، الطبعة الرابعة، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) .

٥٣.معجم الصحابة، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي، (ت٣١٧ه)، تحقيق محمد الأمين بن محمد الجكني، مكتبة دار البيان، الكويت، (١٤٢١ه-٢٠٠٠م).

٥٤.معرفة الصحابة، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق : عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ -١٩٩٨م) .

٥٥.المغازي، محمد بن عمر بن واقد الواقدي، (ت٢٠٧ه)، تحقيق الدكتور مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت، ط٣، (١٤٠٩ه-١٩٨٩م).

٥٦.مَفَاتِيح الْغَيْب المعروف بـ(التَفْسِيْر الكَبِيْر)، وبـ(تَفْسِيْر الرازي)، لأبي عَبْد اللهَّ فَخْر الدِّين مُحَمَّد بن عُمَر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشَّافِعِيّ المُذْهَب الرَّازي، (ت٦٠٦هـ)، المطبعة البَهِيَّة المصرية، ميدان الأزهر، الطَّبْعَة الثالثة، مصر، بلا تاريخ.

٥٧.مُقَدِّمة ابن خلدون، لولي الدين عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، (ت٨٠٨هـ)، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م) .

٥٨.المنقذ من الضلال، لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق : محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان، بلا تاريخ .

٥٩.المنهاج، بناؤه، تنظيمه، نظرياته، وتطبيقاته العملية، راتب عاشور وآخرون، دار الجنادرية للنشر، عمان، (٢٠٠٨م) .

٦٠.الموطأ (رواية يحيى بن يحيى)، أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، (ت١٧٩ه)، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي/ الإمارات، (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).

٦١.النظريات المفسرة للإبداع الفني، د. كريمة محمد بشيوة، مجلة جامعة طرابلس، العدد الخامس عشر، المجلد الثاني، (٢٠١٣م) .

٦٢.نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، تحقيق : مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م) .

٦٣.الوردة العنبرية في سيرة خير البرية، لعبد الكريم المدرس، دار الحرية للطباعة، بغداد، (١٩٩٤م).



المحتوى